

الإيمان الشكرية

فأروق شوشة



المجلد الأول



joi



فَارُوقُ سَيُوشِيَه

الأعمى ابن الشيخ كريمة

المجلد الأول



الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٠٠٨

شوشة ، فاروق

الأعمال الشعرية / فاروق شوشة . - القاهرة ،

الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٨ .

مج ٢٤١٢ سم .

تدمك ٨ ٤٠٩ ٤٢٠ ٩٧٧ ٩٧٨

١ - الشمر المرى - تاريخ - العصر الحديث .

(١) المنوان

رقم الإيداع بدارالكتب ١٤٨٥٢ / ٢٠٠٨

L.S.B.N - 978 - 977 - 420 - 409 - 8

ديوى ٨١١,٩

الإشراف الضنى

صبىرى عبدا الواحد

تصميم الغلاف : العبيبة حسين

- إلى مسافرة
- العيون المحترقة
- لؤلؤة في القلب
- في انتظار ما لا يجيء
- الدائرة المحكمة
- لغة من دم العاشقين

إلى قرىتي «الشعراء»
أمومة الأرض
والأهل
والشعر

فاروق شوشة

«أيها المسافرون، المثيروالدهشة،
أية حكايا نبيلة نقرأ في عيونكم العميقة كالبحار.
أرونا علب ذكرياتكم الثرية، حلى الأعاجيب
المصوغة من النجوم والأثير.
نريد أن نُسافر بلا بخار ولا شراع.
فدعوا ذكرياتكم في أطرها، تنسم من الآفاق
على أفكارنا الممدودة كالأستار، لتغمر بالبهجة
مضيق سجوننا. وقولوا، ماذا رأيتم؟...»

«بودليس»

إلى مسافرة

أغنية مسافرة

إليك ... يا مسافرة

أغنية مسافرة

ليس لها أرض ولا قرار

الشطُّ ناءٍ، والمزارُ يا فريدي مزارًا!

وغنوتى قصيرة، وعابرة

لكنَّ فى أعماقها انتظار

إليكِ يا مسافرة...

* * *

الحلم أثقل الجفونَ، فلننم
وعشَّشت في المقلتين زُغبُ أمنيائنا الصغارُ
وديمة الغد الغريق في رحابة العيون، والألم...
وَالهَفَّتَا...

لو أقبل النهار..

طارت، وزفَّ خافقٌ لدىَّ مستطارٌ
يا ليل: يا حكاية الفراغ والشجونُ
يا أنتَ

ملتقايَ والهموم والصحابُ

وموعدي مع السرابُ

مازال بين راحتي كتابُ

أوراقه البيضاء في نقاوة العذراءِ

والأحرف العجماء في سطوره شتاءَ

كثيبةٌ كمقبرة...
وَالهَفَّتَا...

لم تنخلع لومضةٍ أو خاطرة
ولا انتهت إلى كُليمةٍ تضيءُ في الضباب
حياتي المهاجرة....
إليك يا مسافرة...

* * *

اللفظةُ التي تموت دون أن تمسّها شفة
وكان في أعماقها بحار
والهمسة التي وراء مقلتين تختنقُ
وملءُ صدرها انبهارٌ...
وغنوةٌ قصيرةٌ وعابرة،
وسيلتي إليك
لو يُسعف النهار!
تهاوت السنونُ
واحترقت عيونُ
وانهار من سقيفتي جدارٌ

يا طول أن يلفنا انتظاراً

إليك يا مسافرة!

(سبتمبر ١٩٦٠)

شيء يولد

أُحس التفاتتة..

همسة...

خطأُ الحياتِ تنقر صدري

ووقع أنامله الحانيات

فأغفو

وتشردُ عيناى، تشرد

أين القرار...

وهذا الفراغ بنفسى،

يفزعُ في مقلتيَّ
ويحجب ضوء النهار
أحسُّ انبجاسته
ملء جدران نفسي
يُثقلُ خَطْوِي
يشدُّ رؤاى الصغارَ
فيغمر نفسي انبهار
أأنت؟
أأنت الذى أرقبُ؟
على بابك الموصدِ
خطاى، وأمسى، ولون همومى
وطرَّق يدي
وأمنيةً خفقتُ مرَّةً
وغابت على حسرة المشهد
ولمحة شك
فيا ربما

أطل الرجاء بلا موعدٍ

ويعبر يومٌ

ويا ربما

تسرب شىءٌ وراء الغدِ

أطلُّ... وطار

أأنت؟.. أنت الذى أرقب؟

أأنت الذى أرقُ المقلتين

لكى يسفر الأفقُ الفيهبُ

رويدك

إنى ألوك الحنين.. وأستعذبُ...

عرفتك من خفقةٍ فى البعيدِ

وأخرى بجنبى... لا تكذبُ

عرفتك فى دفقةٍ كالحياة

تصب الحياة، ولا تتضبُ

فيا فرحى أنت.. يا مولدى!

أأنت؟.. أنت الذى أرقب!

يثقل خطوى
يشدُّ رِوَاىَ الصَّفَارِ
وقد كان محض انتظاراً

* * *

سأدعوك توأمَ نفسى
وأفسح من غورِ قلبى وسادا
ومُتَّكأً .. أن يقرَّ الشعاعُ
ويسكنَ .. يسكنَ فى مقلتى
خفضتُ الجبينَ
وأغفيتُ .. علَّ الحنين
يبيلُّ اللياحُ
طويت يديَّ ..
لعلك تدنو؛
وترفعُ هذا القناعُ!

إلى مسافرة

لأن في عينيك شيئاً غير روعة الألم
شيئاً نبيلًا، عاريًا، بلا قناع
وعداً حزينًا، صامتًا، كأنه حلم
لأن مقلتين ناءتا بثقلِ الوداع
فارتختا ذليلتين
وانثنت ذراع
باردة، مغلولة، وأطرقت قدم
نظرت، فاتكأت، فاستدرت للضياع

ولفضلةً تساقطت.. كأنها العدم
لأن في عينيك كلُّ ما قرأتُ من عيون
وكلُّ ما صعدتُ من قمم
لأن في غُورَيْهما تتابعتُ ظنونٌ
واتَّشع الطريق بالسَّام
أظلُّها هنا... أطلع السنين
وأنطوى.. مخافةً التدم

* * *

قد يستبى
ما زال صوتك الندى في دمي
شيئاً أثيراً .. أضمه وأحتمى
رناته تدق أيامي.. تصبُّ في غدي
تدفق من أعماق نبع داهيء القرار
بالأمس ضمنى هنيهةً.. وطار
فرفاً خافق الملع واستدار

وكدت المسُّ النداء باليدِ
وأودعُ الليلَ حديثَ مطلعِ النهارِ
وهمسُك الرطيبُ ما يزال في فمي
شلالَ تاريخِ صنعناه بألفِ موعدِ
شيئا طفولياً، برىء السميت، ناعم الإزارِ
واحة أمنٍ لم يزل
ولم نزل صغاراً
ياكمَ تعرِّينا أمامِ مقلتيه
ياكم بكينا ومسحنا ذمعا في راحتيه
ياكم حملنا وهمنا، ثم أرحناهُ عليه
عرفتُ في خطاهُ وقع مولدي
ودفقةَ الحياةِ في غدي
ذات مساءٍ
حين دق سمعى البعيد.. دقتينِ
طفلاً حيّاً، مستطار القلب، هامس اليدينِ

مازلت أذكر السلام، أذكر النعم
ولفظةً تفجؤني، تتفضني من العدم
وموطننا على القمم
وواحةً نديّةً كأنها حلْمُ
بالأمس ضمنى هنيهةً وطار
أدرتُ عينيّ، وكدتُ أن أعانقَ النهارَ
فانسدتُ الطريقَ بيننا كأنها جدارًا!

* * *

يا طائري... يا طائري
خطاك في دمي تسوخ، تتفض الأمان
وقع خُطاك في الدَّرَجِ
وطرقةً.. وطرقتان...
يا بابي الصغير، يا جداري الكبير
تألّق الطريقُ بالوهجِ
وأشرقتُ من كُوّةِ يدانٍ

نديتان بالحنانُ

يا طائري.. يا طائري...

شيءٌ بأعماقي اختلجُ

تفتحت في الصدر شرفتانُ

وانسكبت أفراحنا الصغار دمعتينُ

يا فرحنا الصغير، يا عزاءنا الكبيرُ

يا وهمنا الذي أضاء ساعةً وطار

تهدمت جوانبُ الأسي المريرُ

وارتفعت مآذنُ النهارُ

واتسع الحلم.. وأورق المكانُ

ودوّت الأجراسُ في البعيد

وطرقةٌ.. وطرقتانُ

شيءٌ بأعماق يدقُّ من جديدُ

* * *

طوّفتُ في دمشق
فتشتُ عن فيروزتين
في الأعين التي تكاد تحترقُ
وخلف هالات السواد والأرق
طوّفتُ في الوجوه، مرةً، ومرتين
عبرتُ كلَّ عينٍ ..
لا شيء في دمشق
إلا انتظارٌ وقلقٌ
وأغنياتٌ لم تزل على الشفاهِ تختقُ
وجبهةٌ شماءٌ تمّضى لا تقول أين
رخامها أضاء واحترقُ ..!
مدينتي التي تغيبُ في لزوجةٍ بلا عرقٍ
في حضنٍ عاشقٍ يناطحُ الهضابِ والقممَ
ويغمرُ المدى البعيد .. يغمرُ الأفقَ
بصفرةٍ لهيبةٍ .. كأنها مزقٌ

بيت على الهضاب، وارتفاقةً على السحاب
وموجةً خضراءً تغمُرُ السّهوبَ واليباب
ولوعة تغيّب في الحدق
الليل في مدينتي كأنه سرداب
طرقت، وانتظرت أن أخوضَ في الضباب
فانشق من خلفِ الجدارِ بابٌ
بابٌ حزينٌ صامدٌ، كصفرةِ الشفقِ
عبرتهُ إلى دمشق
عاريةً، كعانسٍ تحلم بالشبابِ
لا عارَ في دمشق
العارُ في صمّتِ العيونِ قد غرقَ
طوفت في دمشق
فتّشت عن فيروزتينِ
وكدت أن أغيبَ في السرابِ
متكئاً إلى يدينيّ..

كومضة، أطلَّ وجهك الصغير، كالشهاب
أطل برهةً، وغابَّ

* * *

في لحظةٍ كنا نرودُ عندها الغروبُ
ونعبر الصمتَ الحزينَ في جنازةِ المساءِ
قلبين هاربين من حكايةِ القلوبِ
وتائهين.. ضائعين.. في العراءِ
في اللحظةِ التي تحدثيني وأستديرُ
لأدفيءَ الجناحَ خلفَ همسِكِ الوثيرِ
كأنتي أطيِر :

«عيناكِ يا فيروزتى.. معبدائى
قرأت في عمقيهما عمري
وقصة أفرغت فيها أسائى
ينثال في غوريهما .. يجرى
يا طائرى ضلت طويلا خطاى

واقْتادنى الماضى إلى الأسْرِ
إن أَلْتَفَتْ تَلْفَحَ جَبِينى رِوَاىَ
منقوشةً فى ذلك الصخرِ
دفعاً أثيراً، يغطى هوائى
وينفض الأَحْزَانَ فى صدرى
تمتدُّ من خلف الليالى يداى
لتطلقا الأشواق فى فجرى
عيناك لم تعبرهما مقلتاى
إلا وضجَّ الوهمُ فى فكرى»

* * *

هذا أنا..

فى اللحظة التى نكأتُ عندها الغروبُ
فى نفسٍ موطيء القدمِ
تحدَّرتْ غيومه الثقال دمعتين
وارتفعت هواجس الظلمِ

وأنتِ، وارتعاشة اللقاء في اليدين
كأنها حُلْمٌ

تساقط المساء، وامتدت جنازة الشحوب
لم يبق لى غير الهروب!

(فبراير ١٩٦١)

فى الليل

كما يتسللُ حزن المساءِ
وترتجف الفكرة العابرة
ويسقط شىءٌ ثقيلُ الخطى
يقيّد فرحتنا الفامرة
وتمتدُّ من خلفِ أيامنا
رؤى غائماتُ الأسى والحنينِ
وأطياف ليلٍ بعيدِ القرارِ
حكاياته رسبت فى الجبينِ

مددت يديّ

حملتُ الذي ضاع من وهمنا

وجئتُ إليك

وقفتُ على ذلك المنحنى

أنادى عليك

وأهتف: قد تعبتُ مقلتايا

وأنَّ طريقا بلونِ أسايا

قطعت، لعلِّي أرى شاطئيك

وأن انهمازَ الليالي

يُباعدُنِي عن يديك...

وأنك في كل شيء تبقى

لديّ، وفي كل نبض حزين

خطاك، وأنت، وشيء حيي

تسرّب في صفحات العيون

وأوغل في عمق أيامنا

يداه تشيران للمستحيل

وتستشرفان الوجودَ البعيد

كما تتلاشى أغاني الرحيل

أيحملني الصمت في وحدتي؟

أيقذفني للقرار البعيد؟

لعلّي إذا ما دنوت إليك

جثوت .. بكيت ..

نكأتُ جراحى ...

وأسغفتُ بالدمع قلبى

وحبى الوحيد

وفى كل منعطفٍ ... والتفاتة

سكبت نواحى

وهدهدتُ فى أذنيك النشيد

لعلك تغضو

وتصبح فجرى الجديد ...

نحبُّ، وتناهى مسافاتنا

وتجمعنا الغربةُ اللافحة

ونطفو على غيمة كالأثير
تهدمها الرغبة الجامعة
وتفجؤنا لحظة كالمحال
وشيء ندى كوجه الطفولة
وتزعشنا رجفة الذكريات
تعيد حكايا الليالي الطويلة

لأنى وحيد
سأبقى طويلا ببابك
لأنى بعيد
سأرقب فجر إيابك
لأنى صغير
سأعزف لحن شبابك
لأنى تعريتُ دهرأ
ستدقنتى فى إهابك
لأنى حزين
سأجرع نفس شرابك

قطرتا سلام

لو قطرتان من سلام
تركتَ يا مودعي
سكبتَ بين أضلعي
حين استدار محمك
وخفَّ من بين الضلوع خافقٌ يظللُك
وارتفعت شعاعةٌ إلى البعيد... تحمك
وغامت العيونُ... لا كلام
الشوق والأحزانُ واستدارةُ النسيانُ

كلُّ الذي معى...

ووهمُ شىءٍ غامضٍ فى صدرنا استكانَ
والهفتا...

من ساعةٍ تفجؤنا فى مُقبل الزمانِ
تهدّمت على جدارها مشارفُ الأمانِ
من لحظةٍ ممرورةٍ كآلفِ عامٍ
عن العيون... تفصلُك....

* * *

يا حُبِّنا.... يا حُبِّنا....

إنا جحدناك... تركناك وحيداً للرياح

وعارياً بلا جناحٍ

غبنا مع الضباب، عدنا عند مطلعِ الصباحِ

لكى نراك مشمساً وضاحياً

تمد راحتك بالأمانِ

يا حبنا....

لم يبق إلا الليلُ والفراغُ والأحزانُ
وساعة على الجدار مات فوقها الزمانُ
مكبلاً... وخاويًا....

إنا أتيناك يتامى مجهدين غرباء
فهل يضيق صدرك النبيل عن مكان!
يا غافر الذنوب يا مجدد الرجاء
إنا ترصدنا خطاك في رحابك الفساح
ثم التفتنا لم نجدك... لم نجد عزاءنا
لا تتسنا...

نحن الذين كم حملنا وهمنا المباح
في مقلتيك...
وكم رشفنا قطرتي ضوء وقطرتي حنان
من راحتك
أيام كنا عند بابك الوثير
التابعين.. الأوفياء..

إنا نسيناك... وجئناك عرايا تعساءً
لا تتسنا...

حتى وإن عدت إلينا يا ربيعنا المطيرُ
مخضَّباً كالذكرياتُ

وقاسياً كالذاكرة

وباردا كصفحة الرخامِ

حتى وإن حدثتنا دون كلامٍ

ابقَ هنا...

فلم يعد لنا سواك... لم يعد لنا

من أجلنا...

من أجل كل المتعبين في الظلامِ

والظالمين مثلنا...

لقطرتين... من سلامٍ

(أكتوبر ١٩٦٢)

الصمت

لا تصمتى...
الصمت يفضح العيون،
يُشعل الظنون
يهدم الجدار بين عاريين
عيناه تكشفان وجهى الحزين
وتبصران فى المدى... دروب لوعتى
حديثك العقيمُ يا ثلجية العيون
يا طالما نسجت من حروفه رداءً

لأَتَقَى عِيُونَهُمْ... دَوَّامَةَ السُّكُونِ بَيْنَ وَاجِفَيْنِ
وَهُمَا حَسْبِنَاهُ يَذِيبُ قَبْضَةَ الشِّتَاءِ
وَيَنْفُضُ الْحَيَاةَ فِي عِرْوَقِنَا
يَا طَالَمَا كَتَمْتَ خَلْفَهُ أَسَاءَ
لأن طعمه المرير في حلوقنا
لأن جرحاً في ما يزال
أَحْذَرُ أَنْ تَلْمَسَهُ الْأَكْفُ وَالْعِيُونَ
وقد تسيل من فمي حكاية عجوز
وقد أقول ما يقول الناس ساعةً ويلغظون
شيئاً غريباً... شائها
يفصلنا كأنه جدارٌ
يسترنا كأنه إزارٌ
يقتات في الظلام من دمائنا
ويستحي أن يطلع النهارُ
تضمه يدك... تحسبانه كنوزاً

لكنى أقسمُ لك

بكل لفظ لم أقله، لو أقوله لكان سجنى الكبيرُ

فإن فى الفاظنا مكامنَ الأعداء

الصوت ليس صوتى القديم

ولا الحديث بهجتى وسلوتى

ولا الذى قلناه نَمَّ عن غرامنا الدفينِ

محض اشتهاء كان يومها، محض اشتهاءُ

وقد صحوت بعدها...

وانهار وهمى العظيم..

* * *

صديقنا الحزين يتقى العيونَ بالسؤال

يلقيه فى وجوهنا

يفجؤنا...

يُطير من رعوسنا الملل:

«ماذا لو احتضنتُ رأسها الصغير فى يديّ

مَسَّحْتُ بِالْعَيْنِينَ مَرَّةً عَلَى الْجَبِينِ
نَفَضْتُ مِنْ طَرِيقِنَا الْمَحَالَّ
لَوْ اسْتَدْرْتُ فِي الطَّرِيقِ مَرَّةً وَصَحَّتْ فِي الْجَمْعِ
بِأَنْنِي لِمَسْتُهَا ...
قَبَّلْتُهَا ...

أَسْمَعْتَهَا لَوَاعَجَ الشَّجُونُ
وَبَلَّتْ حَدِيثَهُ الدَّمُوعُ
يَا صَاحِبِي، يَا صَاحِبِي الْحَزِينُ
الصَّمْتُ فِي الطَّرِيقِ قَيْدُ الشَّفَاةِ وَالْعَيُونُ
تَصَدُّنَا الْأَحْزَانُ وَالْجَدْرَانُ وَالسَّكُونُ
وَكُلُّ شَيْءٍ وَاجِفٌ كَأَنَّهُ يَمُوتُ
حَتَّى غَرَامِنَا صَمُوتًا!

* * *

الصَّمْتُ ظَلَى الْخَجُولُ .. كَمْ أَحْسَهُ وَرَاءَ خُطُوتِي
هَذَا الْفَضُولِيُّ الَّذِي تَشَوْقُهُ حَكَائِي

أهرب من عينيه.. من ضلاله على الطريق

لأنه هنا.. لأنه هناك

أراه فى الأحزان، والأشواق، فى استدارة الشروق

فى كل ما تتطقه الشفاهُ والعيونُ

مُمدِّداً... بلا حراكٍ

من طول ما ملَّ حديثنا العتيقُ

وصوتنا الذى تتوشه الظنونُ

كأنه جنونُ

* * *

الصمت منطق الحياة فى زماننا

لأن كل شىء فى شفاها نباحُ

الصمت مجدنا وعارنا

صمودنا الجليل.. وانكسارنا

لأن بيننا الذى قضى

وبيننا الذى أصاب، فاستراح

الصمت مهما طال تيهنا، ملاذنا
لأننا مُغلَّبون بالجراح....
الصمت يأسُننا الكبير... وانتصارنا
لأن شيئاً قادمًا... كأنه صباح!

(ديسمبر ١٩٦٢)

بكايت

لأن الصمت يُرهِقنا، ويفصلنا، ويقصينا
لأننا لم يعد وعدٌ ولا وهمٌ بأيدينا
لأن متاهة النسيان تجرفنا
وتلفحنا ...

وقد مات الصدى فينا
لأن العمر ما عشناه إلا حَطَّو مرتعشين
ليلا واجف الرؤيا
يُغللنا ويشقينا

حملتُ الأمس، والذكرى، وصوت المجهود الوانى
وجئتُ طريحَ أسفارٍ
وأغوارٍ تتادينا
كأنا ما قطعناها هوى فى القلب مكنونا
ولا كنا هنا يوماً
عل يدها مصليّنا
ولا انسكبت على أحجارها أبدا مآقينا
كأنا ما التقت راحاتنا إلا مُعزّينا
لقد مات الأسى فينا!

* * *

الريح عند بابنا
هناك تعوى ما تزالُ
فى صمتها اللجوج فى ارتطامها العنيفُ
بقية من السؤال...
أين انتهت أقدامنا

وكيف أطبق الزوال
وانسحقت من خلفنا
يدٌ تطوّق المحالّ
الريح عند بابنا
الريح ما تزال
ووحشة تقيّدُ الزمان، تُخرس الظلال
وألف صوت قادم من لا مكان
فحيحها كأنه مفارة النسيان
وأعولتُ عين... وأطبقت يدان
الحزن دق بابنا
والصمت والملال

* * *

لأننا ما عرفناه
هوى قد كان يملؤنا ونرعاه
لأننا حينما اضطربت ملامحنا افتقدناه

وكان بلون رؤيانا
برىء السميت، تطرينا حكاياه
نزلنا عند سَفْعَتِهِ
وغبنا فى حناياه
وقلنا: نحمل التذكار والأمس الذى فاتا
وجرحا خلف ماضينا دفنأه
لعل يديه تتسكبان أفراحا وميلادا
يُعيد الصحو والأنفاس للوهم الذى ماتا
ولكنا حملناه
وقلنا: نسأل الخلانَ عن شىء نسيناهُ
لعل الصفو يُعَوِّزنا
لعل الفجر نلقاهُ
وقلنا نعبر الأيامَ والأبعادَ متتدين
عجوزىً حكمةً شاخت
وعند صحائف الأحران متكئين

لتسعفنا بقاءه
وقلنا آه كم فاضت بلاغتنا وقلناه
وحين التفتت عينٌ ورفَّت ما وجدناه
لأنا ما عرفناه!

(يونيو ١٩٦٣)

اعتراف

قف...

لم يعد سواك فى نهاية الطريق ... قف
وذلك الذى حسبته الرفيقَ دار وانعطفاً

ودون لفضة الوداع غاباً

لا خَطَوُ... لا ظنُونُ... لا ارتياباً

إلا صدى يئزُّ قبل مطلع النهار

ولعنةٌ معادة كأنها دواراً

لم يَبْقَ فى أكوابهم ما يُحتسى

ولم يعد فى قَبُوهم من يرتشفُ
قف...

لم يعد سواك ينثر المحارَّ
فى قاع وهمه المغلَّف القرارَّ
ولم تزل يداك عند كل بابَّ
تعانقان شوقك البعيد للإيابَّ
ورعدة باردة كأنها تذكارَّ
وظلك الذى استطال ساعةً على الجدارَّ
أراه من حول السنين يرتجفُ!

* * *

يا مُخجلى!..

متى أراك ترفع الغطاء، تكشف الستارَّ
عن لون ما تراه فى العيونُ
متى أراك يا مُعلِّى
تقول للمساء: قد أسأت -

لقاطع الطريق: أنت قاطع الطريق

متى أراك... لا تهون

لو مرة تقول: أنت

أنت الذى أعنيه بالكلام

غدرتْ بى يا أيها الصديق

طعنْتى يا موئلى...

فلا تُدرُ خطاك... وارفع اللثام

عن وجهك المحجّب العميق

* * *

يا مخجلى

متى أراك تنفض البلى الذى أصابنا معا

أصابنا فأوجعا

تعيدنا لجوهر الحياة فى عروقنا

تقول أنت كَلِمَتِكَ

تسمعنى حكايتك

تزيل عارنا .. غبارَ عصرنا
لأن حقدنا نما وأمرعا
متى أراك قد خطوت خُطوتك
مددت للحياة عزيمةً بعمق يأسنا
لم تفقد الرجاء... لم تخف
يا مخجلى يا لعبة الصغار
قف... لم يعد سواك فى نهاية الطريق... قف
متى تصيح مرة.... وتنفض الغبار
متى... متى.... وكيف!

(سبتمبر ١٩٦٣)

تأئه على الخليج

عند المدى المسدود ألقينا الرحالَ

جَمَحَتْ مَراسِينَا....

لوت أعناقنا رِيحُ الزوال

ماذا؟... وأطرقت العيون

وتحدَّر الصمت الحزينَ

وامتدَّ من خلف الظلال

شيء يشد الراحلين

يلقى بهم في هُوَّة المجهول، في رعب المحال

شئٌ كخطوهمو سجين

لم يبق غير صدى لهاثٍ.... وقع أيام ثقلاً
وعزيف لحن خافت... عبر المفاوز، فاستحال
بعض اصطبار، بعض تأساء، وحشرجة ابتهاج
يا عابرين متاهة النسيان من خلف الليال
يا راكضين مع الشعاب مضرّجين بلا ملال
الهاربين إذا رؤى الماضى تمطّت فى العيون
أنا بعض رحلكمو على ظهر السفين
لو أنها طافت على البلد الأمين
يا جانحين إلى الخليج... كأنّ فردوسَ السنين
هبطت به الدنيا على قاع التلال
فإذا الذى يوما ظنناه يُنال
وهم خريفى... تسرّب فى الرمال!

* * *

هذا المسجى... شاحبا أبدا أراه
فى وجهه الزيتى شىء قد تقلص فى الشفاه
شىء يفيم... ولا يبين

وكأنه ثار قديم... كم تنوء به يداه
وأمرٌ تلطمنى صواؤه... كأن كفيه سؤال
أو لعنة جمدت على وجه تسريل بالضلال
جمدت وأدركها الملال

هذا المسجى تحت مجداف السنين
فى صمته اللجى قاع سرمدى كالخيال
مخرته أحزان الرجال... طوته أنياب القرون
يعطى ويمنح لم يزل.... دنيا من الورق الحلال
إلا بقايا ثورة... هو بانتفاضتها ضنين
يا ويحه... خطوى المهين
وأنا أشد إليه أيامى... فيدركنى الكلال
هيهات ترتعش الحياة

وهنا وترتفع الجبابة

عن حفرة عبر الرمال... تشدُّ أعناق الرجال!

* * *

يا تائهاً عند الخليج... يكاد يلفظك الخليج

أبدًا تُهاتى بالحكايات الطوال

وتظل تهرف والأكف تشير نحوك بالجنون

فإذا الحقيقة فى عيونهمو خيال

وإذا التفتى فى قلوبهمو نشيج

والهفتا... لو أنقذتكَ يدُ السنين

وعرفت أن هناك شيئاً لا يقال

الوهم يعصف بالرجال!

الكويت (ديسمبر ١٩٦٣)

كلمات للعار

لأنه عارى..

عارى المدنى فوق أقدارى

أخفيه حتى لا يمر الزمان

يوماً على أنقاض تذكارى

كى لا تُحَيِّينى طويلاً يدان

قد ناءتا من رحلة الثارِ

ملقى به نسيّاً وراء الرمال

حتى تعود الخيل بالفار

يطفو عليه من أسانا ظلال
وصفحة شوهاء كالقارِ
لأنه عارى الذى ما يزال
جرحاً سديماً بأغوارى
وعاركم، يا جامعين الفلال
من كل حلقومٍ ومنقارِ
يا طامعين - الدهر - غبّ الزوال،
بعض انسكاب الوهم، بعض الخيال
فى عودٍ للأهل والدارِ
يا حاملين الأمنيات الثقال
عبثاً توارى خلف أستارِ
وجها ذليلاً واجماً مستعارِ
لم يختلج فى لفح إعصار
الأفق كاب... يا شذا البرتقال
أزهراً وأمرع فوق أشجارى

وانشر جناحيّ نضرةٍ وازدهاراً
على روابي حلمنا العـارِى
الموسم المخـبـوء، أثقاله
تنعى ذواليه، وتبكي الرجال
والهفتا والهدب عار كسيح
والموسم الدانى خصيب التلال
والهفتا والحزن ثاوٍ طريح
وقبضتاه تنشدان المحال
وبارقٌ طفناً به.. فاستحال
بُقياً رماد.... لم يعد فيه روح
لا نبض فى عروقه.... لا جروح
يافا... ومازالت عيون الصغار
مشدودةً للشمس كفىّ مسيح
أخفيه فى أعماق أسرارى
لأنه - واخـجـاتى - عـارِى!

* * *

مَنْ لى بمن يستوقف الحائرين
يوماً إذا ضلوا... فلم يعبروا
من لى بمن يوقف زحف السنين
تراكمت ثكلى... فلا أبصرُ
إلا خطايا، عشَّشت فى جبين
جاثٍ على الأعتاب يستففر
من لى بمن يفضح زيف الحنين
إلى ديار فى المدى تخطر
لمارسينا أننا عائدون
وأن يوماً قادمًا يثارا

* * *

يا شيخنا... فى خيمة الشتاء
ذُبالةٌ تهتز... كارتعاشة المساء
يوماً حملناها... وسار واحداً
منا.. يدق أرض كبرىاء

ولم نكن ندرى بأن زيتها
معلق بلطفحة الهواء
تنداح منها للطريق شملة
مخنوقة كشهوة البكاء
يموج ألف فارس... وفارس
على دوالي نورها الظمائم
ويسترفيق غافل وهاجع
يعانقان صحوة النداء
ولم نكن ندرى بأن درينا
تقودنا للأمس... للوراء
تعيدنا لساحة مهجورة
أنكرت في شعابها دمائي
تعيدنا للحظة ممرورة
فقدت عند بابها رجائي
حتى صحونا.... فاكست رؤوسنا

لما اشْرأبت.. ومضت العزاءِ
ذباله كـانـت لنا ولم تنزل
يا شيخنا... في خيمة الشتاء!

* * *

قوافل الحجيج في العراء ما تزال
عازا مبعثرا على الرمال
عارا مُلْحًا.. كاسف السؤال
يسألني... يسأل عن رجال
نجيهم كم خضبَّ التلال
وسال يسقى «الكرمل» الأمين
يا عارنا... يا عارنا الحزين:
أنا وأنت والكروم والظلال
بقية من السؤال!

الكويت (يناير ١٩٦٤)

دعوة إلى النسيان

دموع بكائنا، وصراخنا المحموم، والأحزان
وسرُّ قد قد كشفناه...

نضوِّنا عنه أستارا مضللة وأعمارا
وحدقنا إلى أعماقنا نجلو خفاياهُ
لكل الناس نمنحه، ونُقعى فى زواياهُ
ونسأله عن الأحباب أخبارا

وكننا نحفظ العهد الذى باحت به شفتان
ونملك هامة الرؤيا التى ما طالها إنسان

مجنّحة تلامس أفقنا الساجي... وترقاه
حملناه على أعناقنا حتى ألفناه
وعودناه أن يلقى بنا قسراً ويطرحننا
وأن نجثو إذا صرنا على بابه
وعودناه أن يعصى أمانينا، ويفجأنا
وأن يطفى فنهواهُ...
السنا بعض أحبابه!
تلقفناه... لا يرتاح إلا بين أعيننا
وفى أهدابنا علقتْ مُباركةً بقاياهُ
وأرضعناه من جوع السنين ويتمها العارى
وواعجبا.... تبدل ما صنعناه
فأمسى محضَ تذكّارٍ
وصرنا بعدُ نخشاه
دموع بكائنا.... من ذا يكفكف فورة الطوفان
ويمسح وجهنا المطموس بالعارِ

ويحملنا على كفين صامدتين للنار
وغافرتين... للنسيان!

* * *

أتينا بآبكم، يا أهلنا الأحباب، جئناكم
فهل في أرضكم عن حلمنا المخبوء أخبار؟
طرقنا، لم نجد صوتاً ولا ضوءاً ولا نامة
وحين تحشرج الصبر الطويل، وغاضت البسمة
تقلص في جوانحنا هوى مُضنى وتذكراً
وقاضت من محاجرنا رؤى لهفى وأسراً
كتمناها وراء الصمت، خوف الصمت يفضحها
وخوف تلفت العينين في أحداقنا الجهمة
سنرجع، لا دليل يؤنس السارى ولا نجمة
وقبض الريح والأحزان ما ملكت مصائرنا
ولا وجه يطل على مآسينا، ألا نسمة؟
تعود لتمسح الهدب الكسيح وتغفر الظلمة
ألا إعصار

عتى الخطو، يذرو عن أسانا ما علقناه
فطعم الصفو والبشرى نسيناه
سنرجع دونما حذر، ووجه الموت نختار
ونصرخ أننا ضعنا، وأن الليل غدار
ونلقى فى فم الذكرى عزاءً يائس النعمة
سنرجع دونما ظفر، فقد دميت أظافرنا
وأقعدنا أسى عار، وجوع صارخ فينا
وتاريخ قطعناه، وداسته حوافرنا
من الأعصاب والأحزان صُفْنَاهُ
وعشنا الدهر نكتم فى قرار حلو قنا سهمه
ونطرح عبئنا ملقى على وهم عبرناه
وتسقطه شجى مرا.... مرائرنا
دموع بكائنا تتهل... لا صوت... ولا رحمة!

* * *

دموع بكائنا، وصراخنا المفجوع، والتذكار
وليل قد حشونا، ملأناه أسى وغبار

وعِفْنَاهُ...

وكان عزاءنا المخضوب بالشكوى

لعل ماتم الأحزان تمنح بأسنا مأوى

وتسدل فوقه الأستار

سنفسح من مآقينا، ومن أكبادنا سلوى

ونضفى من ظلال الموت، من جدرانته مثنوى

لعل الموت يرجعنا إلى شيء نسيناهُ

عبرنا برزخ الموتى.... وطعم الموت ذقناهُ

ومن آثاره الحمقى... حملنا ما حملناهُ

وجئناكم على يدنا بقايا رحلة للعار

وألقينا إلى النيران شيئاً لاهثاً كالنار

هشيماً نحن سميناه: ما نهوى!

لقد ماتت بقاياهُ

ومات «الليل» و«الآه»

تحت سماء رمادية

يا لى! ...

وقد تقصّفت على سياجنا جداول الهشيم

وانهار ما خلفنا مرة عزاءنا

لما عرفنا صوته ووجهه الدميم

فلم تعد تشدنا سيقاننا

يؤودنا العبء الذى رمى بنا

نسوخ فى مخاضة الشتاء

فمنحنى ...

مكابرين... نُمسك الهواء

عاريةً ظهورنا

تَلَسُّعُها سِياطِ كِبرِياءِ

يا ويلتا وأوجه الأَساةِ لا تريمَ

لو كان يجدى مرةً حديثنا العقيمَ!

من بعد أن تمزقت وحشرجت حلوقنا

لعلَّه يعود صوتنا القديمَ!

* * *

عيني على نجمٍ بآخرِ السماءِ

في هداةِ السكونِ جاس برهةً وغاب

لو يستطيع! مدَّ لى شعاعتينَ

وأغرق العيون بالضياءَ

لو أستطيع! لو خطوطِ خطوتينِ

إذن لبددتُ خطاي قبضةَ السحابِ

وفَرَّ من أصابعي السرابَ

وانكشفت غشاوة عميقة العماء

وكيف؟

والطريق بيننا صقيع...

من يوم غاب وجهه الوديع

واصطدم الخريف بالشتاء!

* * *

أجناسنا شتى ... حديثنا شتات

لن يسمع الذى تقول من سمعته يقول

فاللغة الوعاء أصبحت رفات

ولن يمد طرفا من حملته وفات

فكل ما تبقى فى أكفهم فتات

وليس ثم ساحة.... ولا دليل

فبارك الجميع، بارك النعيب والهديل

وغنهم، بكاؤك اليتيم أغنيات!

كلمات مرتعشت

منذ أعوام...

وكان الحب يأتي بابنا...

ظارقاً، يسأل عن مأوى وأمن وظلال

لم يكن يخطيء يوماً دربنا...

قادماً... أروع من كل خيال

ينفض الفرحة في أيامنا

صلوات... وحكايات.... وابتهاج

منذ أعوام غفونا مرة

وتحدّينا بكفّيه المحالّ

* * *

منذ أعوام غريبات... سحيقة
كان شيء ملء عينينا.... صغيرٌ ووديع
هامسٌ... يلمس في الدنيا طريقه
وعلى كفّيه.... أحلامٌ وزهرٌ وشموع
نحن صورناهُ من أوهامنا
وحملناهُ على أهدابنا
طفل دنيانا البديع
نحن أطعمناه من جوع السنين
وسقيناها جراحات الحنين
وجعلنا شدّوه قيثارتنا
نغمًا يطفّر من بين الضلوع
قبل أن يُفلت منا ويضيع!

* * *

لم أزل أرقب فجرا غارقا في خاطرينا
ضمنا يوما، وغنينا، فاهتز إلينا
عدنا... لا تنسنا... في شفيتنا
لك نجوى، وشكاوى، ودموع
عد لنا أنت ولو غاب الجميع
أنت يا أول حلم... وربيع!

« ٢ »

لأنى جئت عريانا... وقلت ألوذ في بابك
ومسحت الجبين الرطب في ثمات أعتابك
لأنى لم أزل مستوحش الأيام والرؤيا
تغرب في عيون الناس، واهتزت به الدنيا
أظل هنا.. أتمتم باسمك الغالى.. ومحرابك

* * *

لأنك لم تزل فرحى وجوعى السائب الظامىء
وسراً ملء أيامى يغلف وجهك الدافىء

وتاريخنا من الأبد والأشواقِ والذكرى
أخوض به مسافاتٍ وأطوى نحوه العمرى
وأسأل نفسىَ اللهى: متى نرسو إلى شاطئٍ

* * *

لأنك أنت تاريخى، وأعماقى، وأسرارى
لأنك فجر ميلادى ووجه ربيعى العارى
عبرت إليك أياماً مفزعةً... بلا معنى
وجُزْتُ إليك أحزان الغريب التائه المضى
أفتش عنك! كيف! وأنت محبوبٌ بأغوارى

* * *

ملاذى... لم أزل أهفو إلى آفاقك النشوى
متى يرتاح هذا الخافق الدامى.... متى يروى
جناحك أين ضمتهُ، وأين حفيف أنسامك
ودفع خطاك، والأيدى تبث خفى أنغامك
متى! وإلام! إنى أغرق الأحزان بالسلى

(٣)

بيتًا ...

غاب عنه القمر ...

بيتًا ...

لم يزل ينتظر ...

صوت أحجاره

همس أستاره

مقعدٌ كان ملءَ البصرِ

معبدٌ كنتَ تهفو له

قد نما حبُّنا حوله ...

حدقتُ كلها تسألُ:

أين يا طائري ترحلُ؟

أوجستَ حين طال المغيبُ

وأنا حيرةٌ لا تجيبُ

في يدي من هوأنا أثرٌ

يا تُرى، كم يغيبُ القمرُ!

* * *

أمس...

حين استدار الشعاع

ونطقتَ الوداع...

كان شئٌ حزينٌ

غارقٌ في العيون

وانطوى مشهدٌ لا يغيبُ

وحكايا مساءٍ كئيبٌ

غاب فيه القمرُ

حين جاء الصباح...

كان صوت الجراح

صوت ماضٍ عيرٍ...

في دمي.. لا يقرب...

* * *

صوتك الوادعُ
همسك الرائعُ
بسمة أسكرت مقلتيّ
وسرى دفؤها في يديّ
كل شيءٍ هنا...
شاهدُ أننا
مرةً قد نعودُ
ويعودُ الوجودُ
في غدٍ.. حلم عينُ
رعشةُ في يدين
خفقة في جناحُ
هل يجيء الصباحُ
حاملاً غنوتينِ
يا صديق الرياحِ
أين مسراك... أين

كم عبدنا خطاك
خطوةً .. خطوتين ..
يوم طافت يدك ..
طرفةً ... طرفتين
عدّ إلى عشنا ...
عدّ فإن المنى ...
لم تزل تنتظر
عدّ ... فإن الحنين
وانهمار السنين
واحتراق العيون
ظامىء للمطر
عدّ لنا ... يا قمر!

﴿٤﴾

ماذا أحكى! ماذا أحكى!
وعلى صدرى، وبكفى .. بقايا أطياف الأمس

أشياءٌ تغيّبُ بأعماقِي، وتظل حكايا في نفسي
ماذا أحكى!

يا مالتى أسراراً في طعمِ الهمسِ
لحناً... أغنيةً... موسيقى
تصاعداً دوماً في كأسى...

* * *

خَطوكِ.. هذا التوقيعُ الراقصُ.. هذا المخمورُ
ينزع أعماقِي... يفرقتني في وهج النور
يحملني خلف شعاعات أندى من لمسات الحورِ
لمسافات.. لمسافات.. أرتاح عليها وأدورُ
خطوكِ، هذا النغم الهارب من كونٍ مسحورٍ

* * *

لِو طالت جلستنا.. ماذا كان يقول القلبان؟
اثان وراء الليل... وراء الأبد الغافى الوستان
ونسيمات أندى ما عانق روحى من ألوانٍ

وحديث يقطر في سمعي كلمات نشوى.. بل الحانٌ
حتى لكأنَّ الزمن الهادر كفَّ عن الدورانِ
وانطلقت أمنيةً ظمأى، وارتعشت بالحب يدانُ
وهفا في صدرينا شيء يمسخ تذكّار الأحزانِ
شيء يرسب في الأغوار، ولكن تكشفه العينانُ
ماذا أحكى! ماذا أحكى!..

ما زالت ملئى كلمات.. أغلى ما يحمله إنسانُ
تصاعدُ من عينيك... وتقلها حتى الجدرانُ
وخطى تتسابُ مع الأنغام ويزحمها شوقٌ لهفان
وذراعان التقتا مثل عناق الموج أو الطوفانُ
وانسابت في الضوء الوانى من جرحينا أغنيتان
وعطورٌ لا أدري كانت همس حديث أم ريحان!

* * *

ماذا أحكى...

يا مالكة الفيروز.. ويا دافئة الألوان

يا عبقا عانق أنفاسى.. فجّر فيهن التحنانُ
يا أعمق أعماقى.. يا واحة خِصْبٍ وأمانُ
سيظل هوانا.. ما دامت فى صدر هوانا رثتانُ
سراً يحكيه القلب... ولا ترويه الشفتانُ

٥

من أى أسطورة... من أى قيثار
أشعلت أنشودة ظمأى إلى النارِ
يا مرفأً لا تضل النفس ساحته
وكيف يخفى شفافٌ خافقٌ عارِ
راؤك فى كل لفظ قد نطقتُ به
وتوَجَّوكِ على شدوى وأشعارى
أبَحْتُ أيامهم شجوى.. فوافرحى
أنى أبَحْتُ لهم دنى وأوتارى
وجئتِ من قاع أيامى على وتر
تهتز أعوده فى كف جبارِ

يا صورةَ الأبد الحانى.. ويا ألقاً

مَشَتْ خطاهُ على غَيْبِي وأعمارى

طيف من الذكرى يسرى بأعتابك

إن طاف أو مرَّ فى كأسِ أحبابك

أبصرتهم هاموا فى قدسِ محرابك

أرواحهم نشوى ظمأى لأعتابك

يا لىـتـنى أبقى وحدى.. على بابك

عيناك فى خاطرى دوما وفى خَلدى

دنيا كنوز وأشواقٍ وأسرارٍ

يا صَوْتَهَا فى ضميرى: لم تنزل نغما

يفجّر الشجّو فى أعماقِ أعماقِ

ويا خطاها على سمعى موقّعةً

كانها نبضُ أرواحٍ وأشواقٍ

ولفِئَةً من حياةٍ لستُ أذكرها

إلا كما اكتحلت بالنور أحداقِ

وأستفيق على عينيك، يا حُلْمِي
ويا مزامير أيامي وأوراقِي
وبارقًا كم سقانا خمر نشوته
رفقا بالأفها يا أيها الساقِي
ماذا لو اتحدت أبعادُ غُرْبَتنا
وطوّف العطرُ في وهمي وآفاقِي!

«٦»

إليكِ اتجّهتُ : خطاي.. يداي..
وأطيافُ وهمي الجريحِ الحسيرِ
وأنشودةٌ نسجتُها الظلالُ
على معبدٍ في خفايا الضميرِ
تلفتُ حيثُ استبدتُ خطاكِ
وأطرقتُ حيثُ استراحَ الأسيرُ
وحيثُ أضاء بأغوارِ نفسِي
هوى عاصفٌ، صارخٌ، مستجيرُ

تسرَّب حتى القرارِ البعيدِ
وأشفق حتى الرجاءِ الأخيرِ
ولم يَبْقَ حَوْلِيه إلا شظايا
تخلفنَ بعد انتهاءِ المسيرِ
وكيف احتوائى لصمتِ الليالى
وليلُ المحبين قاسٍ ضريرٍ؟

* * *

إليكِ.. وقد كُنْتُ أغلى العطايا
ومازلتِ أغلى الكنوزِ الثمينةِ
وأخلدَ ما وَقَعَتْ من لحونٍ..
بأسماعنا : أمسياتُ السكينةِ
إليكِ.. وقد كنتِ عِطرِ الليالى
رحيقاً على شفتى تسكبينةِ
ومازلتِ أكبرَ من ذكرياتى
وأبقى من النورِ إذ تمنحينةِ

ومازلتِ أعمقَ من أغنياتي
وأضوأ من خاطراتي الحزينة
ويا مرفئى من وراء العباب
لقد آن أن تستريح السفينة!

* * *

هنا موضعى .. صوت أقداميه
هنا خفقة .. فى دمي باقية
هنا شجؤ ما فات من عمّرننا
وبات يُحلقُ فى وهمنا
ضممناهُ قبل اشتعال السنين
وقبل تشتتِ أحلامنا
حملناه ذكرى، ورؤيا .. ودنيا
تفجّرُ أعماقَ أعماقنا
ولم ننس قبل افتراق العبير،
وقبل تفرّق أقدامنا

حكاية يومٍ .. وعُمْرٍ .. وفجرٍ
أضاء على أفق ميعادنا

شهيد الكلمة

لم يكن شيئاً غريباً

لا،

ولا كان رسولا في يديه المعجزة

لا، ولا باركت الشمس جبينه

كان إنساناً..

ودوداً كالنسيم

دافئاً كاللمحة المتقدمة

* «إلى روح نسيب المتى، الصحفي الشهيد ورمز الثورة العربية في لبنان».

عاريًا كالأرز... معروفاً كلبنان المدمى
حاملاً فى قلبه الغائرِ دنيا موصدة
وذراعاً مُجهدَةً
وكما تولد فى قلب العراء الأمنية
ثم تنمو...

فإذا الحب جناح
وإذا الإصرار قلب
والبطولاتُ ذراعٌ...
وكما يولد بعض الناس ميلاداً جديداً
وُلدت قصة نائر..
حاملاً فى شفثيه الكلمة!

* * *

يا شهيد الكلمة...
أصبحت بعدك ثأراً ولهيباً
أصبحت تسحقُ «نيرون» وتبنى كلَّ «روما»
أصبحت تغسل بالنور الدروب المظلمة

والقلوبَ المعتمة...

ولكى تصمد فى الريح الحروف العارية

ولكى تبقى جسورا فى فراغ الهاوية

ولكى تمتد من خلف الدجى كفٌ مضيئة

تلد الأشواق والأفراح والرؤيا العجيبة

تصبح الأرواح والأجال أدنى تضحية!

ولكى تبصر فى الضوء العيونُ الوانية

ولكى تورقَ فى الأرض العروقُ الذاوية

أومضتْ طلقةٌ غادرٌ

طلقة توقف قلبا

طلقة توقف شعبا

فإذا لبنان نائرٌ

وإذا الأرض بشائرٌ

وإذا الأحرار ملتفون حول الكلمة!

* * *

عندما يصبح كلُّ النور أن توقد شمعةً
فوق أحزان بلادی
وترى الكون عناقا وودادا ومحبة
رغم أثواب الحدادِ
وتعيش الغد مبهورا كأن العمر رغبةً
عندما يصبح كلُّ النور أن توقد شمعة
في ليالينا الطويلة
عندها ...
يصبح الهمس ... بطولاً!

(أغسطس ١٩٥٨)

الحصاد

أُجهدتا من فرطِ الظلمةِ
عينانا... فلنُغفِ الليلةِ
وسلاما ياليلِ الرعبِ!
ما زالت في فمنا كلمةٌ
كانت بهوانا مُبتلةً
يوماً لا يذكرهُ قلبي
وبصدريننا...
حلمُ الأطفالِ

فى ليله عيد
وبقايا ألوان... صبغت
روحينا... فى ذاك الدرب
أجهدتا من فرط الظلمة
عينانا... فلنغف الليلة
وسلاما... يا ليل الرعب

* * *

«الليلة»..

ما أبعدها... تلك الليلة!
جفت حبات العرق
نضبت صرخات الدم
لكأننا لم نقطع عمرا... لم تحفر قدمانا خطوة
لم ترشف شفطانا نهلة
ما أبعدها! ما أبعدها! صارت ليلة!
سقطت من وجهينا البسمة

غاصت قدمانا فى الوحل
لم تترك أيام أسانا
ضوءاً يثقبُ هذا الليل
طارت ساقانا فى الريح
وتكشفت الأغوار الضحلة
وتعرى وجه الأشياء
ما أضيع أن نبى فى الثلج!
وأمامى الكلمات الرطبة
ماذا يُجدى....
أن تنفخ نارا فى الموج
ماذا يُجدى...
مصباح تخنقه الكوة!
لا قيّد يُكبّل روحينا
إلا قيّد فى روحينا
قيّد يجذبنا للأرض

يجمع عينينا... والهفاً
يجمع عينينا فى الغمض!
ولأنك لم تدري أبدا
معنى أن تولد أشياءً لتموت
لم تزهر أبداً... لم تثمر
لم تترك أثراً فى اللوح
لم تعرف ما سرّ الشكوى
لم تدرك ما طعم البوح
أشياءً ماتت
ما زالت...

أعمق أخذودٍ فى جرحى
ولأنك لم تدري أبدا
معنى أن يلتقى اثنانِ
ويغيبا فى وهج اللحمِ
ستظل مدينتنا مُرّة

سوداءَ تعشش في الصبحِ
سنظل نضيع مع الحسرة
لا قيْدَ يكْبَلُ روحينا
إلا قيْدَ في روحينا!

* * *

كانت حبات النور ترشُّ ليالينا بشرى
تهمى...

تسأقط في قلبينا
تتشرب أمادًا منغومةً
ورذاذ الأشواق الحرى
يحفر في صدرينا جرحًا
وخطونا في الظل الوانى
نصنع من شبحينا شبحا
كلُّ اللحظات عصرناها
ورشفناها قدحًا قدحا

- «قل لى إنك لن تتسانى»
- هل ينسى عصفورٌ وكَّره!
- «قل لى أى غدٍ موعدنا؟»
- أولم تلمس كفك فجره!
- «هل لى كم تهوانى.. قلها»
وأضاءت عينينا نظرة...
الأيام ازدادت عمقاً
سعةً ... زادت ألوانا...
ونقشنا فى قلب الصخرة
اسمينا.. فانبجست قطرةً
من وهج الضوء
وانهارت كلُّ الجدران
إلا سدً...
سدُّ واحد..
يفرس فى قلبينا الظلمة

سد لم تصنعه يدانا

سد فى روحينا

فى روحينا...

* * *

أن يصبح فى فمنا نغم واحد...

أن يخنقنا ومض اللهفة

أن تلفحنا الشمسُ طريدين يجوسان الدنيا

ميلادٌ حلو...

فلنُعطِ الأيامِ مداها...

ولتأخذ كلُّ الأشياءِ طلاوةَ ما فى الأشياءِ

ولنحملَ قدرًا يدفعنا

أن نحيا...

رغم الآلامِ!

أن نمضى...

عبر الأيامِ...

أن نحيها...

أن نبتجها...

(يناير ١٩٥٨)

من فدائي إلى صديقته

لم يترك لي وهجُ الأيام...

إلا شيئين

شيئين اثنين

عينيك، وإيماني بالغدِّ

وبأن غدًا سيمرُّ.. ومازلنا يجمعنا وعد

أن نحيا في أرض النور

أرض الإيمانِ الهادرِ بالدم

وبعينيكِ أراجيحُ القلقِ الصَّخَّابِ

وضراعاتُ اللاهثِ من هُوَاتِ الغدِّ
لا تأسَى إن الركبَ يمرُّ
لا تتسَى.. موعدنا الفجرُ
ولقد أرجع من غير ذراع
أو ساق ديست في المنحدر الوعرُ
من غير فهمٍ يملك بسمَةً
من غير ذراع
أرفعها لتقول وداع
لكنى يوماً سأعود
ومعى أغلى ما تركته الأيام:
شيئان اثنان..
عيناك.. وإيماني بالغد

* * *

أنا في خندقِ الرطبِ المقرورِ
ألتمس الدفاء

سكن العالم
سكنت أنفاسُ الظلمة
حولى، وأنداحت أصوات الليل المذعور
وتعانقت الأفاق المهجورة
فى حضن الصمت ..
سكن العالم ...
حتى موجات البحر المنسحبات
تتعانق والشاطئ إلفين غريبين
جمعت بينهما آلام الغربة
وتكاثفت الكئيبان المقرورة
وتلاصقت الأشياء بحضن الأشياء
وأنا مقروراً
الكون مخاضٌ تزخر فيه الرغبة
بحنين لغدٍ آخر ..
شوقٍ لحياة ممدودة

وأنا ورفاقي ننتظر الطلقة
حتى نرحف..
وذكرتك حين ذكرت الدفاء
يفترش بقاعاً أخرى من هذا العالم
يفمر أياما لم يزحمها ظلم الإنسان
ماذا لو أطرقتُ على كفيك أروءُ حدود المجهول
ماذا لو ضممتي عيناك الداقتان محبة
وأضاءتني أنوارُ أمل..
إشراقه حب
ترنيمة قلب
ماذا لو غنينا.. لو غنينا..
حتى نَفنى في اللحن الممرح
حتى نملاً وجه العالم بالفرحة
حتى نُفرق وجهينا في وهج الضوء
ماذا.. ماذا..

ما زال كثير..

ماذا لو تركونا نحيا!

لم تنفد أمنية الغائب

أمنية العانى المقرور

ما زالت يا دنياى سطور

لا تأسى.. لم أهتل بعد

سأراك غداً.. إن جاء الغد

ما أبعدنا.. يا صبح الغدا

* * *

وأتى الطوفان..

يهدرُ من كل الأبعاد..

يا ويل التاريخ الدامى..

يا ويل طريق مطلول بدم الأحرار

خُضناه من الأبد الأوّل

يهوى فى يدنا... ينهار

وَأَتَى الطوفان ..
يمنعنا أن نلقى الغد ..
يهدم عشا من أحلام هوانا البِكر ..
يحرمننا من طفل .. يلهو .. يعبتُ في صدرك
وتتاغيه يداك الحانيتان
وتعودان ببسمة ثغر
هل هذا العالم إلا ومضة ثغر !

* * *

سأراك غداً
وبقلبي أغنية لم أنشدها لك بعد
أغنية الجيل الزاحف نحو القمة
أغنية من لفح ليالينا الجهمة
إنا والمجد على موعد ..
الدرب اتضحت للسارين
وتكشفت لون المنحدرات

من كل خنادقنا الرطبة
أبدأ نصعد
المارد هز قيود الصمت
أطلق عينيه لكل النور
لم تبق سدود تمنعنا عن خوض الموت
لن تساقط هذى الظلمة إلا بالظلمة
وبكت عيناك ..
عيناك الهائمتان بوعد ..
أن تلدا الحلم المشهود
ما أحلى أن نوقد شمعة
فى طرف رداء ..
ونخط كُليّماتِ الأضواء
ونعطر بالدفء رؤانا
ونناغى أغنية سلام ..
وانسكبت فى قلبى دمعة

ولأن غدا لم يبسم بعد

سأراك غداً ..

ومعى أغلى ما تركته الأيام

شيئان اثنان

عيناكِ .. وإيماني بالغدِّ

(نوفمبر ١٩٥٦)

بغداد تثور

شيءٌ يولد كالأسطورة
يولد في أعماق بلادى
شيءٌ يا عيني المبهورة
يتفجر في وهج الشمس
أرض صامته تتكلم
كف بالأفراح تسلم
ويدٌ غطاها ألقى الدمَّ
ترفع أعلاما منشورة

تحمل للعالم صوت سلام
ممرورٍ بدم الألام ..
يا صوتا ترفعه بغدادُ
فتعود لِيالى الميلاذُ
يا صوت الميلاذ الأخرضُ
تطلقه بغداد الثورة ..
ما زالت أرض الأسطورة ..

* * *

قدماك المجهدتان تخوضان الحومة
وذراعاك تتواءن ..
والصدر العارى المجهودُ
وهواجس تُولد فى الظلمة
ورجاءٌ يولد ثم يموتُ
يفرق فى ليل الأحزانُ
لكن الفجر المشهودُ

ما زال قريباً .. كالبسمة

في ثغر وليدٍ ..

ما زال يطوّفُ في «وهران»

في جفن شهيد

ما زال الفجر المشهود

ما زالت ترقبه عينان

يخبو.. يخبو.. ثم يعود

قدماك المجهدتان

قدماك تطيران..

وتخطّان

الخصب.. وأيام الأعياد

في أرض الفرحة.. في بغداد!

* * *

بغداد تنور

فترفرف أفراح النور

يا قرينتنا النائية الخضراء
يا أفقا مازالت فيه آثار دماء
يا ألف جناز من أحبابي .. من أغلى الأحباب
هانوا ..
كانوا يوماً عنقود شباب ..
الأيدى العارية الصلدة ..
والقامات السُّمَّر الممدودة
والألق الوهاج الدامي ..
غابوا .. لكن .. أىّ غياب!
حدّثْ يا ليل الأحزان
حدّثْ عن أحلامٍ جفّت في عينين
وصبايا خلف ثياب العرس
يصنعن مآتم كل الناس ..
يبكين طلوع الشمس .. مغيب الشمس ..
وحكايا كل زمان ..

يا أرض الأحزان المرة ..
ماذا فى تاريخك .. إلا
ليلُ الإرهاب الكابى ..
ماذا .. غير دم الأحابِ
يُنبت فوق دروبك ثاره
يا أرضى .. يا أرض الثورة
فلينشقَّ خليج العربِ
ولتخرجْ كل الأصدافِ
مازالت لؤلؤة تُغفى
فى القاع المطمور الخافى!

* * *

شئٌ يا عيني المبهورة
يتفجرُ فى وهج الشمسِ
شئٌ يولد كالأسطورة

يا مغرب

يا مغرباً ..

عانقنا صوتك لما لعله فيه الدم

يا مغرب ...

أبصرنا ركبك لما صارع حدّ الوهم

يا مغرباً ..

إنا في تيارك ننتالُ على الجبهات الشم

يا مغرباً ..

* «إلى أبطال الثورة العربية في الجزائر»

ثِقْ بالشعب الزاحف نحو القمة ..
ثِقْ بدماء الجثث المندفعات الجهمة
إنا حطّمنا ماضيّنا الأسود،
حطّمنا الظلمة
سنسير .. سنكبو ..
سنواصل هذا المرّقى
لن نستسلم ..!

* * *

الثورة يا وطنى فى كل شعابك،
فى جنباتك ..
نبعتُ من كل دروبك ..
من منحنياتك ..
غسلت بالنور ضحاياك
وغطتُ لون الأفق الغربى ..
هذا الأفق الكابى المعتم ..

أفق الحرية ..
مازال هناك وراء جبال المغرب
يفهق بالدم ..
مازال يعانق في «يافا»
أطيافَ الكرم ..
مازال يجرجر من «يافا»
أيام الظلم ..
مازال يُسوّر أرضَ النور
بقيود الرعب ..
مازال يلاحق قرصنة القرن العشرين
وشراذم حراس الحرية!
مازال يداوى بالخنجر
طعنات الخنجر!
مازالت طلقات المدفع
في قبضة حراس الحرية

تَتَّصَبُ .. تلاحق دنيا «مى»

وتكورها جنب الكرمة

أنفاساً هدأت .. وتهاوى

حوْلِيْهَا قلب غضُّ .. حىّ ..

لم يعرف أبدا غير الحب

الوادع خلف مدارج «يافا»

روْتُهُ عناقيدُ الكرمة ..

نسجته غصونُ الزيتون

غرست فيه أمانَ الأرض

حُبِّ الإنسان ..

لون الفرحة ..

أشياء غابت عن هذا القرن العشرين

هذا الأفق الكابى المعتم ..

فى المغرب .. فى الأرض الخضراء ..

حشدٌ يلطم صدر الهضبة ..

صدر المنحدرات الوعرة ..
قل للقرصان السَّاكر بالدم
ماج الأطلس ..
ماجت موجات البحر الشَّمُّ
هجم الإعصار الداوى بالموت
سقطت كل قلاع الظلمة
قل للقرصان السَّاكر بالدم
لم نطلق كلَّ قوانا بعد ..
مازال كثيرٌ ..
لم ننضب بعدٌ ..
فلتقبل أيام الظلمة ..
فليسودَّ الليل الباقي ..
فليتحول كلُّ العالم
ظلماتٍ راعدةٌ جهمة
فليسقط كلُّ مغاوير القمة

. وليتدافع كل الموكب ..
سنظل نسير ولا نصعد
سنناضل من أجل الغد
من أجل حياة الأطفال ..
لم نتحول يا وطنى أقزاما يخنقنا الرعد
من أجل الكرمية يا وطنى
يعتصر دواليها غرباء ..
من أجل الجثث المنجدرات وراء التلّ
جفت .. همدت .. لبّت ..
يا وطنى صرخات الدم
فلتلاحق .. فلتلاحق .. يا وطنى أيّام الظلم
ما زال بكل شهيد يهوى فى ساحاتك فمّ ..
مازلنا ..
ما زال الإصرار العاتى ..
لم ينضب دمّ ..
فإذا مروا بقبور الجيل الزاحف،

مروا فى الغد ..
لن تبخل أيديهم يا وطنى
أبدا بعناقيد الورد
لن تبخل باللمسة فوق جدار القبر ..
وسياتون لنا بالسَّعْفِ الأخضرِ فى لون الفجر ..
وبأيديهم عبءُ النصر ..
وسينهض ذلك التاريخُ الدامى
ينهض من تحت التُّرْبِ ..
ويمرُّون بهذا القبر .. وهذا القبر ..
ويقولون :
كانوا أحرارا .. لم تقتلهم أبدا أيامُ الرعبِ
كانوا أبطالاً ..
لم يقفوا أبدا عند حدود الوهم
كانوا آباءً ..
عرفوا أن طريق الإنجاب .. الدم!

* * *

يا وطنى ..

ثق بالشعب الزاحف نحو القمة

ثق بدماء الجثث المندفعات الجهمة

إنا حطّمنا ماضيّنا الأسود

حطّمنا الظلمة ..

سنسير .. سنكبو ..

سنواصل هذا المرقى ..

لن نستسلم ..

(مايو ١٩٥٧)

الخلاص

« ١ »

كنا نزنُّ دمعَةَ الشتاءِ تمنحِ العُصاةَ مغفرةً
وتغسلُ القلوبَ من مرارةِ التذكارِ
لكنا حينَ عبرنا مَفْرَقَ الطريقِ
وارتعدتِ فرائصُ الخُطى، وجفَّتِ الحلوقةُ ..
وراح يشربُّهُ في أحداقنا النهارُ
لما تهاوت السنون
واختلط المغيب بالشروق ..

تساقطت ذنوبنا ..

كأنها على جبيننا مسمرة

وغاص في أحشائنا، في عمق ذكرياتنا

ترددُ الأسى.. وشهوةُ الجنون

وليس ثمَّ واحةٌ.. ولا سكونٌ ..

سوى ضجيج المقبرة !

« ٢ »

كانوا يقولون لنا . في معرضِ النصيحة المُجرية:

الفجرُ آتٍ، فاغمسوا أقلامكم، وعانقوه

وظهروا بالحب لحظةِ النقاءِ والصفاءِ

وكلُّ ما عرّفتموه من حقائق الحياة مزقوه

ولا تقولوا كان بين دفتي كتاب ..

فباطلٌ ما تدعون .. باطلٌ ما تهرفون

وليس غيرُ ذاتنا المهذبة ..!

غوصوا إلى الأعماقِ خلفِ حكمةِ الأشياءِ

وكلُّ ذرّةٍ تجولُ في معابرِ الفضاءِ
وانسوا همومَ عصركم.. فكلُّها يهونُ

إن قيسَ بالذی مضى!

كانوا يقولون لنا..!

هل قائلٌ لهم بأنَّ فجرهم قضى!

وآن أن يُعانقَ التراب ..

ويلى.. من الحناجرِ المدربةِ!

* * *

« ٣ »

كرهتُكم .. كرهتُكم ..

يا مَنْ خطاكمو تشلُّ خُطوتى ..

ولم تزل أصدأؤكم تُميتُ صرختى ..

يا طالما وقفتُ عند بائكم ..

تلکأت رُؤای فی رحابکم

وما غنمتُ غیر ساقطِ الحديثِ والمتاعِ

وَعُدَّتْ فِي يَدَيَّ بَضْعَةً مِنَ الرَّمَادِ

ومسبحة ..

وفي جرابي العتيق مكحلة ..

وألفُ صوتٍ لم يُعَدَّ يُبين ..

يا طالما تمسَّحتُ عيناىَ في أهدابكم

أقول : زادى أنتمو وأىُّ زادٌ !

يالِى من السقوط والضِّياع

الويلُ لى ..

أكلما نطقتُ أو صرختُ .. كان صوتُكم؟

وكان سمُّكم!

متى أقولُ ما أريدُ أن أقولُ !

ويلى من الحديث الميِّت العقيم

ويلى من الوجوه فى قناعها القديم ..

شاهتٌ .. ولا تريدُ أن تحول

فألف نصلٍ خلفها يجولُ

يا مَنْ تسلَّتم إلى دثاري المهيب
حشوتموه من فضولكم
ومن فُتاتٍ ما تعافه العقولُ
ومن تسلَّل الرَّمادِ في الحريقِ
كرهتكم .. كرهتكم
يا مَنْ حَجَبْتُم عن جبينى الشروقِ
إنى على مشارفِ الطريقِ
أبدأُ من حيثُ انتهت خطاكُمو
من صَخْرَةِ المضيقِ !

(يوليو ١٩٦٥)

فلتنزل الستار

يَوْمًا خَرَجْنَا
نَحْمَلُ الْحَيَاةَ فِي أَكْفَانَا ..
نَدِيَةٌ وَجُوهُنَا بِلَمْسَةِ الْأَمَانِ
نَجْمَعُ مِنْ حَصَى الدَّرُوبِ كَهْفُنَا
وَمِنْ مَعَاوِلِ الشِّتَاءِ قَمَحْنَا
وَنُوصِدُ الطَّرِيقَ فِي مَفَاذِ الْأَحْزَانِ
يَا لِسَدَاجَةِ الْخَطِيءِ وَغَفْلَةِ الصَّدِيقِ ؟
نَسْأَلُ كَيْفَ غَابَ قَاطِعُ الطَّرِيقِ !

وأخطأت صدورنا يدُ الجبان
وكيف لم تُشعل أصابعُ الزمان
لواعجِ الأحقادِ .. والحريقِ؟
كيف نجونا من تعددِ الوجوهِ والألوانِ
يوماً خرجنا ..
شوقنا الطفلُ يداعبُ النسيمَ
وتُنبِتُ السلامَ في دُروبنا ..
وحين عُدنا ..
لم يكن يهتزُّ في جرابنا القديمِ
غيرُ بقيةٍ من الأسي ..
وهيكلٍ من الرجوم ..
وغيرِ بسمةٍ تساقطت
ولم تعدْ على الشفاه ..
نقولُ حين غاب عن عيوننا البريق
واصطدم التيارُ بالفريق

وضاع شيءٌ من قلوبنا وتاه :

أهذه هي الحياة؟

* * *

حين شككنا .. لم نجد ما يسترُ الجبين

تهاوت القلاع والحصونُ

واتّادتْ خُطَى المشرّدينَ في التخوم والقفار

تسأل: هل تفرّق التتار؟

وانداح طوفانُ الظنونِ الموغلاتِ في السديم

ينهشُ في عُروقنا

ورفًا طائرٌ على عُيوننا

يُنقِرُ البياضَ والسّواد

ويهتك المستور من صحائفِ الميлад

يا وَيَلْنَا

من ضجعةٍ على الثرى ورنوةٍ إلى النجوم

وليس في أعناقنا

سوى تصدُّعِ الأسي، وطَوْقُه القديم
يشدنا ..

إلى مواكب الحداد
إلى منابر النزالِ والجِلالِ
وَحَوْمَةِ الظُّنونِ
حين شكَّنا .. لم يكن! هل ثمَّ ما يكون؟
ألم تزل بقيةً رصينةً
من ماءٍ وجهنا المهين ..
نريقها على الحُطامِ والهشيمِ ..
وحيثُ يقبعُ الظلامُ .. لا نهاراً
فلتزل الستار!

* * *

الفاظكم فضفاضةً الحروفِ والصفاتُ
كأنها ثياب مِيَّتِ بلا رُفاتٍ
يا ليت ما نقول كان قَدَرُ أُمْنِياتنا ..

وصَوَّتِنا الذى أُريقَ فى مسيرةِ العَويلِ وَالصِّيَّاحِ
كنا غَفَرنا دَمعةً تَخونُنا
أو صَبوةً هوجاءَ تَعشقُ الفُتاتِ ..
يا ليت ما نَقولُ كان محضَ ذكرياتِ ...
يلوئها الليلُ ونُلقيها على مَسامعِ الصبّاحِ
يا ليت ما نَقولُ كان شائهاً وزائفاً
إذن مات واستراح ..
لكنه نُباح !

(يونيو ١٩٦٥)

من سفر أيوب

عذبتنا : كنا نزن الأسي

يمحو الأسي الماضي ويُسيه

تراكمت يا رب أرزاؤه

وأنبهمت عنا معانيه

كيف التقى في جوفنا حاضر

وغابر ولي، وآتيه

وكيف أصبحنا له ساحة

يعبرنا.. لكننا فيه

يَوْمًا حَمَلْنَا إِلَى حُقُورَةٍ
مَطْمُورَةٍ فِي السَّفْحِ نُخْفِيهِ
لَكِنَّهُ حِينَ أَنْتَهَى رَحَلْنَا
تَسَلَّتْ فِينَا غَوَاشِيَهُ
يَجْثُو الْأَسَى الْمَاضِي عَلَى بَابِنَا
تُمَيِّتُهُ الذِّكْرَى وَتُحْيِيهِ
وَيَقْبَعُ الْآتَى بِطُوفَانِهِ
عِنْدَ ظِلَالِ الشُّكِّ وَالتَّيْبِهِ
عَذَّبْنَا.. أَكَلُ هَذَا الْأَسَى !
أَمَا أَنْتَهَيْنَا مِنْ لِيَالِيهِ !
الْعَيْبُ فِينَا أَمْ بِأَقْدَارِنَا !
أَمْ فِي زَمَانٍ لَا نُجَارِيهِ !
يَدَاكِ تَتَّقَلَانِ فِي يَدَيَّ.. رَأْسُكَ الصَّغِيرُ يَسْتَدِيرُ
تَسَاوُلًا.. مُفْرَعُ الظُّنُونِ وَالْمَصِيرُ
تَمَزَّقَتْ غِشَاوَةُ الْغَرَامِ ..

وارتطمت أقدامنا بالمنحنى

يا ويلنا ...

حين التفتنا بعدَ لأى، نسألُ الدروبَّ

عن مكمِن الطُّعانِ فى جُنوبنا

كانت رؤوسنا توجُّ بالضرام

وتقذفُ الرَّماد فى القلوب ..

ويلاه حين يسقطُ اللُّثام

عن أفعوانِ الرغبةِ الضرير

ينهارُ وهَمنا اللُّجوجُ، يُسرِعُ الختام

إلى فُصولِ زَيْفنا

تغوصُ فى حُلوقنا

سنابكُ التذكُّرِ المرير ..

وخيبةٌ بعُمقِ كبرياتنا!

لو مَهْرَبٌ من العيون، من تساقطِ الظلامِ

لو رَجَعَةٌ تُعيدنا لَطَهْرنا!

تمسحُ عن شبابنا المقوسِ السنين
الغائر العينين في القَتامِ :

ضراوة الأيام !

كنا حملنا عبئها الثقيل طائعين

دون أسى يَعُوقُنَا، دون انتظار

للقادمِ الخبيءِ في الأعوام ..

كنا مددنا في شعابها اليدين

وامتلأتْ صدورنا بزهوة النهار

ويلاه من تراكمِ الغبار !

.....

يداكِ تثقلانِ في يديّ، وهمنا المُضرَّجُ الحسيرُ

يدفُعنَا .. أقدامُنَا تسير ..

تغوصُ في مناكبِ الزُحامِ

فهل نقولُ: أين؟

لو كان يُسَعِفُ الكلامَ !

العيون المحترقة

العري

من أجلك، أنفضُ هذى الكلمات، وأتعري
أخلع عن نفسي أقنعة الكذبِ العاهرِ
سقطتُ تحتَ الأقدامِ المُلتفَّةِ والملتحمةِ
لما التصقت رُوحانا، جسدا،
أغمضنا أعيننا الحيّرى
غَبْنَا فى وهج اللحظاتِ المحتمةِ
ساعتها، أشرقَ فينا ومضُ الصّدقِ الباهرِ
كاللّحةِ، أشرقَ، ثمَّ خَبَا

وتدافعتِ الأشواقِ الحرَّى

* * *

عيناكِ تقولانِ: تقدّم

لكنَّ يديكِ تصلبتا سداً يفصلنا ويعذبنا

عيناكِ تقولانِ: تنعمّ

لكنّك تفتلتين وتَسجين وتمتّعين

دلالاً، وهروباً مفضوحاً

أم تلك بقايا ما زالت تُثقلُ قاعَ النَّفسِ

خَلَّفها الزمنُ العاتى دَمْعاً لم يتحدَّرْ بَعْدَ

حتّى لكأنّاً فى ماتم

أسمعُ فيكِ عوَاءَ الدم

لكنّكِ تصطنعينَ وقارَ الحكمةِ والعقلِ المعتل

يهذى بالألفاظِ الكاذبةِ، الباردةِ، الجوفاءِ

تتعاركُ أو تتناغمُ، ما عاد يهَمُّ!

فالكلُّ سواءُ!

ها أنتِ معي، تُقَعِّينَ على بُرْكانِ الرُّغْبَةِ
 لاتخشين سوى أن ينكسر الحاجزُ، تتهاوى الأسوارُ،
 تصيري امرأةً مسعورة
 تتفجَّرُ رغبتُك الحبلى بعذاباتِ العُمَرِ المزموم الشفتين
 وتفيضُ ينابيعُ البهجةِ في دنياكِ المقرورة
 ها أنتِ معي ، أسمع صوتَ العطشِ الساخن،
 صوتَ هواجسكِ المذعورة
 جذبَ القيعانِ العاريةِ الظمأى
 فمتى تنطقُ شفتاكِ: تقدِّمُ
 أنزعُ عنكِ قميصَ الخوفِ
 وأمزقُ وجهَ الأوهامِ المبتورة
 فالعريُّ الكاملُ مولدنا، وحققتنا، وتلاقينا
 ولتسقطِ أهنئةُ الزيفِ!

* * *

لو أنى عشتُ العمرَ على بابكِ

ما خمدَ الشوقُ، ولا انطفأتْ نارُ الغربة
ولظلتْ سفنى المبحرةُ إليك تنوءُ بأثقالِ الترحالِ
جوعاً تتضورُ أو ظمأً
يا من يسقيني من خمرك
يقذفُ بى فى منهلكِ الساجى المتدفقِ
أرشفُ، أرشفُ، حتى أساقطَ إعياءُ أو تخمة
وأعودُ فتحملنى الأشواقُ ويثقلنى عبءُ الرغبة
من أجلكِ، أقتحم الليل ، وأعبرُ ساحاتِ الحمقى
المنتظرين بأعتابك
وأخوض وجوة المبهورين، الممتلين لأهدابك
يرجون الإذن، لعلَّ حديثاً منك، لعلَّ إشارة
أو حتى ظلاً من بسمة!
من أجلكِ أصبح هذا الفاتكُ فى ليلِ الأسطورة
هذا الوجه اللامع فى قلبِ الصورة
هذا العارى، فى هذى الصفحاتِ المنشورة

الغريّة

أوشك أن أسقط في تيه الكلمات
في قاع الحزن الغائر في فلووات النفس
يجرفني هذا السيل الطاغى من فضلات العصر
ينزعني من أرضي..
يلقيني في وجه العمر
ظلاً مرتجفاً، مخذولاً، مقررور الهمس
يفرسُ سكيناً في قلبي
يدميني، يحرق سمتي، يفرق وجهي باللعنات

أوشك أن أسقط حيث يضيع الناس وحيث يموت الناس
حيث تغيب الأصوات وينداح ضجيج الموت،
وتختق الأنفاس
فى صمت القبر
وأنا أتلهى بالموتى
مازلت أكفهم..
أتلهى بالصلوات
عبثاً أرفع رأسى من قاع البئر
بجثاً عن وهج الكلمات..
تخنقها أيدى الحراس!

* * *

أوشك أن أتعرى من زيف الحسّ ومن وهم المقدور
من لعنة هذا الزمن الكابى خلف وجوه الناس
أوشك أن أتفرسَ فيكم يامن أنتم حولى
وأراكم فى وهج الضوء الساطع، فى وضح الظلمة

أحجاما لاتخطئها العين
أصواتاً شوهاء النقمة
أقزاماً، مخذولين ومنهوكين ومطحونين وراء الليل
الممرور
أوشك أن أنفضَ هذا الثوب المثقوبَ البالى
خرقناهُ جميعاً ولبسناهُ
وظلناهُ..

يستترُ سوءتنا، ويدارى الوجهَ المذعور
أوشك أن أجهكم بالحكم القاطع
أنتم يا جبناءَ الحرفِ وبالعبةَ هذى الأيام
يا أبناءَ الصمتِ، ويا أحفادَ التيه
يا فرسانَ الليل ويا جرذانَ النور
أوشك أن أظعنكم بالسيف المبتور!

* * *

كلماتى..

يا صحراءَ قاحلة الجذب، عقيما

يا قدرًا أحمل حديه المفلولين،

جريئًا أو رعيديًا..

وحدى أرقب هذى الأفلاك الأرضية

وأتابع دورتها المنهومة

- فليستقط قائلُ هذا البيت

- وليحيا منشدُ هذا الحفل

وليتشذق هذا الأجوف ما دام يجيد السير على الحبل

ويرصُّ الألفاظ المنغومة

- وليحيا سيرك الكلمات!

* * *

وحدى أتلفت بينكمو، يا من أنتم حولي

أزعمُ أنى أبدأ أول حرف فى سفر التكوين

وأرى الأشياء بعينٍ تجهلُ معنى الذلِّ

وأذوقُ الكونَ بوجد العاشق يلثمُ وجهَ المعشوق

وأنادى من فوق الجبلِ الأجرد فى الصحراء

أدعوكم يا أصحابُ ويا أحابُ ويا فقراء:
منْ يثقبُ ظلمةَ هذا الليلِ؟

الرحيل

مُنْخَلَعًا عن كونكم أطيّر
عن وجه هذا العالم الموغل في الغرابة
لو كنت شاعرا في غير هذا العصر والأوان
لاتأدت فوقى عمامة أو قبعة
سيان!

ولانتظمت في مسيرة الذكاء والنجابة
وجهاً يزيد رونق الإيوان
ويدخل الحبور والسرور

على صدور النخبة الأعوان فى معية السلطان
ولا اعتدلت فى مسيرتى مفاخرًا بأئنى التبيع
والخدنُ والشفيع..

والفارس المنيع فى الأقران
إن كان ثمَّ للنزال حومةً أو غابة!
لكننى وا أسفاه، فى زمانكم أتيت..
طاشت سهامى،

ما هتكتُ إذ رميت..
كبا جوادى،

ما سبقتُ إذ عدوت..
نبا بيانى،

ما أصبت إذ نطقت

ولست فيكم أشجع الشجعان

لأحمل البيرق أو أخوض فى عجاجة الميدان

فإن سقطتُ أو نبوت أو كبوت
فحظٌ مثلى من أسى العيون.. دمعتان!

* * *

قبعْتُ حيث لانزال أو طعان
مرددا هتاف عاشق صريع
منمقاً حكايتي
بألف لون من فرائد البديع
مرتدياً إهاب فارس قديم
ووجه شاعر منيع..
كئى لايقال عاشق جبان
لم يحسن التشبيه والإشارة
ولا اصطياذ خاطر منمق العبارة
يجود بالدمِ المراق فى صحائف الأوراق
متممًا تعويذة الغرام والهيام فى هوى ليلاه
مبئلا بالدمع وجهها الوديع..

- مولاي إني عاشق مطيع..

وتمحى حكاية الأشواق..

* * *

اشتقت يا صحاب أن أكون واحدا
من الذين يملكون حظاً يومهم من المرح

وحظاً ليلهم من الشطارة!

العابرين كلُّ ساحة ومعترك

الناهشيين كلُّ حرمة وعرض

المالئين العين في جسارة..

من كل زهوة تصبها الحياةُ

في عروق الطيبين الوادعين

الفاهمين دورة الزمان والفلك

لطول ما تجشموا المهارة..

وأتقنوا التصريح والتلميح والإشارة!

* * *

ردوا علىَّ ثوبى المهترىء القديم

ردوا علىَّ بعض وجهى القديم

وحظى المرتعش السقيم

وحزنى العقيم..

فليس لى فى أرضكم سقيفةٌ أو بيت

لكننى، وا أسفاه، فى زمانكم أتيت!

سقطتُ فى برائن الكآبة

والزمنِ الموغلِ فى الغرابة!

* * *

منخلعاً عن كونكم أطير

عن ربة الأغلال فى تتابع الأسماء والوجوه والفصول

ودورة الأشياء حين تأسن الأشياء

أبحث عن مدينة أخرى وعن سماء

نقية، بلا فضول..

فلا تقولوا : طائش غرير

أسرجت خيلى واتجهت للعراء

هلمَّ يا رحيل!

سقوط الوهم

هل آن سقوطك يا ظلّ الوهم الشائه
تتمدد خلف عيون الليل المنطفئة
تعمى خلف الأبواب، وملء رؤانا المهترئة
وتظلُّ على الأنفاس ثقيلَ الوطأة والسيماء
كاللعنة .. أبداً لا ترحل ..
كالقدرِ الجاثم .. كالمنجل ..
تحصد أزهار أمانينا
- مازالت سرا لم تتفتح عنه الأكمام -

تجرف طعم الأمن الوداع فى أبعد أغوار النفس
حتى ألقاك ..

معنى القامة والإحساس ..

مخنوق النبرة والأنفاس

مسحوقاً، أمضى، أخفينى، أتضاءل، أتلفت حولى

خشية أن ينسحق جميع الناس !

هل آن سقوطك يا جبل الوهم الشائه

تحجب عنا لمخ النور وأفق الرؤيا ..

فنظلاً ندور ..

ونظلاً ندور ..

يقذفنا الديجور إلى الديحور ..

فى تيه الأصوات الصدئة !

* * *

أسأل :- يا مذلة السؤال :-

هل آن أن نعود للبراءة ؟

لفطرة الإنسان حين يملك الإنسان
بقبضٍ كفيه الضئيلتين زهوة الحياة
هل آن نعود للجراءة؟

لفطرة الإنسان حين يؤمن الإنسان
بقدره الغريق أن يلاطم الموج وأن يجاوز الردى
بحثا عن النجاة..

هل آن نعود للقراءة؟

لفطرة الإنسان حين يعرف الإنسان
حقيقة الذى مضى..

وجوهر الخبيء فى بقية الزمان..

أسأل: - من يجيبنى إذا سألت؟

وكلكم يعاقر الملل والهوان -

هل تعرفون قيمة الإنسان؟

كرامة الإنسان!

حرية الانسان!

ويجىء شتاء

فى قلب الليل العارى ينفجر شتاء
معتلّ الخطوة، ممرورا..
يأتينا اليوم على استحياء
أطول من كل عذابات العمر المحزون
أثقل من عبء التذكار ومن قاع الذكرى الشوهاء
أفدح مما ضاع، ومما فات،
وظل حبيسا فى الأحشاء
ويجىء شتاء

يتلاصق وهمانا
تتعانق روحانا
تتجمع فى أوتار الأعماق دماء
يتماوج فينا نبض الشوق.. وتتداخل فينا الأصداء
يتزاحمُ فينا وهج الدفءِ
وتتطوق فى شفتينا الأشياءِ
تبحث عن مأوى.. وغطاء

* * *

ويجىء شتاء
تدهننى الكلمات الحرى
الكلمات الراحشة الأهداب، المثقلة القلب بلفح الأشواق
الكلمات العارية من الزيف،
المتربة بصدق الأعماق
تدهننى الكلمات الحرى..
تقر صدرى بدبيب الأمل المشرق فى نبضات العمر

تنطق صمتي،
برنين الصوت الراءش فى خفقات الحرف..
كلماتك أنت..
بيضاء بلون الصدق الباقي
فى الأصوات وفى النظرات وفى الأشياء
كلماتك أنت..
خضراء بلون الحب المزهر فى الصحراء
فى قلب الصحراء الجرداء..
كلماتك تاريخى وخطائى
ولون القادم من أيامى
هذا الفجر الأبيض يشرق فى صفحة أوهامى
ويجىء شتاء...
نتحسس ماذا تركت فىنا الأيام؟
اللون الباقي فى الأحداق وفى الأعماق..
والعمر الذائب فى التذكار وفى الأشواق

يتحدى الموت!

كلماتك أنت..

أغلى من كل الصفحات ومن كل الأوراق

* * *

مرثية شاعرة عاشقة

أكان رساما!

يصبغ بالألوان وجه اللحظة الحزينة

وينتقى من مفرداتها حروف ريشته

من قبل أن ينغمس السواد في البياض والبياض في

السواد

ليصبحا شكلا وأحجاما ..

لكنه في آخر المطاف أثر الرحيل

منقبًا بين عيون الصبية المحتشدين في النهار

الصبية الصغار حين يجلسون فى انتظار

نبوءة ألقى بها العراف

عن صبية فى الغد يولدون

لابد أن سيولدون..

لم يولدوا فى الليل أيتاما

يحكون عنه حين آثر الطواف

ملتفعا عباءة الحزن الجليل

محطما ألوانه ومرسمه..

فلم يعدّ يكفيه ما فى الأرض من ألوان

لطمس ما فى الأرض من أحزان

وستر بقعة من السواد

ترقدُ فيها طينة الإنسان..

«٢»

أكان عازفا

ينهنه الليل على صدى قيثارته

ويقطع الأنفاس والأوتار من فجاءة النغم
ويسكب الأسى الشفيف فى محاجر العيون

ما أعذب الألم!

ما أعذب الألم!

تطهرى يا عين بالدموع

وانسحقى يا أرض بالندم

أكان عازفا!

وكنت أنتِ جرحه العميق، جرحه الأصم

وحينما تمزقت يداه فى ضراوة اللحن الأخير

وارتطمت عيناه بالظلم..

وليس بعد من صباح

رمى إلى الفضاء قيثارته..

وقيل مزق الأوتار.. فاستراح!

«٣»

أكان عاشقا..

ليس سواك من يقول عنه: كان ..
يعطيه شكله ولونه وحجمه ..
حديثه، وصوته، وطعمه ..
وعمقَ مقليته حين تتظران للأشياء
تستطلعان سرها الخبيء فى ضبابة المساء
ليس سواك من يقول: ما الذى أحسنّ فيك
ما الذى رأى ..
وكيف كان ملهما ..
وكيف كنت ملهمة ..
وحين شفه الحنين كيف جاش وارتمى .
منقبًا عن جذوة دفينه، وعن دثار
وكيف فى برودة الشتاء أشعل الأصابع
وغاص فى يدك واحتفى ..
وارتعشت فى كفه شرارة لم تتطفئ
تتأثرت أشلاؤها على جدائل الأوراق!
وحياً وإلهاماً!

«٤»

أعود للأوراق، من يسائل الأوراق!
ينتزع السرّ الدفين من برائن الأشواق
وليس غير شعركِ الصموت ، شعركِ الحزين
ولوحة يتيمة على الجدار..
كانها السطر الأخير فى رواية الحياة..
من يكشف الحكاية الحزينة الختام
حكاية العيون حين تستدير للسلام
نديةً بفرحة الظلال والألوان
كسيرة بخيبة الرجاء وانطفاء الأمان
.....

أقلب الحقيبة التى عذبها السفر
منقباً عن ومضة تقصح أو تشير
لاظللّ..

لا طريق..

لا أثر..

الدرب غام.. وانتهت حصيلة الرفاق
وارتحل القمر!

«٥»

يا وجهها الطفلىً فى خزائن الكهولة..
يدفق بالجلال والحنان..

يا جسمها الفارع فى مهابة الشموخ

يا منجما بكر الكنوز.. لم يطف به إنسان

أشهد لم تمسه مرة يدان

ولاتحسست طريقها إليه مقلتان..

جريثتان تبحثان فى دثاره المهيب عن خميلة وعن بستان

كأن موسيقى المساء خطوها

ورنة الفرح العميق صوتها

وحكمة الحياة همسها الوثير فى مسامع الليل الأخير

من يُسكت اللظى الملح فى الجوانح الدفينة

من يطفىء الحريق فى محاجر العيون
يئزُّ كالهشيم من حصاد عمرها الحبيس فى السنين
من يرضع الأمومة الظمأى إلى الأمومة!
تذوب من لهفتها تذوب!
من يلمس الجراح والندوب
طال بها الأوان..
تئزُّ تحت وطأة الحرمان..
من يمسك البركان، حين ينضح البركان
بكل فورة العصور..
بكل ما فى القاع من غرامها الكسير
ووهمها المضرج الحسير
الطفلة العجوز، تغمض العينين فى سكون
وتتمحى الحياة فى سكينه الرضا..
فليس للزمان من رجوع..
وتجهش الأعماق بالدموع..

«٦»

مشدودةٌ إليك خطوتى على الطريق

مشدودةٌ عيناى نحو شرفتك

اللّه يالبلابةُ تظلُّ مشهد اللقاء والفراق

وتستر المارين فى لواعج العناق

اللّه يا ساعات ليلنا الوثير

ما كان أصفاها، وكان أسرعا

وموكب الغروب يولج النهار فى الظلام

فيستدير فى شفاهنا الكلام

أغنية، حكاية، مرنحة

سخية الظلال والأشواق

«فى الليل تلبس النساء وجه اللحظة السجينة

وتطلق الأسرار كالعطور من أغوارها الدفينة

ويتمطى فى العروق أفعوان الرغبة الضرير

فى الليل تصبح العيون ملمسًا ومعبرا

تأهل الخطى، تكاد تجهل المسير
يلتحم الواقع بالخيال، والجنون بالشعور
وتكتسى جلودنا بزهوة الحياة..
ترجم الأيدي حديثنا الصموت
ويتسلل الكلام من نوافذ الأصابع المرتجفة
فى الليل .. كلُّ صدقنا العظيم.. زورا»

«٧»

أحلم بالجزائر البعيدة...
بسنديانة ملتفة الجذوع تحجب المدى..
منقوشة على ضلوعها حروف عاشقين
بشاطيء لَمَّا تزل على رماله آثار عابرين
تعاهدا.. واتحدا..
وأصبحا حرفين فى قصيدة..
أحلم بالرمال، بالصحراء ، بالعوالم الخصيبة
أحلم بالمدائن الشرقية المهيبة

بلوثة السحر الخرافى، وبارتعاشة الجنون،
يُفضى إلى العوالم العجيبة
أحلم أن أكون طائرًا، كالنورس المهاجر
منقرًا فى لجة البحار وجه موجة عنيدة
أحلم أن أطل فى خزائن الذين هاجروا ونقبوا
وأن أعيش فى طفولة الذين عانقوا الشمس والبحار
واحترقت وجوههم بزهوة النهار،
لكى يصيدوا فرحة جديدة!
أحلم أن أكون فى صباحك، فى زمانك السعيد
فى زمرة الذين طوفوا حيال سدتك
يلتمسون الإذن بالمثل
لديك يا مليكة النساء..
وأنت تأمرين، تعتبين، تصفحين
وتمنحين ودك الثمين منّ تشاء حكمتك
وتغفرين للصغار أن تجرأوا..

أحلم أن أكون فى زمانك الذى مضى،
ووهمك الذى قضى..
أحلم بالجزائر البعيدة!

الزيارة

الصوتُ صوتها .. جدارُ بيتنا القديم ..

رنين فرحنا الدهين في الضلوع ..

ومعطفُ الحنان للذين يغمسون في السديم

ذؤابة الخريف والربيع

ولوعة الخبيء في الأيام ..

* * *

الصوتُ صوتها ..

ورف طائرٌ على قلوبنا ..

وغامت العيون بالسلام..
واهتز شوق عاصف طويل..
يذينا كقطرة الشموع..
يا أيها القادم من ديارنا..
كأنما تجيء بعد ألف عام..
لاصمتَ في عيوننا.. ولادموع..
فلتسترح على جفوننا
يا وجه طيفها النبيل
يا صوت حزننا الجليل
لم يبق غير أن تزورنا
يا ضوءنا اليتيمَ في القتام
يا أنت.. يا مصيرنا..

* * *

نعبّرُ ما نعبرُ من مضايق السنين
لعلنا نراك في البعيد قادمًا لنا..

نبحر ما نبحر فى مرافىء العيون
نسال: هل تركت كلمتين فى طريقنا هنا
نحلم أن ساعدك طوقا وعانقا اشتياقنا
وهدهدا انتظارنا الطويل واغترابنا
ومسّحا هنيهةً على الجبين
يا أيها القادم فى سحابة الحنين
تسحّ فى عيوننا على المدى تذكّار
تفيض فى أعماقنا براءة انتظار
وتصبغ القادم من أيامنا اخضرار
يا أنت.. يا عزاءنا..

* * *

يا ويحنا...
حين التفتنا نرفع الرؤوس كالغريق
محدقين فى البعيد..
دون أسى يلفنا.. دون انتظار

كانت مواكب الحياة تغمر الطريق..
وتكتسى الوجوه زهوة النهار..
وكل شيء هادر.. كأنه جديد..
يا ويلنا.. كأن شيئاً لم يكن..!
وكيف ينسى رهبة المصير
أولئك الذين شارفوا مخاضة التراب
وانهمكت عيونهم فى دمعة العزاء
مشيعين وجهك النبيل.. كالشهاب
أضاء برهة وغاب
وقبل أن يُغيب الثرى
كانت رؤوسهم هناك تستدير
تبحث عن وسيلة إلى الحياة
كأنما الشهوة والميلاد والجنون
سبيلنا إلى النجاة!

* * *

يا ويلنا ..

الشمس تثقب الجدار من جديد
وصيحةُ الأجراس مثلما يهَلّ عيد ..
وحول لقمة الصباح يركض الصغار ..
وألف عرس رفًا واستدار
وأزهرتُ دروبنا للموسم الوليد
وارتاحت العيون هي سنابك الرضا ..

يا ويلنا ..

كأن شيئًا لم يكن ..

أليس غيرنا هو الذى قضى!

تنويعات على لحن أساسى

وجه مدينتنا،

أعرف أن خطاى تسابقنى فى الدرب إليك

أعرف أن يدى تشيران،

وأن هواى الكامن يتواثب فى عينى وفى شفتى

بحثاً عن لحظة ضوءٍ منشودة

أعرف أنك فى خاتمة الساعات ملاذ المتعب والمكدود

من زحمة هذى الأيام،

وقسوة زيف الأوهام،

ولغو الزمن الكاذب
أعرفُ أنك أنتِ أمانِ المغتربِ المهدود
ياأوى فى جوف الليل إليك
يرتاح إلى صفحة عينيك
يُسلم للصدر الحانى رأسا مجهد
أعرفُ، لكن لا أعرف عنك
إلا ما يمنحنا وجه مدينتنا الأسيان
حين يثير بعمقينا قلق الرغبة
ويفجر فى وهمينا خوف المجهول
فيئز بصدرينا شوك الحرمان
يفجؤنا وجه مدينتنا..
فيحيل ليالينا ندما
يقهرنا وجه مدينتنا
فيحيل أمانينا سأمأ
يصهرنا وجه مدينتنا

فتذوب سحابات الأشواق
مطرًا منهمرًا فى الأعماق
يطويه بئر الأحزان
يا من يُرجع وجه مدينتنا النديان
يخضلُّ بأيدينا فرحا
ويجىء، فتتهزُّ الأوراق، وتساقط ثمرات الحب
ويغرد طير فى القلب
فالدنيا .. لا أبهى .. لا أحلى
والعمر غناء، وأناشيد

صف شعورك

تقولين لى: صف شعورك
إذا ما جلسنا بنفس المكان، وأطبقت المقلتان
على لحظة عبرتنا وراء الزمان البعيد
وكنا ظننا بأن الذى فات، فات
وأن الهوى ذكريات

وأن الصغير الذى قد رعيناہ مات

وأنا اصطدمنا

ففى قدرينا معا غربة وافتراق،

ووحشة ليلٍ بغير ارتواء

وكنا ظننا ..

بأن الذى كان ..

وهمٌ سريع الفجاءة والانطفاء

وأنا سنصحو بذات صباح ..

فنلقى الذى فى يدينا هباء

تقولين لى: صف شعورك

من بعد عام تولى، وعام

وقبلهما، ألف عام، وعام

أقول: تغير وجه الزمان، تغير وجه المكان

تغير كل الذى فى يدينا

وحين التقينا .. استكان لدينا الأمان

تقولين لى: صف شعورك، قولى
إذا كان يحتاج بعد إلى ترجمان!

أسألكم:

فى طريقى إليك..

أراقب كل الوجوه، أواجه كل العيون،

أسارع مدَّ الخطى

لعلى أراكَ وضيقاً، مطلقاً

تُلَوِّحُ بين الزحام، تشير إلى وتدنو

فتدفعنى رغبة لاتحدُّ

لأجتاز نحوك كل المسافات

أطوى الطريق إليك، وأعدو

وما زلتَ بين الزحام تلوّح،

بين مئات العيون تطلُّ

ربيعاً، ندىّ الحياة، وظلاً

وأهتف من كل قلبى: حبيبى

فتهتف عيناك بالحب: أهلا
وينثال صوتك، يملأ نفسي
رخيمًا ، طليق الترانيم، جذلا
..

أسائلكم .. كلكم.. هل لديكم
نهار كوجه حبيبي
صفاء كعين حبيبي
نقاء كقلب حبيبي
أمان كعش حبيبي
أسائلكم.. لو تردون قولاً!

هدية الأيام

العام، بعد العام، بعد العام
يكبر في عيوننا شعاع طلعتك
يمتد في عروقنا نداؤك السخى بالوعود
يوقظنا، يشعلنا رغائبَ انتظار
تفيض أيام اللقاء واحةً ندية الوثام
وأنت، مثلما أبحرتَ في ضميرنا
سار، لغير شاطئٍ وغاية
مسافر على جناح حبنا المديد

تصنع من نجومه حكاية مُنمّنة
عميقة، بلا نهاية
متكىء على مرافىء التذکر البعيد
تطلّ ما تطل في عباءة السنين
نجوس في المخزون من ذخيرة الأحلام
العام، بعد العام، بعد العام
وأنت كنزنا الفريدُ
ضوءنا اليتيم في قتامة الأيام!

* * *

يفجؤنى حديثك الذى نفضت فيه جرحنا
أبحث فيه شجوننا، وبوحنا
وحزننا البعيد، حينما لم تسعف الأيام
فاصطدمت جباهنا أمام حائطين من سراب
كانا..

وما كانا سوى فى وهمنا

حين صحونا، امّحى الجدار
وارتبكت فرائص الظلام..
يفجؤنى الهمس الحىُّ، عاصفاً، ولافحا
ألم يزلزلنا معا
ألم يرنحنا معا
ألم يباركنا معاً، على بساط حلمنا الوثير
محلّقين، طائرین فى السحاب
نجوب فى عوالم الرؤى، مدائن النقاء والصفاء
تحملنا سحابتان، موجتان من ضياء
ونستريح حين نستريح فى عرائش السماء.
يفجؤنى أنى معك
وأن بالإمكان أن أراك هكذا، وأسمعك
وأن مرتجّ الخلايا بيننا
يهتز كلما لمست موضعك
يفجؤنى، أن الظلال فى مدينتى تجف، والغصون

تتوء بالهشيم، والثمار

يابسة قبل الأوان، والعيون

كأنها مداخن الحريق، لادخان

لكنه انتظار

يفجؤنى نجم بعيد الملح فى سمائنا يشير

لم تكتمل خطاه فى بروج الاستدارة

ولاتفجرت عيناه بعد بالضياء

لكنه، فى أفقنا يشير

أهتف قبل العصر، والأوان

منادياً كلَّ صباح يا حبيبي أطلعك

وكلَّ فجر عاشق إلى حمانا أرجعك!

* * *

العام، بعد العام، بعد العام

ولم تنزل تشدنا سواعد الأيام

نجتاز أرض الصبر والأشواق والكآبة

ونعبر العيون، والحتوف، والرتابة
ونلطم الوجه الذى لوّنه الحقد الدفين
فأفرخت سمومه على جدار الخد بؤرة القتامة
القبحُ فى وجوه الحاقدين بعض ما
يخفونه فى الصدر من دمامة
والحب فى عيون العاشقين فتنة الوسامة
كأنه علامة
على القلوب المترعات بالأمان والسلام
ورجفة الحنين حين تبدأ العيون فى الكلام
وتلتقى الأكف فى غلالة الرضا
العام، بعد العام، بعد العام
وأنت لى على المدى
هدية الأيام!

العيون المحترقة

فى وهج الشوق اللافح ماذا تملك عينايا
فى صمت اللحظات المخنوقة فى الإطراق
أرنو..

لاتملك كفايا..

أن تلمس هذا الوجه الذائب فى الأشواق
أغفو..

توشك أن تمتدّ يدايا..

يوشك أن ينفجر الصمت ، وأن تصطخب الأعماق

يوقفنى شئ ساجٍ فى عينيك
يكفى أنى بين يديك ..
أكتم صوتى .. صوت هوايا ..
ماذا يبقى من هذى اللحظات المختقة ..
إلا وهجٌ .. دامٍ
يبقى فى عيني المحترقة !

* * *

الشوقُ بحارٌ ومدائنُ
الشوقُ عيون مسحورة
أطيافٌ تولد كل مساء
وترفُّ بقايا أسطورة
شيطانَ بلاد معمورة
الشوقُ قلاع وسفائنُ
تمخر هذا البحر المائج فى قلبى
يحملنى ..

ما دامت عيناكِ جناحاً المزهوين
ينقلنى..

للوعد الصامت فى شفيتين..
يبعدنى..

لا أدرى كيف وفيم وأين!
الشوق طريق مسعورة..
تقتات دماى وأعصابى..
تشعلنى.. تشعل أهدابى
تسلمنى أبداً .. للحظات المختقة..
وهجا..

فى عيني المحترقة!

* * *

أملك أن أختار، ولكن ماذا أختار!
الشوق الرابض فى العينين وفى الشفتين
والعمر الذائب خلف الوهم كطرفه عين

وسواك، أملك أن أختار سواك؟
يا وجه ربيعى المفعم بالنوار
أملك أن أختار ولكن ماذا أختار!
ما دامت ملء خطاى تترُّ النار
وحدك لى وجه الأقدار
من يملك أن يدفع هذا القدر الموجل فى إنسان
هذا الإيقاع الغامر كالطوفان
هذا العبء بلون الأشواق أو الأحزان
حلوا، ممرورًا، سيان!
أملك أن أختار، ولكن ماذا أختار!
صمت اللحظات المختمة
أبدًا، يا عينى المحترقة!
أرجع كلّ صباح..
كلّ مساء..
لا أعرف إلا أنك لى..

هذا الوجه المأنوس الباقي
من أحزاني
من نيراني
من كل رمادي.. ودخاني
أرجع لا أذكر مما فات، ولا مما سيحيى
إلا أنك وحدك .. لى
قبسٌ فى عينى يضىءُ
عطرٌ فى شفثيه أفىءُ
وهجٌ يسعفنى،
يشعلنى،
ملء اللحظات المختقة
يا نور العالم فى قلبى،
فى قاع عيونى المحترقة!

كان حياتي

كان اسمك، يدعوني أطوى الأسماء وأطوى الأيام
فليس سواه
شيئاً كالألم المسحور، كوقع الحلم الهاتف،
أستشعره في.. وأخشأه
كان اسمك ينقرُ صدرى
تلمس أعماقي الخضراء يداه
تربت كفاه على دنياى
وتغفو في عينيّ رؤاه

كان اسمك يفريني أن أعبر هذا الموج
وأن أتحداهُ..

حسبى من رحلة أيامى..
قبسٌ فى وجهك ألقاهُ
هل يكفى الآن بأيدينا..
أن تبقى منه ذكراً!

* * *

كنت أقول لأيامى ولأشواقى ولأحزاني
يا قلبى..

هذا نبع البشرى، نبع الأيام المنضورة
يا نفسى..

هذا زمن الحلم الرائع، يسبق خطو النور لعينى
آه يا عينى المبهورة..

موكبها.. مازالت فى القلب خطاه المتتدات
موعداً.. ألف حكاية شوق، ألف صلاةٍ،

ألف سحابة خصب منشورة
رفت كالخاطر، والتفت كاللمحة لهفى، مذعورة
وانسكبت من فيض هوانا، نسمات العطر المنثورة
والتفّ الصمتُ يغطينا..
بظلالٍ واجفة.. حيرى
أقول وأسبق أيامى
أم تبقى لوعتنا سرّاً!
فى القاع الموغل فى نفسى
يدها مازالت محفورة
تمتدُّ فتمسحُ أحزانى
وتغيب، فتطمس الصورة
آه، يا عينى المبهورة!
أصحو..

فجميع العالم فى عينى، نداء منك، ندىّ الهمس،
عميق بالأشواق

أغفو..

فالدنيا لا أبهى : عرس وصلاة.. وعناق

أرنو للقادم من عمرينا

للسوق الذائب فى قلبينا

وأقول وداعا يا أيامى الممرورة

نبتت فى دربينا زهرة حب مسحورة

طالت.. عانقت الضوء جناح سلام ومحبة

العطر الساكن عمقينا

زادٌ فى رحلة عمرينا

أصحو

أغفو

ماذا يبقى..!

هذا الصوت الهامس أبداً فى أعماقى

أجراس سلام وحنان، ذابت فى لهفة أشواقى..

وبقايا نيران عصفت واشتعلت فيها أحداقى..

كان منار حياتى..
كان شعاع الفجر القادم فى ظلماتى
كان عطاء الأمل النابض فى صلواتى
كان حياتى!

كلمة حزن

من صميم الويل، من جوع الليالى العاريات

نبئت دمعتنا ..

ملحاً، بقايا من فتات ..

فورة تغسل أحزان الزمان ..

تمسح الرعشة عن أهدابنا ..

مثلما يهتزُّ خطو التائهين

تحت أعباء السنين

* عام النكسة ١٩٦٧ .

وارتجاف الذكريات
غرقت أحزاننا فى الصلوات!
والتفتنا ..

نسأل الأيام عن ماضٍ وآتٍ
علنا ..

نتقب الظلمة فى كل الجهات
مثلما ينهار حلمٌ غاب فى قاع العيون
كفنته الظلمات

ما الذى كان نقياً فى يدينا
ما الذى كان ندياً ..

نابضاً فينا .. ومات!

* * *

فمتى ترحل عنا يا ألم!
عارنا أنت، وسلوانا، وذكرانا معا
لم نعد نبصر فى أعماقنا شيئاً سواك

أى سر، أى طعم ، لم تلونه خطاك!
ويداك ، التفّتنا تصنعُ من أعناقنا عبئاً ثقيلاً
ولماذا لم تعدّ تتضجّ فى كرماتنا
غير عناقيد لياليك السحيقات القدم
العميقات الندم!
نحن غنينا .. وغنينا طويلاً ..
وانتفخنا فوق إيقاع لياليك فحولاً
وذبحنا بحة الصوت، وأتعبنا الطبولا
فلماذا .. حين غنينا تساقطنا ألمّ
وترنحنا مع اللحن .. طويلاً ..
وتساندنا صفوفاً وصفوفاً
وتماسكنا ذراعاً وقدم ..
فإذا أنت النغم!
وتعرينا صدوراً وقلوباً ..
وشفاهاً لم يعد فى طوقها أن تبتسم ..

وتهالكنا .. تفرّينا على وهم القمم ..

ولماذا ..

حين غصنا فى قرار الذكريات

وتحدرننا وراء الدمعة الخرساء فى أعيننا

لم نجد إلاك فى تاريخنا

وجهننا الباقي .. وأخدوداً عميقاً بالظلم ..

مثقلَ النبرة والإيماء مشدوخ السمات!

فمتى، يا شجوننا الكونى، يا سمعاً عبرناه أصمّ

نملك الرؤيا ..

نصوغ الكون فى لا .. ونعم!

* * *

شائه وجه النهار

فى عيونٍ جهمة منطفئة

زائف زهو الليالى الصدئة

قبل أن نغدو كباراً للملمات الكبار

قبل أن ترتاح أيدينا على نبض الحقيقة
ونرى الفجر طريقاً رحبة الصدر طليقة
ثرة الأشواك والأحجار، ملأى بالأمل
قبل أن نفسل بالحزن صدوراً .. لم تزل
يتحداها الوجل ..

وترى الأشباح في كلّ جدار
قبل أن نفتح للنور قلوباً مظلمة ..
عشيت من صبوات وانبهار ..
أيها الحزن الفدائي الألم
كن لنا طوفان شك يفرق الأرض البوار
علها تمنحنا الفجر البطل ..
كن لنا وانفض أماسى الغبار
يومها ..

نعرف طعماً للنهار!

باسم الكلمة

من أى أرضٍ مرَّ سنديادنا الحزين
مجللاً..

يخوض فى عباءة السنين
يحمل وزر عصره ووجهه المهين
من أى أرضٍ مرَّ سنديادنا، وعاد
فلا التخوم رحبةً، ولا القلوع
مزهوة كالشمس، تمخر المدى
يا أيها القادم، من مسيل جرحنا

من بئر عميق من مغارة الصدى
من رحلة الدموع..
اليوم لامواكبٌ تزجى ولا أعلام
ولابيارقٌ تطل في مشارف الزحام
ولاغمامةٌ تظلُّ ركبك الأمين
خرساء في عيوننا دموع كبرياتنا
وصامتٌ على شفاهنا تمرّد الآلام
يا أيها القادم من «نابلس» من «صفيين»
من كرمة يرتاح تحتها «صلاح الدين»
وصبية ينسجن من ضفائر الحنين
للفائبين عن ديارهم.. دثار
يا أيها القادم بعد ألف عام..
تعطل الصمت.. تعطل الكلام،
وانتحر الفارسُ في «حطين»
أهكذا مصائر الأيام!

* * *

لم تُهزَمِي.. يا كلمةً تطوف قلب جيلنا
وطلقةً بحجم ثأرنا وعارنا
وصيحةً تقفز من ضلوعنا..
لم تهزَمِي.. يا كلمةً أسلمها الأجداد للأبناء
مرويةً بالكبرياء..
مخضلة الحروف بالدماء
تمردت على غبار عصرنا المهين
ووجهه المرتخص الحزين
وطوفت نفوس في معابر السنين
تلاحق الذي مضى..
تستشرف القادم من نهارنا..
وتجرف الحدود والسدود والركام..
السندباد عاد في ضميرنا..
يُفْتَحُ المحار والأصداف
ويلطم الشطآن والصفاف

يسير، لا بيارق تزجى، ولا أعلام
ولامواكب تخوض فى الزحام..
اليوم.. لامنطق.. لاكلام..
تكلمت أحزان «عمورية»
وجرحها الموغل فى الأيام..
إن لم يكن فى ساحها «معتصم» جديد
هل فيكمو أنتم.. «أبو تمام»؟!

لأنك الإنسان

حين لمحتُ ركبك المضرَّج .. ارتجفت
غاصت خطاى فى معابر الظلال والسنين
وفى الحناجر الصقيلة لنجرت
خيطاً رقيقاً .. ذائباً بلا انتهاء
تشهقُ فى قراره بقية من البكاء
وأنت ظلٌّ وارفٌ مبارك النسيم
وسنديانةٌ عروقتها تمورٌ بالحنين
تمسحُ باليدين ما استكان من شقاء

وتنفض الحريق قى محاجر العيون
أقول للمعفرين فى غباره وجوهم
الموقدين فى عيونهم دموع كبرياء
والراكضين خلف صوته القديم
- من قاع وهمهم يعود صوته القديم -
ملفعاً بنبرة اليقين..

أقول للمشيعين فى غباره مواتهم
هنا حقيقتى التى عرفت!

* * *

وعن قريب كنتُ، حيث لا ترى العيون
إلا سحابة العناق، واختلاجة المناكب
التى تغوص فى قرارة الزحام
لكنى رأيت يا ابن جيلنا
ويا أب الذين يولدون
ما لا ترى العيون فيك من حقيقة الإنسان

ورجفة الذى يمور تحته التراب
بكل ما يضمه التراب من شجون..
بكل صوتٍ كان ومضَ بارق خبا
بكل صرخةٍ تحشرجت ولم تجد أبا
بكل دمة تساقطت على مواكب الطفاة..
وأنت سارٍ ملء خاطر السديم..
تبحث للذين يولدون فى الظلام عن دثار
تستلهم الوحي البعيد عن عيون الطيبين
الصابرين فى انتظار يوم نار..
وددت لو ربضت فى الطريق تلةً على الطريق
تمتد فى عروقها جذور كبرياتنا القديم
وتستدير كى تضمَّ ركبك العظيم
يا غامر الطريق باللحون..
وأنت.. وجهك الحنون..
وجهك الثرى بالأشواق والأحزان

وجه مصيرنا المزعجِ النضيرِ بالحياة

يقودنا ..

يقودنا ..

يقودنا لشاطئ الأمان

لأنك الإنسان!

أحزان الفقراء

وانحنى صفاً كانت على النهر تصلى
وانثنت صباراً تغمس في الشط المدمى راحتها،
وهي تبكى..

تلثم الأرض التي ضمتك عوداً فارعاً كالسنديان
عندما عدت إليها ذات يوم

قطعة من أرض مصر

قطعة من قلب مصر

* في رحيل جمال عبدالناصر

نبته تزهر خصباً وحياة
وسرى فى القرية الخرساء إعصار الهزيمة
فارتضى كوخ بوجه الريح وانهارت سقيفة
ومشى الحزن، ثقيل الخطو، عبثاً فوق أنفاس
اليتامى والثكالى
طافياً فوق الدموع..
يعصر القلب ويجتاح الضلوع
وترامى النبا الفاجع فى صرخة بومة
أعولت جارتنا..
- غاب فتاها فوق شدوان شهيداً -
وبكت أرملة ملتاعة
- قد ثوى فى أرض سيناء أبو أطفالها
راقداً من غير ثار -
طفلة توجس: ما عاد أبى
أماه.. قد حلّ الظلام..

وعيون لا تنام ..

طار عنها النوم والأمن وأحلام السلام

فقدت حارسها الفارع والليل قتام

ما الذى فجّر هذا الحزن فى قلب الرجال!

حزن آلاف الليالى والتواريخ العقيمة ..

أجدبت من لقمة الخبز ومن طعم الأمان

عريت من كسوة العارى ومن دفء الحنان

ودعاوى الأنبياء

ما الذى شدّ إلى الهول عيوناً ما تزال

ترتمى نحو السماء

باحتجاج الفقراء!

* * *

صوتك الحانى الجسور

قادم يجتاز أسوار التواريخ البعيدة

حامل من عطر «طيبة»

قصة المجد ورؤياه العجيبة
ساكب فى وضح الشمس وفى وكر النسور
لحن دنيانا الجديدة
فإذا الأرض نداءات وقمح وبراعم
وعناقيد كروم... وغضب
وإذا الأرض عبير ومدخن
ومفاتيح وأنوال تدور
وإذا فى قرىتى ألف هتاف يتصاعد:
أرضنا الحرة ما عادت تهادن!
الدروبُ اتسعت..
ثم تلاقى..
والعيون انفتحت
ثم تلاقى..
والعقول اندفعت
ثم تلاقى..
لم يعد يوقف هذا المدُّ شىء

إنه طوفان تاريخٍ ملئٍ بالضحايا
ونداءات السبايا
 واحتجاج الفقراء ..
 وإذا مصرُ على الضفة تختار وتبنى
 بيتها المفعم إيماناً وخضرة
 لم تعد تحمل جرّة ..
 أصبحت تحمل كراساً وإزميلاً وفجرًا
 أصبحت تضغط بالإصبع زر الكهرياء
 لترى الوادى حقولاً ورجالاً ومصانع
 والفضاء الرحب عمراناً وناساً وشوارع
 وتمائيل، وأحلاماً، وشعرًا
 وإذا مصر لكل الناس فيها، ولنا
 للحفاة البؤساء ..
 والعراة الأشقياء ..
 لم تعد سجنًا .. ولكن وطنًا!

* * *

مزقت فى يومك الفاجع ثوبًا لم تكن تملك غيره
مصر، لما خرجت تبكى أباهـ
راعها أنك لم تتطق كما عودتها
لم يجلجل صوتك الداوى مليا فى سماها
لم يدغدغ سمعها المشدوه فى هول الزحام
كان موسيقى لياليها وألحان هواها
وانتفاضات سراها
ما لها تطرق فى يومك إطراقة مذهول ذبيح
أفردوه فى العراء ..
واليتامى الفقراء
حول نهر الدمع طوفان صلاة ودعاء
وأناشيد وداع .. وقسم
كنت فيهم .. واحداً منهم .. لهم
حبة القمح وجلباب الشتاء
ويد الرحمة فى لفح البلاء

والأب الحانى إذا عزَّ الدواء
كنت فيهم واحداً منهم.. لهم
صوتهم.. صوت المأسى والشقاء
والغد المأمول فى عين الرجاء
كنت فيهم أنت.. فى تاريخهم
لغة الأرض..
وموآل الفداء!

تحت ظلال الزيفون

هذا.. أخيراً .. وجهك المضرج الحزين

وجهك يا برلين..

بعد انقشاع الحلم، والدخان والسنين

دامعة العينين، تهضين من حطامك المهين

تتوجين بالسلام فجرك المنور الجديد

وتفرسين وردة بيضاء، في حقول الطيبين الوداعين

* أتيح للشاعر أن يزور ألمانيا الديمقراطية في يوليو ١٩٧٠ عضواً في وفد أدبي يمثل أدباء مصر، وهذه القصيدة صدى لاهتزاز وجدان الشاعر من خلال هذه الزيارة.

ذكرى لمن تساقطوا وفي عيونهم حنين
وفي جباهم تطلع وفي ضلوعهم سجين
ينبض بالحب، وبالإخاء، والأمان
وتمسحين عن جبينك العنيد، ثأرك العتيد
وتفضين الظلم، والدمار، والأنين
يا عبرة الدنيا

نجوسٌ في ثراك، عابرين،
نطلّ في عينيك، خاشعين..
نصافح البرج المطل، والكنيسة المهدمة
وحائطاً يكاد أن يرتاح للثرى..
تماسكت عروقه.. بقيةً من كبرياء..
ولم تكن تطيق أن يلمسها الفضاء
كانت تجاوز السماء والمدى..
شامخة تتأطح الزمان والمكان
ولفحة من الدخان لم تزل مدومة

تعانق القصر القديم، والعمائر المصطدمة
تاركةً سوادها على ذوائب الجدران،
وفوق قبة المتاحف المهندمة..
ولم تزل تباغت الفنان، تستحلُّ وحيه ومرسمه
يا عبرة الدنيا نجوس في ثراك عابرين، خاشعين
نطالع الغد الوضىء، والشوارع النظيفة، المنظمة
ونلمس الفن العظيم نابضاً، يضىء كل ساحة ومنعطف
وعندما تقول شارة الميدان: قف
نجول بالعيون في المفاتن المزدحمة
يبهرنا اخضرارك المطرز الأنيق
يبهرنا قوامك المتد الممشوق
يبهرنا فضاؤك الطليق
تبهرننا عيناك حين تهجعين طفلة، وحين تصبحين
معشوقة تسألنا: من منكمو العشيق؟
نطالع الأمس الملحّ مرةً ونرقبُ الغدا

أنشودة السلام أنتِ؟
أم أسطورة الدمار والردى؟
وروعة الحياة أنتِ؟
أم بقية المطامع المحطمة؟
متى يزول عنك وجه البومة المحومة
يطل من خرائب الدمار..
وتستريح مقلتك تحت عبء الانتظار
يا فتنة نائمة.. مستسلمة!

(٢)

أحلم.. فى طفولتى..
بوجه جدتى «حبيبة»..
وكنت طول الليل ملء حضنها أنام
وفوقنا، تساقط القنابل الثقال تفرع المدى
فنلتصق..
وأحتوى، بقبض صدرى الصغير، صدرها الكبير

كأنما أنفاسنا معاً، تذوب، لانحس أننا سنختق
فالخوف جاثم على صدورنا، يجوس فى دمائنا ..
وملء ساحة الظلام ..
الخوف جاثمٌ .. ولا مفر ..
تسألنى مرتاعة العينين، جازعة
عن قصة الحرب، وعن ويلاتها الرهيبة ..
ومن ترى سينتصر؟
وكنت وقتها أعثم الحروفَ
صانعا منها حكاية عجيبة ..
وصورةً مخيفة للويل والثبور ..
وأقرأ الصحيفة التى أتى بها أبى ..
مفسرا خطوطها الحمراء والسوداء ..
وخاطرى مفزع يدور ..
«الحلفاء يزحفون»
«الروس يسبقون .. يدخلون فى برلين»

وتمحى العينان فى غياهب السطور..
وفوق سطح بيتنا راحت تنز طائرة
ويعول الصدى، يضجُّ مدفع، ويعول الصدى..
وتلمع السماء مثلما يضيئها قوس قزح
ونحن نحن الصبية الصغار، لم تعد تخيفنا المخاطرة
فالحرب للكبار..
يعرفها الكبار..
أعمارنا توقفت قبيل سن العاشرة
توهجى يا أرض بالشرر
واشتعلى بالهول يا سماء،
ماذا يهم.. طالما دفنت رأسى فى قميص جدتى..
وغابت اليدان والعينان فى الدعاء
أن يحفظ الله البلاد والعباد..
ويقبل الصباح، نلتقيهمو.. زرق العيون..
عصابة السكسون، يرتعون فى بلادنا

وعن بلادنا .. يدافعون!
كل صباح، يعبرون قريتي..
مهرولين في اتجاه بور سعيد
محنةً ظهورهم كأنما تتوء بالذى يُحمّلون
راجفةً ضلوعهم .. كأنهم للتوّ يصعقون..
كأنما في كل خطوة .. يضاجعون
فوهة الدمار .. والردى
ويعول الفضاء من جديد..
وأسأل الصدى..
ما أبعد الطريق .. والمدى!
وأين نحن؟ أين نحن منك يا برلين!

« ٣ »

رأيت «جوته» العظيم سائراً يختال في «فايمار»
تحت ظلال الزيزفون..
يصافح الزهر ويسمع الأشجار..

وينتقى من باقة الصبايا ..
زهرة الريفية الوديدة ..
رفيقة الحياة والمصير ..
رأيته، كان يغنى للطبيعة الحسنة لحن حبه الكبير
مرددًا: «أحس في فايمار
بأننى حرٌّ وأننى عظيم ..
كهذه الطبيعة التى تمنحنى روح الخلود ..»
وحين أقبل الصدى ..
رأيته يبكى، وخلفه معسكرات الاعتقال
فى قبضة النازى، يموت فى أفرانها النهار ..
يغيب فى أفرانها الأحرار ..
يغيب فى أفرانها الأطفال والنساء والكبار والصغار
وتختفى الأجساد والأطراف والضلوع والأبصار
تهرأت، تفحمت، تطايرت هشيم نار ..
وهذه السلالُ والأعواد من بقية الجلود ..

رأيت جوته العظيم، باكيًا، وشاردًا..

يمزق الأوراق، والأزهار، والأشعار

يصيح: ياللعار!

نعود يا برلين من فضائك المديد..

نعود من «جيرا» ومن «تارانت» في عيوننا سؤال:

هل بعد هذا يا إلهنا جمال؟

وتلتوى الوجوه والأعناق..

يشدّها انبهار لفتة إلى الظلال..

وآه ما أقسى الجمال حين يصبح الجمال في عيوننا

محال!

- «كأننى ولدت هاهنا..»

يصيح واحد من الرفاق..

فى كل ركن ها هنا ومنعطف

تسللت من بيننا سويعة قصيرة فريدة

ولحظة عميقة العطاء بالسلام والأمان

ونحن هائمون .. لا طريق .. لا هدف ..

- «كأننى ولدت هاهنا ..» -

تلك الظلال، والزقاق والروائح المبعثرة

ولفحة الرطوبة المستترة ..

وعبق الزمان حين يصبح الزمان

غلالة، طافية، منتشرة ..

هذى الأناقة الوديعة المنمنمة ..

تعكسها الوجوه والجدران ..

وساحة الدهليز حين يلتوى، ويحمل الخطى بلا

استئذان

يقودنا .. إلى الصفاء والسلام والأمان

فى البلدة الصغيرة المنغمة ..

.....

نعود يا برلين من فضائك المديد

نحمل فى عروقنا إصرارك العنيد

ووجهك المضمخ الجديد
وأنت تتبضين بالحياة والإيمان..
وتتثرين الحب فى أعمدة الدخان..
وتعبرين السور نحو فجرك الوليد
يا يوم رحلة العيود
يا يوم هدم السور^(١)..
يداك تومئان للرجال من بعيد
وتغسلان عن صدور الطيبين الوادعين
مرارة الأحزان..
يا لوعة .. الإنسان!

(١) كتبت القصيدة قبل هدم السور بمشرين سنة

نداء سلام

فى «باكو» أو فى «موسكو» أو فى أى مكان آخر

تملك أن تصبح إنسانا

إنساناً يحتضن العالم عبر تخوم الأسوار المحدودة

ويرى الأشياء كما لو كانت تولد أول مرة

إنسانا ..

يقرأ تاريخ العالم فى قاع عيون مشدودة

* كتبت هذه القصيدة خلال زيارة الشاعر للاتحاد السوفيتي في سبتمبر ١٩٦٩
عضواً وفد إذاعى.

تمتلىء نضالاً ومحبة
تتلاقى باسم الأمل القادم عبر الظلمات
تنهار حدود ومسافات
وتطل الأيدي الممدودة
تتعانق من بين الكلمات
وجهاً ويميناً.. ولساناً!

* * *

فى قلب الليل الصامت يولد حرف يتكلم
ينطق باسم الإنسان
القادم عبر مساحات شتى، عبر الآفاق الممرورة
يحمل فى جنبه نداء سلام..
وهنا، فى قلب الهدأة فى باكو
يتدفق ضوء الفجر على موجات خزر
لكن الفجر الغائر فى قلبى لم يشرق بعد
فجر دام فى بور توفيق

يتلمس فى وهج الموت طريقاً نحو الغد
ويغنى رغم الآلام..

* * *

فى «طشقند» بقايا من قلبى وحروف من كلماتى
تلتصق بجدران الزمن الخالى المهجور
وترابٌ يحمل عطر الفجر الأول فى تاريخ بلادى
وبقايا أصداءٍ خفتت من قافلة النور
الفتاح يعبر أرض «النهرين» يصافح سور الصين
يلطم وجه الظلمات ليشرق وجه الانسان
ويخاطب سمع الأرض بأجراس الملأ الأعلى
ويهزُّ الأصنام الوسنى فى أعماق القلب المدعور
الفتاح يفتح باسم الحق طريقاً للإنسان
يزرع فى درب الأيام بذور إحاء ومساواة
تتمو، فتوحدُ كلَّ الناس، تباركهم باسم الإيمان
وتُشيّدُ باسم الحق قلاعاً ومنابر

يرقاها الأسود والأصفر والعابد والزاهد
والعائد من ساحات المجد
أبطالاً كانوا.. ركزوا المشعل فى قلب السند
أطلالاً بقيت.. مازالت تشرق بالنور
تحملُ هذا الوجه الباقي من صفحاتى
تتحدى مرّاً الأيام!

* * *

أوشك أن تمتدَّ يمينى لتصافح وجهًا مألوفًا
وجهًا عربىّ السميت نديًا بالبسمات
أوشك أن يتلاقى الغابر والحاضر فى قلبى
تتداخل فى سمعى أصدااء صليل وصهيل
وفيالق وبيارق شتى ونداءات
أوشك أن أغرق فى هذا الوجه الزاخر ألوانًا وطيوفا
وجهك هذا المتألئىء دومًا فى قلبى
يصل إلى هنا، عبر الآماد وعبر الأبعاد المجهولة

يجتاز حدودًا وسدودا
ويضىء طريقى الموغل فى الأشواق وفى التذكار
ويقود خطاى إلى واحات الأمل الدوار
يا نجمة أيامى يا نور القلب
فتعالوا نعبر هذا العالم باسم الحب
ما دمنا نملك أن نتلاقى فى كلمات!

أصوات من تاريخ قديم

١. سيف الدولة

أدخل حلبَ الشهباءَ طليقاً أو مأسورا
أغزو..

أطعنُ صدرَ الرومِ، وأهتكُ درعَ الرومِ،
وأجمعُ أسلابَ الهلكى، والمدعورين
أتحولُ في يومِ النصرِ بيارقَ وفياتِ
ونسوراَ شماً وميامين

أدخل حلبَ الشهباءَ، طعيناً أو منصورا

أدخلُ في ركبكَ يا سيفَ الدولةِ، خلفَ غبارِ الفتحِ،
وتحتَ لوائِكَ يا سيفَ الدينِ
تثقلني باقاتُ النصرِ، وتحملني أعناقُ المنصورينِ
تدفعني موسيقى، لم تعزفها أرض بلدي، منذُ سنينِ
وأنادى

من قاعِ الحزنِ أنادى
- فأنا يا سيفَ الدولةِ دمعٌ في عينِ بلادي -

يا سيفَ الدولةِ
كلُّ سيوفِ العربِ تصلصلُ في الأعمادِ،
تهسهسُ في صدى الأقفالِ
يا سيفَ الدولةِ:

كلُّ خيولِ العربِ تحمحمُ في الأوتادِ .
وتسهلُ في نوباتِ التذكارِ
تحملُ تاريخاً مذعوراً
فلعلَّ الفارسِ يصحو، ينهضُ من كبوتهِ،

يمسح صدأ الحزن،
ويغسل عار الأشعار!

* * *

يا سيف الدولة:
أبناؤك - يا للعار -
في سوقِ الهلكى باعوك..
وعلى أسوارك في يافا - آه يا يافا - صلبوك
وعلى أرضك في عمانِ الثكلى داسوك
داسوا وجهك، وجهَ رفاقك في حطين
ألقوا باسمك، باسمِ بلادى، في قلب الطين
سقطتْ خيلاءُ الفتح، وضاعتْ رياتُ الشهداء
مزقاً تحت خيولِ الفلكِ الدوَّارِ
واصفرتْ أشعارٌ كانتْ باسمك مجلوة
تهتزُّ إباءً وحمية
«وأبو الطيب في صدر المجلس يخالُ بقافيةٍ عنقاء

ويقارُ غريانَ الشعرِ وأنصافَ المغمورين
ويردُّ سهامَ الموتورين بنارٍ من كلماتٍ ..
كلماتٍ غضبى .. عربية!»
المادحُ أغضى .. والممدوح
لكنَّ الخلقَ جميعاً، سهرُوا يختصمون ويحتكمون
وسراياكَ تدكُّ قلاعَ الروم، تدكُّ عروشَ الروم
وتعودُ بوجهِ النصر، ووجهِ الشعر
لكنَّا نحن سقطنَا عن صهواتِ المجد،
وعن صهواتِ الشعر
لما صرنا أسرى أو فارين
وتدورُ عباآتُ سوداء
بحثاً عن وجهِ عربىٍّ معبود
بحثاً عن يومِ عربىٍّ موعود
يحملُ شممَ العربِ، ويفرسُ فى قلبِ الصحراء
أغصانَ سلامٍ، ومناثر

ميلادَ فتوح ، وبشائر
وتدور عبااءات سوداء
تتشبث بعروق الغبراء
وبحبة رمل فى صحراء
والكل هباء!

* * *

أتساءل؛ يا سيف الدولة
هل ضاعت من أيدينا كل مفاتيح الحكمة؟
فسقطنا فى بئر النسيان..
وأكلنا ثمر العدم الأسود
وضللنا الدرب، فتحن نجوبُ صحارى التيه
تتناذفنا ليلاتُ الرعب، وأوهامُ المخمومين
لكن، لا لوح، ولا كلمة
لا فجر يشير، ولا نجمة
تصطدمُ الظلمةُ بالظلمة

ونظل حيارى مشدوهين

أتساءلُ يا سيفَ الدولة:

هل فقدتُ نارَ جوانحنا وقد الهمة؟

نقرؤك الآنَ فلا نرتاعُ، ولا نهتزُّ..

أولسنا موتى، مقبورين!

والموتى، هل يدميهم وخز؟

٢- أبو العلاء

الليلُ في «معرفة النعمان» جائمٌ عنيد

تلاصقت ألواحهُ كحائطٍ صفيق

وامتدَّ من حباله الغلاظُ وجهُ فاتكٍ جسور

ينسلُّ في دائرة الألوان والظلال

بحثاً عن الجياع والعييد

والموثقين في ضلالة القيود

وأنتَ في ذهولك الكونى مثقلٌ شريد

ترود بالخيال عالم الصراع والأضداد

تمدُّ للسماء

عقلاً طليقَ اللحم، وارىَ الزناد

يقدحُ باللهيب والشرر

مشيعاً فى دورة الزمان والفلك

حقيقة الأحياء والموتى وجوهر الصفات والأشياء

منفتحاً على صفاء النفس والسريرة

محدثاً .. مرددا

«الكون يا صحاب فى قلوبنا يضىء،»

حين تميلُ للرحيل زهوة العيون

فتبصرون.. يالهول ما ستبصرون!

وتشرق الجوانح الدفينة

بكلِّ سرٍّ كامنٍ فى قاعها يطوف..

عاريةً من الشكوك والظنون

نقيةً من الهوان أو مذلة السؤال

طليقةً من ربة الخوف ومن أسر المتاع

تساقطُ الأوهام والحتوف

ويصبح الموت صدى، وتصبح الحياة حزمة من الظلال..

الكون يا صحاب ليس ضحكة وليس دمة

لكنه رحى تدور تطحن الهشيم والرماد

والباذخ المعتد من شوامخ الجبال

بورك من يظل فوق ظهرها حبة رمل أو حصاة

تعوق ثقل الرقُّ والفجيعة

ووطأة الإذلال بالرغيف

لانقطة الزيت التي تمنحها اكتمال دورة الحصاد

يا من يدلنى على المسافر الحصيف

تحررت عيناه من رغائب البشر

يضئ للإنسان، حيث كان ، شمعة!»

يا شيخنا، يا شيخنا الضرير:

ماذا رأيت من وجوهنا فاخترت راحة البصر

ويقظة البصيرة!

ماذا سمعت من حديثنا العبوس، فاعتزلت

منقياً صحيفة الزمان، عن أثرٍ
قرأتَ فاكتفيت أم علمتَ فاسترحتَ!
لكنَّ قلبك الكبير، كالشعاع، دائماً على سفر
يجوب بدء الكون والختام
ويلحق القادم بالذى مضى
فى رحلة المعنى وفى قافلة الأيام
يا شيخنا، يا شيخنا الضرير
هل آن للإنسان أن يطاول السماء
بنبض قلبه الصغير حين تومض العينان بالأحلام!
بقبضةٍ لم تتسع للمسة السلام
لكنها تغوص فى ذبائح الدمار والحطام
هل آن للإنسان أن يجاوز الآلام
مهاجراً من عالم الملل والسامة
إلى صفاء «المحبسين»
وعالم النقاء .. والكرامة!

٣. عنتره

منفرداً، وتائها

منفرداً فى ساحة العراء، هكذا يُجندل البطل

ويسكن الصوت الملحُّ، غير نجمتين ، مقلتينِ

تسبران غور ظلمة الصحراءِ

تبحثان عن وميض مقلتين، آخرين، عن أمل

ويسقط البطل

مضرجاً بسيفه،

مجنولاً على وسادة الأجل

صريع لعبة الحياة والردى

ويسكن الصوتُ.. ويقبلُ الصدى

... ..

«فداء وجه عبلتى يهون كل شىء

فداء ثغرها الباسم أستدير للحتوف

مقبلاً، معانقاً..

منطلقاً من ذلة العيش، ومن رقّ السواد في الجبين
منتصراً على الفضاء، والمدى
منفرداً .. وتائها

يسقط سيفك العظيم في دوامة الرمال
محملقاً في العالم الذي يفتت الرجال
مستوحشاً، وشائهاً
يا عبلاً .. يا حرיתי

يا أملاً رفّ ودار واستدار في خفوق مهجتي
هددهته طفلاً على مدارج الثرى
وحين شبّ، شبت الحياة في عروق صبوتي

منفتحاً على رغائب الشباب وانطلاق زهوة المتيمّ الشجاع
يضع باليدين ، عالماً ، نما ، ترعرعا
كسرتُ قيدي عندما صرنا معا
- نما، نما، وأينعا -

حطمت رقي عندما صرنا معا

نخوض في عجاجة الميدان، نلطم الأقرانَ
باسمك النبيل، باحتواء مهجتي عليك،
بارتسام وجهك المنورِ الوضئ في سريرتي
وأنت في تمنحينني تميمة النجاة
- مخاطراً وسط الردى أقاتل -

تلقين في صحراء عمرى واحة الأمان والسلام
تباركين في خطاى وقفه الصمود والإصرار والتحدى
وعنفوان ثورة العبيد حين يحلم العبيد بالحياة
ويسقطون دولة القيود والسلاسل
يدعون: ويك عنتر المقدام.. كنّ لنا
لعبة المنى، لعبس للعرب
لكلّ مظلوم مطارد يقتاته الحمام والظلام!

* * *

من أجلهم، من أجل عينيك الجميلتين
لبست ثوب الموت، وأدرعته مسريلا بالدم

هصرتُ عيدان الغضب
آنست غيلان الفلاة والسباعِ العاوية
وأنتِ.. حيث كنتُ غايتهِ ورايتهِ
تبددين قسوة الوحشة والظلام
وتكشفين الجوهر الخبيء في قتامة الأيام

* * *

عنترَةُ الفارسُ: كان هاهنا، وغاب
عنترَةُ العاشقُ: عاش هاهنا، وغاب
عنترَةُ الإنسان: كان واحداً منكم، وغاب!

لؤلؤة فى القلب

أنت

يعبرُ العامُ..

ويأتى العامُ...

نرتاح إلى رؤيا جديدة

نعبر الكون، كطيرين وحيدين، على متن قصيدة

ونرى الأيام، والأحلام، كنزاً لا يحدُّ

وعطاء... كالأبد..

يلتقى العامان في لحظة ضوء قدسية..

وصدى الأجراس في الأسماع، أفراح شجيرة

ونداءات لفجر سوف يولد
أى شىء يا ترى، يحمل فى كفيه، فى عينيه،
فى آفاق
رؤياه البعيدة
تعبت منا الحكايات القديمة،
والنداءات الشهيدة..
تعبت منا الدهاليز التى كم ضيعتنا
وهى تخفيها عن الأعين، عن كل المساحات البليدة
يعبر العام،
ولكن..

لم نزل أكثر نبضا وعطاء
وحنينا للذى فات
وللقادم: شوقا ورجاء!

* * *

يعبر العام، ويأتى العام،
لكن..

أنت تبقيين وجودًا .. وأمل
وطريقًا نابضًا باللمسة الأولى، عميقًا كالأزل
وشعاعًا ثاقبًا أفق حياتي ..
ساكبا في عمق ذاتي .
قطرة الضوء .. الوحيدة ..
وأمان الأرض .. للنفس الشريفة
وهي ترتاح إلى شاطئ دنيانا الجديدة
وهي تهتز إلى لون المسافات المديدة
لحظة تولد فينا،
كانهما السيل، كاللمح المشعُّ الضوء،
كالرؤيا العجيبة ..
يعبر العام، ولكن أنت تبقيين حياتي
وسنيني القادِمات،
في غدى
والذكريات!

حبنا

فى الزمن المفرقِ فى القتامة
لا يملك الإنسان - كى يواصل المسير والترحال
يجوس أطلال النفوسِ والوجوه الخرية
وعبر آلاف الضحايا الساقطين تحت وطأة التجارب
المخيبة -
لا يملك الإنسان غير أن يصيح فى العراء باسمك
المؤانس الودود
لعله يملك الجسارة المفتقدة

ويستطيع الخوض فى الوحول والأهوال

بحثاً عن الأمان والسلامة!

* * *

فى الزمن المغرق فى السامة

ولذعة التكرار حين يصبح التكرارُ يومنا وأمسنا

وتأسن الأشياء، تأسن الطعوم فى حلوقنا

توقفت سنايك الزمن

وارتعدت فرائصُ الذين يحملون بيِّرقَ الخلاص

واشتبكت أصواتنا فى زحمةِ الهتاف، فى دوامةِ النباحِ،

فى حشجةِ الصدور والأنفاس

يبقى لنا الصوتُ الوحيدُ،

صوتنا اليتيمُ،

صوت حبنا القديم،

بأيها المدججون بالسلاح، أيها الحراس:

الليل مطبق.. ولا مناص!

* * *

فى الزمن الذى انحنى، على صدورنا انحنى، شارة عارا
نحمله كالخنجر المسموم، فى ضلوعنا، ونتكىء
يغوص فىنا حدهُ المسنونُ، غاصَ حده المسنونُ، آه
يا لذاة الألم!

وكاذبٌ هو البكاءُ.. والشكاية المهترئة
وباطلٌ هذا التظاهر المقيت بالندم
فليس فى عيوننا سوى انطفاء العيونِ فى انكسار
وأنت قابع هناك هامد الجناح، راعف المنقار
- يا حبنا الحبيس فى خزائن التذكار -
تجيئنا من بعد غيبة الربيع والأمطار..
محملا بزادك الوفير من بيادر الأسفار
حكايةً تؤنسنا،

تشعل فى شتائنا رغائب انتظار
لعلنا..

نصنع منك عالما يعيشه الصغار
ويشرق النهار!

أغنية الزمان القبيح

ومن بين كل النساء، وكل الوجوه،
لماذا توقفت عندك أنت؟
وحدقت ثانيةً وانتفضتُ..
وأيقنتُ أنكِ. لابدَّ أنتِ!
شعاعٌ بعيدٌ بغير انتهاء
وصمت عميق المدى.. لا يبوح
وحزن كآثار جرح قديم
وسمتٌ تجللهُ كبرياء

أأنتِ!

كنفسي التي لا تقرُّ

كأفقى الذى لا يُبينُ

كيومي الذى يترنح، يهوى، تغوص مناكبه فى الشقوق

تحقق عيناه فى جثة الأمس، تفترشان مساحة دربٍ

تقودُ خطاه إلى الهاوية

ويؤمنُ،

يرفض،

ينزعُ كل غشاوةٍ سجانهِ،

ويبصرُ حجمَ قزامته، وصكوكَ خياناتهِ، فيصيحُ،

ويختنقُ الصوتُ، يخفتُ إذ يتلاشى،

يحاول أن يستبينَ الصدى، فيضيع!

معا فى الزمانِ القبيحِ نسيرُ،

معا فى وحولِ الوحولِ نخوضُ،

معا نلطمُ اليومَ وجهَ المخاتلِ، وجهَ المراوغِ،

وجه الجبان المكشر عن كل أنيابه، وجه كل الذين
يقولون لا يفعلون، وباليتهم لم يقولوا،.. ونبقى معا..!

* * *

ومن بين كل القصائد

تظلين غابة شعر، تنوء عرائشها بالكروم

وتصدح أطيارها بالغناء الرخيم

وتلمع أنهارها بالنجوم

وتحمل أعشاشها اثين،

يلتصقان،

يدوبان،

ينغمسان بحضن السديم

يعودان بعض أثير قديم

يجويان كون الرؤى

يجوزان كل التخوم..

يطلان ثم يشيران:

«هذا الذى فى الثرى تكوّر وامتدّ: وجه دميم،
بطينته، وبأضغانه، وبكل صراعات أيامه، ورهبة
سجانه، وبكل مذلة أبنائه خلف سوق الرغيف،
وكلّ وضاعة حراسه القابعين وراء القصور،
وكل تمزق أبطاله الحاملين غبار المفاوز،
شارة عار القبيلة، غار الحتوف،
رجيم.. رجيم».

* * *

تظلين فى، وحولى،
وفى كل درب سلكتُ،
وكل شعاع يعانقُ نفسى، فتشرقُ، تصفو، تشفُ،
تفادُرُ طينتها
تظلين: أنتِ البداية، أنتِ النهاية،
أنت سفينة عمرى، مرفئى السمح، واحتى الخصبة
المشتهة..

تظلينَ تعطينَ لا تسامينَ، ولا أنتِ تتظيرينَ العطاء،
ولا تحسبين المودة بالشبر أو بالذراع
وشرقت، غربتُ، سيانِ،
لا بد يلتحمُ الكوكبان،
كأنا قدرًا
وأنتِ ككلِ البشر
عذابٌ وشوقٌ وضيقٌ ولهفة
وشكٌ ويأسٌ وأنسٌ وغربة
وصد وتعويذة واشتهاء..
ويمضى الخريف ويأتى الشتاء
فتهتز فى الصدرِ رجفة..
وتقدحُ أعماقنا بالشرر
ومن كل ما فى الحياةِ كيانك، هذا الذكىُّ التائرِ،
هذا الفريدُ الملامحِ، هذا النقى الغرابة
تظلينَ حولى سحابة

تظلل عمرى،
تروى حدائقه بالمطر
ونمضى معاً

الرغبة المعتقة

فى زحمة الوجوه، فى تعدد الوجوه والأسماء
لا تخطىء العينانِ وجهك المضمخ المنعم البهاء
فى زحمة الأنغام، فى دوامة السكون والضوضاء
لا تخطىء الأذنان موسيقاكِ حين تستديرُ لفتتك
وأنت إيقاعٌ ونبضٌ كبيراء..

فى زحمة الأنفاس فى تماوج الظلالِ والألوان
لا تخطىء الأنفاس عطركِ الفريد فى النقاءِ
وأنت سحر باهر ونشوةُ افتتاحان

وموجةٌ خضراءٌ لا تقرُّ في مكان
وغيمةٌ مشدودة العروق للسماء
تسحُّ في عيوننا على المدى ضياء
وتسكب الأشواق في أعماقنا .. نداء ..

* * *

كأننى من ألف عامٍ جئتُ بابك الوصيد
أبحث عن تميمةٍ وعن دثار
وأحتمى من لفة الهجير والأمطار
في ظلك الوريث أحتمى ..
في روضك الظليل أرتمى .. وأنتمى
في دفتك الوثير أنسج الأمان والأشعار
وأنت مأوى الوحيد والفريد
واتسعتُ عيناك لى ..
عيناك للغريب دار ..
عيناك ملجئى الأخير حين يدبر النهار

كأننى من ألف عام جئت بابك الوصيد
واتسعت يداك لى،
يداك لى جدار
واخضوضرت خمائل التذكار
يداك تعبران خاطرى
ترتجفان، تستديران براءة انتظار
وتستحئان الخطى إصرار
كأنما من ألف عام كنت لى..
من شدة التصاقنا أقول:
لو كنت لفضة وحيدة على فمك
إذن أقمت ها هنا وما ارتحلت
لو كنت لمعة وضيئة بمقلتك
إذن فها هنا عبرتُ واسترحت
لو كنت لحظة سخية بشرفتك
إذن لعشتُ ها هنا وما برحت..

لو كنت رثةً بعيدةً بمسمعك

إذن لذاب خافقي الذى عزفت!

* * *

أحلمُ أن تطيحنا رغبتنا المعتقة..

من ألف عام وهى تنقر الجدار، دون جدوى،

تنقر الجدار

حبيسةً فى القاع من عيوننا المحترقة

وفى ظنوننا المعلقة

مسلوبة الرنين والصدى..

عارية لم تستتر، لم تصطنع إزار

قد آن للغليل أن يروى..

وللغريق أن يصارع التيار..

قد آن للسجين أن يفكّ من قيوده وينطلق

كأنه إعصار..

ما دمت لى.. ما دمت لى

فأجمل الأشياء أن نصارع الأقدار!

لؤلؤة في القلب

من خافقي، من عمق هذا الكيان
تهتز في سمعي أغرودتان
من كل ما يحويه وجه الزمان
وأنتِ لحننا نشوةٍ وافتتان
إيقاع حب غامر يسكبان
تبسمت في الليل لي نجمتان
عيناك.. فيض السحر.. فيض الحنان
عيناك .. من تبرهما أم من جمان

لؤلؤة في القلب؟.. بل حبتان
وقطرتا ضوء؟.. أجل قطرتان
وضيئتان كالسنا.. نقيتان

* * *

أرتاح كالموجة.. للشاطئ
في صدرك المخضوضر النائي
في همسك المسترسل الدافئ
المنتهى في أو البادي
في وجهك المنور الهانئ
في حلمنا المستغرق الهادي
يا فتنة المصور الباري
وروعة العابد والقاري

* * *

ماذا لو امتدت يد في البعيد
تفسح لي درب الحياة الوليد

وتنفضُ الأمس القديم الجديد
وتحمل الفجر القريب البعيد
دنيا اشتياق وبقايا وعود
ونحن نبدى حولها أو نعيد
ونعبر الأيام طيرًا شرود
يسبح فى روض الأمانى المديد
ويسكب اللحن الشجىَّ الفريد
أغنية كالعمر.. لا كالخلود

* * *

هذى يدي تمتدُّ.. هذا فى
يشدوه وهذى نشوتى فى دمي
ونفحة تغمرنى فأحتمي
وأستظل فى حـمى الأنجم
وخطوة تحـملى فأرتـمى
فـفـايةُ النـشوة أن تـقـدمى

ومنتهى الفرحة أن تسلمى
وقمة اللحظة.. أن أنتمى!

لحظة لقاء

كم يبقى طعم الفرحة في شففتينا!

عمرًا؟

هل يكفى!

دهرا مسكوبًا في عمرينا..

فليهدأ ناقوس الزمن الداوى في صدرينا

ولتتوقف هذى اللحظة في عمقينا

لن نذكر إلا أنا طوقنا الدنيا، أغصينا

وارتاح كفانا.. تغرس دفتنا في روحينا

لن نذكر إلا أنا جسّدنا حلمينا
وارتاح الوهج الدامى فى عينينا!

* * *

قلبكِ فى صدرى، يسمعى أغلى نبضاته
يهدأ فى خلجات اللقيا، أغفو فى أعمق خلجاته
وأطل عليك، ضياء العمر، ونضرة واحاته
أقبسُ ومض الأمل المشرق فى لفتاته
أرشف نبع الضوء الهامى فى نظراته
يساقط كل رحيق العالم فى قطراته
وأرى دنيائى وأيامى أبدا تمشى فى خطواته

* * *

أسأل: هل تتسع الأيام لفرحة قلبين؟

تعبا،

حملا الدنيا،

عاشا مقرورين..

هل يخبو هذا الألق الساجى فى العينين!
ونخاف يطير، فتمسكه ، ونضم الدنيا بيدين
ونعود إلى عش ناء نرتاح إليه طيرين
أسأل: هل تتسع الأيام لنضرة حلمين!
أقرأ أيامى عندهما كونا يتفجر لاثين

* * *

عيناى تقول، يداى تحدق ، والأشواق
فيض يفمرنى، يفرقتى فى لفح عناق
وحريق يأكل أيامى.. يشعل نيران الأحداق
مازلنا من خلف اللقيا نبضا فى صدر مشتاق
أملا يتجدد موصولا .. معسول شراب ومذاق

بين عينيك موعدي

«بين عينيك.. موعدي..»

وأنا أحمل أيامي وأشواقى إليك..

وأرى فى الأفق النائى يدا تمتد كالوعد، وتهفو

وأرانى نحوها.. طوع يديكا..

من قديم الدهر، كانت نبضة مثل اهتزاز البرقِ

مثل اللحم،

شئ لست أدريه احتوانى،

فتلاصقت لديكا..

يومها، وارتعشت عينانِ

أغضى خافقان،

استسلما للخدر الناعم ينساب ويكسو وجنتيكا

يومها، واتحدت روحانِ

أغفت مقلتانِ

اختارتا حلما برىء الوجه، حلو السميتِ

عشناه نديا، أخضر اللون، وضيئاً

وقرأت العمر مكتوباً.. هنا.. فى مقلتيكا!

* * *

«بين عينيك موعدى..»

وأنا كل صباح ألقى نبرة اللحن المندى

ساكباً فى قاع أيامى ربيعاً واشتياقاً ليس يهدا

ليس يرتاح.. سوى أن عانق العمر وضما

ليس يرتاح.. سوى أن أشبع الأيام تقبيلاً ولثما

وتهادى، كاخضرار الفجر، مزهو الأسارير

طليق الوجه، مضموما إلى وجه المفدى
لمسة، وانطلقت منك يد
تعزف أنغاماً..
وتهتز رياحين ووردا..
مسحت جبهة أيامى، محت عنها عناء وتهاويل وكدا
واستقرت فى يدى لحظة صدق، خاشع الخفقة
ينساب وعودا..
ذقتها وعدا فوعدا..
ذقتها يا مسكرى.. شهدا.. فشهدا

* * *

«بين عينيك.. موعدى..»
يومنا القادم أحلى.. لم يزل طوع هوانا
كلما شارفت الحلم خطانا، واطمأنت شفتانا
واستراحت مقلتنا
وتمنينا، فكان العمر أشهى من أمانينا، وأغلى

وظلنا أن خيطا من ضياء الفجر يهتز بعينينا،
سلاما وأمانا..

كلما قلنا بدأنا وانتهينا..

صرخت فينا وفي أعماقتنا، لحظة جوع ليس يهدأ
فرجعنا مثلما كنا،

وكنا قد ظلنا الشوق قد جاوزنا، وانداح عنا

ويد تمتد من خلف الليالي، كي تطلا

نسجت ثوب حنان ليس يبلى

طوقت أيامنا الخضراء أحلاما وريحانا وظلا

يومنا القادم.. أحلى

يومنا القادم.. أغلى

أروع من عينيك.. لا

أروع من عينيك.. لا
النجمتان.. تهديان خطوى الأمين
منارتان.. تثقبان ظلمة السنين
فأهتدى إليك..
والمس الأمان فى يديك
وأعبر المدى الحزين..
أروع من عينيك.. لا.
سفينتى إلى مرافئ القمر

وديعتى ..
وزادىَ الكبير .. والسفر
على شعاع مقلتيك
يا بسمة مهاجرة
من عالم الأثير والصفاء
من روضة العبير والنقاء
وضيئة .. وعاطرة

* * *

أروع من عينتيك .. لا
شعاعتي إلى المساء
ورحلتى إلى الضياء
جناحىَ المرفرف المحلق المفتون
وعالى الخصيب باللحون ..
أقول: ما أبهى .. وما أجملا
أروع من عينيك .. لا

* * *

عند انكسار الضوء ثمَّ موعد لنا
نخطفه من قبضة الزمان والمكان
التائهان فى مسيرة العراء
فى لفحة الهجير والصحراء
تقلبا ..

على مرافىء السلام والأمان
تغريباً ..

عند انطباق الأفق، والسماء
توشك أن تهتم بالبكاء
سحابة سخية معطاء
وديبة تُظلنا

عند انكسار الضوء، ثمَّ موعد لنا
عيناك فى الطريق كوكبان يهديان
يداك تمسحان رعشة الأحزان
تذكّار ما مضى من الزمان

وتسكبان الظل والرحيق والحنان

فى الدرب.. عند المنحنى..

فثمّ موعداً لنا..

نخطفه من قبضة الزمان والمكان

أعود لا أذكر غير ملمس الأشواق

ورعشة محمومة كأنها عناق

ولحظة وحيدة تضمنا..

فأعبر السنين كى أراك..

أعود تغرس اللحون فى جوانحى خطاك

رقيقة..

طليقة..

كأنها يداك..

أعود ملء خافقى بريق مقلتيك

يضيئنى..

يهتف بى..

يضمنى..

يشدنى إليك..

يكشف لى سبائك الأعماق

يا كنزى الفريد والوحيد

فى رحلة الهجير والأشواق!

أنادى عليك

أنادى عليك..

برغم المسافات، رغم انهماز الللال
برغم انطلاق الزمان، برغم امتداد المحال

برغم اقترابك منى.. أنادى

برغم ابتعادك عنى.. أنادى

وأعلم أنك فى..

وأن طرلى إلىك يؤدى إلى

ويفضى إلى خاطرى واعتقادى

وينثر زهر هوانا القديم على كل ظل وواد
وما زلت رغم الليالى أنادى
ألست رحيقى وزادى!

* * *

أنادى عليك..
وألمس نبض الصدى، والمدى، كاسيا وجنتيك
وألمس نبض اشتياقى إليك
وأدنو..
أمد إليك اليدا
لترتاح طيبة فى يديك..
ويرتجف للمس، ترتجف اللحظة الباهرة
وترتجف الومضة العابرة
وترتجُ حتى الخلايا
وحتى الضلوع البعيدة خلف الحنايا
ويهمس شئ دفين الحكايا..

أنادى عليك

فترسم اللحظة الشاعرة

ويسطع وجه الزمان ويشرق صدر المكان

وتدنو..

وأدنو..

وتلتحم الخطوتان

ويغتمض الحلم.. يسكب فى مقلتنا الأمان!

* * *

أنادى عليك..

وأنت ضيائي الذى لا يغيب ولا يغربُ

أنادى عليك

وأنت الصدى العذب.. لا يكذبُ

أنادى عليك

وأنت ربيعى.. وكأسى التى أشربُ

أنادى عليك..

وأنت رحيمى الذى لا يغيض ولا ينضبُ..

أنادى عليك..

وأنت قريب، كنفسى منى، بل أقربُ!

موعد مع النجوم

من أى ساحات الخيال جئنا ..

من أى أرض، ثرة الأفراح والأشواق

غمرتنا سحابتين من رضا

وموجتين من شجون

يا مخصب الأيام باللحون

ودافق الحياة فى العروق

أما شهدت فرحنا

لضمتين .. قبل طرقة الفراق

ورشفتين..كل رشفة مذاق
وخطوتين.. كل خطوة عناق
من أى ساحات الخيال والجمال جئتنا
يا حلمنا القديم.. يا عزاءنا
يا فرحنا الجديد.. واحتواءنا
لكل ما فى الأرض من مواكب الحنين والسلام
لكل زهرة عبيرها يعطر الأيام
لكل دفقة ندية كأنها ابتسام
يضىء فى شفاهنا !

* * *

تسوخ فى الرمال، فى متاهة الثرى أقدامنا
لتشهد الحياة أنت
نُبحر ما نبحر فى مرافىء المحال
لتلمس القرار أنت..
وتحضن الشاطئ والأصداف واللال..

نطالع المساء، تائهين ، عاريين فى القفار
لكى يضىء فى عيوننا شعاع مولدك
وتستدير فى جباهنا حمرتك المرنحة
ويملاً الوجود من عطائك الفريد
سحابة على المدى تظلنا
يا لهفة السنين فى أعماقنا
ودفقة الرجاء فى أحداقنا
إنا هناك، عند بابك الأمين
نشفق أن تصدنا..

مشردين، مجهدين غارقين فى السنين
فهل تضمنا رحابك الفساح؟
من لوعة القفار والبطاح
من ثورة الهجير والرياح
يا غامر الطريق بالأشواق والأفراح
وساكب الضياء فى القلوب والعيون

كأنه صباح!

* * *

على وسادة من السلام والأمان

يضمنا جناحك الرقيق

وملء أعين الرضا

تضئ قطرتان من حنان

وتتبتان فى الطريق

ثمار ما خضناه من عذابنا القديم

شعاع لحظة تحملنا على مشارف النجوم

تذكار موعد مضى..

من غير أن تضمنا يداه

من غير أن تُظلنا خطاه

لكنه هناك ملء خاطر السديم

مازال فى روائح العبير والعناق

ولحظة عميقة العطاء والأشواق

ومقلتين تتبضان فى الذهول والإطراق
لأنه موعدنا .. تذكارنا القديم
على وسادة من السلام والحنان والأمان
يحملنا ..
يحملنا إلى النجوم!

وحدك المصير

من أجل لحظة وحيدة تضمنا
تاقت خطانا فى مسارب القفار
من أجل أن يفىض صفونا وأمنا
راحت يدانا تطفئان زهرة النهار
وتصنعان من ضلاله دثار
يظلنا .. يدفتنا ..
الآن .. لىس غير مقلتك .. أرتوى،
أعب منهما .. أطالع السنين

وليس غير صدرك الحنون مرفئى الأمين
يا صورة الهوى الأثير فى معالم العيون
من أجل لحظة وحيدة تضمنا
أسير.. ما أسير..

أعانق الفراغ والصقيع والهجير
لأن واحة ندية تطل فى يدك
وبسمة رضية تضىء مقلتيك
وموعدا يظلنى إلى القمر

من أجل أن يفيض صفونا وأمننا
وجدت حلمى.. واقعا مرفرفا لديك!

* * *

أكلما خطوات كان فى اتجاهك المسير!
يدفعنى الحنين والتذكار والشعور
تشدنى يد خفية إليك
أكلما خطوات خطوة.. وددت خطوتين

فخطوة تحملنى .. وخطوة إصرار
لعلنى أراك، أنتهى لساعديك ..
الآن .. هل أقول ما أريد أن أقول
مادام ملء قلبى وجهك النبيل
يا وجه أيامى المضمخ النضير
أكلما خطوت كان فى اتجاهك المسير
ألست وحدك المصير!

* * *

غنيت للأشواق قبل موعد الأشواق
وقبل ساعة تظلنا كأنها عناق
أجمل من عين الخيال موعدك
أروع من وعد السنين وجهك الوضىء بالنغم
أخلد من كل اللحون ما تقول أنت
يا مسكرى من دفقة الرحيق
سحابة العطاء فى يديك

تفيض، تفرق الحياة من حنانك الوديع
وموكب النعيم أنت..
ظلاله، أطيافه، تمثاله البديع
أروع من عين الخيال نفحة تتورّ الطريق
تغمرنى..
تشد أنفاسى
فهل ترى أفيق!
أكلما خطوتُ كان فى اتجاهك المسير!
ألسن وحدك.. المصير!

فى كلمات

هل طفء غلتنا الكلمات!

هل تملك أن تحملنا، أن تجمعنا..

أن تروينا فى لحظات

هل تملك أن تدفئنا؟

ما عادت تسقى شففتينا..

ما عادت تكفى قلبينا..

ما عادت طفء هذا العطش المسعور

هذا الشوق اللافح، هذا القلب المبهور

تتركنا نعثر فى خطوات

تتركنا بضعة آهات..

نففو.. نصحو..

ماذا فى كفيينا!

ماذا نملك أن نعطي!

عمران اتحدا فى كلمات..

* * *

لأ،

ليس سواك يعيد النور لعينيًا

لا غيرك، يسكب طعم الراحة فى كفييا

يحملنى فوق جراحاتى ، فوق شتاء الزمن المقرور

يفرقنى فى ومضة نور

يرجعنى للحلم الباهر، يكسونى دقتنا وعطور

يملؤنى، يملأ أعماهى

يا عمرى الذاهب والباقى

فأريح سفينة أشواقى

وترف الدنيا.. وتدور!

* * *

ماذا، لو تمطرنى عيناك بألف سحابة شوق!

وأنا كالعابد فى المحراب بقايا توق

أرشف ما يساقط من ثمرات القلب

أترع أيامى من نبع مسحور خصب

لو نملك أن نوقف يوماً لحظات اللقيا

لتظل حوالينا ألقاً يكسو الدنيا

وجها مزهوا نشوان الرؤيا

لو نملك أن نوقف هذا الزمن المولع بالدوران

ليظل العطر بأيدينا يصاعد من لمسات حنان

لو نملك، ماذا كانت تحكى العينان أو الشفتان!

عن واحة عمر عشناه والدنيا إيقاع أمان!

هل يملك أن يرتاح الرأس المجهد

فوق الصدر الحانى المسحور
بين يدين مضوأتين بعطر النور
هل يملك أن يرتاح العمر الأسعد
عند شعاع الوجه المنضور
يا فيض عطاء.. لا ينفدُ
هل تملك أن ترتاح الأنفاس الحرى
عند سكون الضوء الهامى فى عينيك
عند أريج العطر الغافى فى شفثيك
عند رنين اللحن السابح فى قدميك
هل يملك أن يرتاح القلب الدامى
هذا المفتون المشدود الأوتار إليك
فمتى.. يا حبى، يا قلبى، يا وهج الدفء
يا نبع حياتى، وصلاتى، يا ألق الضوء
هل تطعم عمرينا الآهات..
ونظلاً حيارى فى خطوات..
ونذيب الدنيا فى كلمات!

لماذا..

لماذا : كلما اعتنقت على شغف سواعدنا
وضج الشوق فى دمناء، ينادينا، ويدفعنا
وأغمضنا عيوننا أشعلت فيها رغائبنا
وكدنا نلمس الأحلام، كدنا نعبر الدنيا
طليقين من الأسر الذى كم قيد اللقيا
وأوشكنا نرى بالعين ما رفت به الرؤيا
أتى شىء ففاجأنا.. وأجهدنا ، وأطفأنا
وباعد بيننا حيننا، وفرق بيننا زمننا

ورحنا نرقب الأيام أن تأتي فتجمعنا

* * *

لماذا: كلما اقتربت من المرسى سفينتنا
وأوشكت الرؤى ترتاح والدينا تعانقنا
وقلنا نحمل الأشواق والأحزان والذكرى
نوسدها إلى صدر يهدد نارها الحرى
أتى شيء ثقيل الخطو بدد ما وهمناه
وغيضت لحظة الصفو الذى كنا صنعناه
وعدنا نسأل الأيام عن حلم فقيدناه
وفى أعماق أعيننا التى احترقت رأيناها

* * *

لماذا لا أرى إلاك فى صحو وفى حلم
وأنى فتحت عيني، وأنى طوفت قدمي
فأنت سحابة الأشواق والأفراح والنعم
وأنت الجنة المعطاء تفرني عطاياها

وتنضح ملء أيامى أطايبها وريها
وتحملنى على أفق بعيد الضوء كفاها
لماذا تطلق الأسرار من شفتى عيناك!
لماذا لم تعد دنيائى إلا بعض دنياك!
فهل يكفى إذا ناديت ملء العمر: أهواك!

أنا.. أنت

من جديد.. تعانقت أيدينا
وارتعشنا جوانحا وعيونا
وابتسمنا من بعد طول التأسى
ونسينا وجه الحياة الحزينا
بعد ما دارت الليالي علينا
ففضرنا عذابها والأنينا
وعرفنا أن الهوى يا حبيبي
لم يزل نابضا كما كان فينا

* * *

فرقتنا الأيام شرقا وغربا
وشرينا الفراق مرا وصعبا
ما الذى كان كامنا فى الحنايا
أيقظ النار فى الفؤاد قلبى
قد رسمنا على الطريق خطانا
كيف يمحو الزمان خطوا ودربا
وأرانا على المدى يا حبيبى
يحتوينا الضنى فنزداد حبا
ذاكر أنت خطوتين يوم كنا كطائرین
نقطع الليل بالمنى نلمس الفجر باليدين
وأنا أنت، والهوى قبلة بين عاشقين
إن تكن غبت مرة فأنا ذبت مرتين
من جديد.. وأنت زادى وذخرى
وصدى خافقى، وواحة عمري
والليالى التى تقضت سراعا
بعض قلبى، وبعض نفسى وفكرى

وحدتنا الأشواق حتى غدونا

طيف حب، فكيف تصبح غيري!

أنا حسبي أنى وضعت حياتي

بين حزن الهوى وسلمت أمرى

* * *

المواعيد والفكر والحكايات والسهرة

والعهود التي جرت بيننا، يشهد القمر

كلها الآن، لم تزل تملأ السمع والبصر

قل لمن بات مثلاً طابت الكأس والوتر

من جديد ندقُ باب هوانا

ونرى الكون عشنا وصبانا

ونعيد الحياة حلماً ندياً

مثلما كانت الحياة وكانا

من جديد يعود صوت الأمانى

وتعيد الدروب وقع خطانا

كيف أنساك يا تميمة عمري

سر عينيك يقهر النسيانا

لا تقل كان وانقضى إنما نحن ما مضى

نحن ذكرى توسدت خافقينا فأغمضا

وغدٌ مشرق الخطى يفمر العمر بالرضا

يا حبيبي.. وأنت لى ما الذى يفعل القضا؟

أنا إليك

أنا إليك، مبتدأى، حاضرى، نهايتى
أشعلت أيامى، فصارت نارها حقيقتى
فإن سئلتُ عن هواى هذه حكايتى
ندية كوجهك الملىء بالطفولة
رخيمة كصوتك المنساب فى سريرتى
عميقة كعطرك الزكى فى حديقتى
جسبى على طول الزمان، أنت، يا حبيبتى

* * *

لو نجمة تتير لى، لو كان يهمس القمر
بأن موعدا لنا، نسرقه من القدر
فلنتطلق أنفاسنا.. وشوقنا الذى استعر
وليحمل النسيم بؤحنا الشجى إن عبر
ولتسترخ عيوننا.. فى واحة مدى البصر
يا كم تشاكينا،
ظمئنا،
ثم أهبل المطر!

* * *

سيشرق الصباح يا حبيبتي، سيشرق الصباح
فليسكت الأسى الذى أظلنا، ولتسكت الجراح
اليوم لا مكان للدموع فى عيوننا، ولا نواح
إنا معا على المدى، يظلنا معا جناح
ما دمت ملء خافقى، فألف أهلا يا رياح

كلمات لاتسى

لو عدنا نقطف حلما كان يضىء ليالينا
ونلملم أفراحا كانت فى الغيب تناديننا
وخطونا عبر الأفاق وراء الأمسيات
لو سرنا يا دنيأى ، وديعين، وأليفين
لأضاء الكون على عينيك، وفى عيني

* * *

كلمات تولد فى الشفتين، وتغفو فى أعماق القلب
كلمات تصنع أيامى، تكشف لى أبعاد الغيب

تحكى لى ما طعم الشكوى، ترسم لى لون الأشواق
والصمت يظل روحينا، والفرحة تغفو فى الأعماق
ونروح نغيب مع النجوى، وتهدهد سمعينا الهمسات
كلمات سكنت فى قلب لن ينسى دفاء الكلمات

* * *

يا أملا غاب، وعاد يقود خطانا للأنوار
يا أملا، أيقظ أنفاسى، توجّ عمري بالنوار
أنا بين يديك أدير الفرحة فى عينيّ
ويرف نداء الحب الراعى فى شففتيّ
عام سيمر، وتمضى أعوام ودهور
وهوانا، فى أفق الدنيا، عطر منشور

* * *

هل تذكرين

إذا رن صوتك فى مسمى
وطوّف فى العالم الأوسع
رأيتك فى كل شىء معى
وأطرقت أصفى إلى همسة
ترفرف فى خافقى المولع

* * *

بأعماق عينيك أبصرت حبى
وأبصرت واحه أمن وخصب

تفجر دنياك فى خاطرى
ترانيم شوق توسدن قلبى
فيا طائرى الحلو، عيناك أفقى
وخطوك لحنى، ودربك دربى

* * *

غداً.. سوف يعبر يومى غد
وتمتد خلف رؤانا يد
تطوّق أيامنا بالحنان
ليجمعنا فى غد موعده
ويرتاح قلبى إلى شاطئه
يطوّف فيه الهوى الأسعد
غداً.. إن عش هوانا غدا!

* * *

سأذكر بارقة من حنين
أضاءت بقلبى فراغ السنين

وأذكر موجة حب دفين
تداعب أحلامنا كل حين
وتطفو على صفحات العيون
سأذكر ما عشت، هل تذكرين!

يا طائري

لماذا.. لماذا نفضتَ يديك!

وكنتَ عبرتَ السنين إليك

وطوقتَ عمري بالأمنيات

ووسدتَ حبيّ في ساعديك

لماذا.. لماذا حطمتَ العهود

وصنعَ يديّ، وغرسَ يديك

فكم ليلة عشتها في رؤاك

يفازلني الضوء من مقلتيك

وكم ساعة طرت فى همسها
وعانقت وهمى فى راحتك
أعانق فى الأفق أحلامنا
وأغرق عينى فى ناظريك
وأشدو بهمس هوانا الكبير
ليصبح لحننا على مزهرتك
وكنت، وكنا، وكنانت لنا
ظلال، وعش حنون، وأيك؛
لماذا.. لماذا نفضت يديك!

* * *

أتذكر مجلسنا فى الأصيل
ولون الغروب على وجنتك
وقولك لى، والنسيم الحنون
يزيد اشتياقى ووجدى إليك:
بأن الزمان سيمضى ويمضى
ويبقى هوانا كبيرا لديك

وكنت هواى وكنانت خطاى
ترى واحه الأمن فى شاطئك
فيا طائرى.. كيف غاب الشعاع
وكنت قطعت العهد عليك
لماذا.. لماذا نفضت يدك!

على المنحدر

ما عاد يجدى أن نلوم القدر
تطائر الحلم، وجف الوتر
عند اصطفاق النهر أحلامنا
لما تزل فى مهدها تنتظر
أغمضت عيني، وفى خاطرى
حلم الرياحين بفيض المطر
أطفو مع الذكرى، على ساعة
كانت لنا مثل خيال عبر

وأسبق الماضى، إلى واحة
لم ندرّ فيها مرة ما الحذر
يا حلمنا، لا تمض، يا حلمنا
يا عشنا، لم يبق منا أثر
فى خاطر الأمواج ما ضمنا
همس، وما رفقت علينا ذكر
المعبد الخالى، ، وجدرانه
هذى ليالينا عليها صور
نخطو بعمرينا إلى فرحة
فى الشاطئ الغافى وراء النَّهْرُ
ونملاً الأيام من غـبـطـة
كانت، وأصبحنا على المنحدر!
لن تفلت الذكرى، وفى خافى
نبض عميق الأسر، باقى الفِكْر!

واحة عمرى

شفتاى وعيناى نداء
أدعوك، فتشرق فى قلبى
وأراك وضيئاً.. ومطلاً
وحدك، تملك أن تحملنى
أن تجعل أيامى قبسا
وحدك تملك أن تدفئنى
وحدك، لا غيرك، يعرفنى
يدرك أيامى ذائبة

يا أعذب لحن وغناء
صفحة أيامى البيضاء
فى عين جميع السعداء
فى عينيك لألف سماء
من أمل حلو، ورجاء
من وهم صقيع وشتاء
يعرفُ ألامى الخرساء
كبقايا ضوء فى الماء

* * *

عيناى إلك بأغنية
وخطاى كأنام عبرت
والشوق الغامر يجرفنى
يا أروع من كل خيال
وجهك! يا أخلد أطيافى
أنا بين يديك، فهل أحدى
ويداى ترانيم دعاء
من فرط حنين وحياء
يملؤنى شلال ضياء
عرفته عيون الشعراء
واسمك، يا أحدى الأسماء
أو أشهى حلما وعطاء!

* * *

ناديتك فارتعشت ذكر
وانطلقت أمنية ظمأى
يا واحة عمرى هل يكفى
لأقول أحبك.. يا قدرى
وتهادت أطياف مساء
وازدهرت حتى الأشياء
عمر موصول بقاء
يا وجه حياتى الخضراء!

سمعت عينيك

سمعت عينيك.. وما قالتا

سمعت كل الهمس خلف الجفون

وارتمشت كضاي في لمسة

أودعتها حبي وسرى الدفين

أيقظت في نفسي دبيب المنى

أشملت في قلبي نداء الحنين

عيناك.. لم أشهد سوى مرفأ

ترسو عليه سفن المتمبين

يا فتتنى نامى على خافقى
لن تهدأ الأحلام للساهرين
من خلف شباكك، هذى يدى
لبلاية تسمى، فهل تمسكين!
وحول مصباحك.. أنشودتى
حملتها لحن حياتى الحزين
وبين أنفاسك يا زهرتى
أسندت أنفاسى إلى يا سمين
من يرجع اللحظة! فى خاطرى
أصداؤها تبقى، وتبقى سنين
أعود يا دنيائى، فى خافقى
همس، وفى سمع حياتى رنين

ضاع في الزحام

وأنتى هزئت بالوعود،
وبالعهود، والهوى العميق
وأنتى دفنت كل شيء
فى أمسىَ الرهيب، كل شيء
وأنتى بداية مهينة
لموكب رهيب
وقصة حزينة.. حزينة
لعالم كئيب

يخوض فى الوحول، كالوحول
فأين راح حينا العميق
وكيف جف ذلك البريق
وانهارت الجدران والشقوق
واصطدم التيار بالفريق!»

* * *

لسوف نغدو قصة كبيرة
كبيرة لأنها حياة حب
ومرة لأنها شباب حب
وحلوة لأنها قصة حب
وتتظرين أنت فى أسى مهين
إلى الوجود من خلال قصتى
فتلمحين فى الضباب هذه السنين
وهن يزحمن مشارف الحياة
وهن يخنقن الحياة فى الشفاه

وهن يبكين الوجود .. تلمحين
قصة عمرنا معا .. بلا حدود
أتعرفينها! مضت بلا حدود
وفى دموع مرة الأنين
ستبغضين كل حب
وتحسدين كل قلب
وتصنعين ألف رب
الكل عبّادٌ لحسنك المهين
الكل أقزام،
وسوف تصنعين
من الأسى الكابى، حكاية لنا
حكاية تموت كل يوم
لأنها تعاد كل يوم
لأنها لنا معا؟
وسوف ترقبين يا أميرة الغد

بلا تردد

كل ذليل خاشع ببابك الوحيد

كل إله مطلق تشوقه القيود

لسوف ترهبين كل تائه يعود

وكلّ أحرق يرود

وعند ذلك يا أميرة الغد

ستصفعينه . . بلا تردد

وتفضين فيه جرحك القديم

وثأرك القديم

وكبرياءك القديم

وعرشك الذى هوى مثل الغيوم

لسوف تحقدين

وتطوى السنون يا صديقتى .. تغيب

وأنت لا تدرين ما حقيقة المغيب

ولا طبيعة القلوب

وأنت لا تدرين
من صانع الأسى، وعاشق الذنوب
لكنها حكاية كبيرة
من قبل أن كانت عهدنا وهمنا الكبير
وحبنا الذى ثوى بلا ضمير

* * *

صديقتى
كان لنا ألف خيال
فى قرىتى الصغيرة
وألف توق وارف الظلال
إلى المدينة الكبيرة
كانت أمانينا الصغار تلتقى
هناك، فى زحامها العجيب
وسحرها العجيب
وناسها الذين يسكنون فى القصور

ولم تكن نحن نعيش فى القصور
فقريتى أناسها بلا قصور
وكم حلمنا بالمعائب الطوال
واتسمت أحداقنا لكل ما قيل وما يقال
عن هذه المدينة الكبيرة
مدينة النساء، والعبيد، والحشم
مدينة الكبار والقلاع والقمم
مدينة بلا ألم
بلا سأم..

وفى مدينتى الكبيرة
عرفت يا صديقتى معنى السأم
معنى الضياع
وذقت يا صديقتى شوك القمم
شوك القلاع
وغبت يا صديقتى مع الظلم

ولا شعاع..
ورفقتى معى يلوكون الخراب
وينظرون للتراب
ويهزأون بالحياة والوجود والتباب
بكل شىء
غابوا مع المعركة الكبيرة
معركة الضياع خلف شارع كبير
تصب ضفتاه فى القبور
فى كل شهر منه ألف سور
وألف لعنة تراق
ويبدأ الفراق
ليبدأ المسير والطواف من جديد
لكننى صديقتى عرفت كل شىء
عرفت أننا نساق
وأننا نشد فى وثاق

وأنا عبيد ليل
ليل كقبضة الفراق
مسيطر كقبضة الفراق
لكنا . صديقتى . نسير
وينتهى المسير والرفاق

* * *

وجئت يا صديقتى كلؤلؤة
فريدة كلؤلؤة
وحلوة كلؤلؤة
أطلعها الفواص بضة العقيق
من عالم مغيبٍ نسحيق
عالمك المحجب العميق
وجئت يا صديقتى لعالمى الجديد
رعشة حب
دفقة حب للحياة

ويومها عرفت ما حب الحياة
والحرص يا صديقتى على الحياة
على لآلىء الحياة
لكن درتى عظيمة الألق
أحسست فيها رعشة القلق
وأنها ستختنق
فى عالم غير محيطها الكبير
وقبضة غير بساطها الحرير
ورحلة تجود بالرمق
وحرار غواص البحار خلف عالم رهيب
يدأه تقصران دون حلمها الكبير
يدأه تقصران أن تمهدا الحرير
وتغرسا الوثام والسرور
وتتبتا الزهور
وتتفضا العبير فوق هذه القفار

لأنها قفارا!

* * *

صديقتي

لسوف نغدو قصة كبيرة!

كبيرة لأنها حياة حب

ومرة لأنها شباب حب

وحلوة لأنها قصة حب

وسوف تصنعين

من الأسى الكابى حكاية لنا!

حكاية تموت كل يوم

لأنها تعاد كل يوم

لأنها لنا معا .. لنا

يارا

وتضحكين فى وجوهنا، فتفتح الحياة

أبوابها،

وتمطر السماء

أفراحها،

ويملاً الشماع وجه بيتنا الصغير

فتشرق الألوان، والفصول، والدروب

وتدفق القلوب،

* يارا، ابنة الشاعر

بلحنك المجنح الوثير

تميمة على الشفاه،

ونبضتين فى صلاه:

يارا

* * *

وأنت حولى، تقفزىن، تمرحىن، تعبثىن

وتخطفىن كل مقتىى، وتهربىن

وتطلقىن ها هنا، وها هنا، أغرودة الطفولة المزقزقة

وملء عىنىّ ظلال الضوء، والتذكار

خيوطها تمتد، تتسج الأمان والأشعار

المح فى عىنىك وجه أمى الذى ودعته قبل سنين

وعاد لى من رحلة الزمان، حانيا، مؤانسا

وحىن أحتوىك، تهتز الضلوع، ترتجف

يسىل شىء من عىونى المطرقة

ىنساب شىء فى مسارب الحناىا

وتصبحين يا ابنتى، أمى، ويدفق الحنان
سحابة من الدموع والشجون والرضا
وتحتويك مقلتاى،
ثم ينفو رأسك الصغير،
تستدير فى وداعة يدايا
ويشرق النهار يا صغيرتى،
عيناك لى منار
عيناك لى مرايا..

* * *

هل جئْتنا فى الزمن القبيح، كى نساير الزمان؟
ويصبح الوجود، فاقد المعنى، حياة مفعمة!
تتفتح الدروب فى وجوهنا، ويشرق الأمل
تمتد رحلة الحياة، نكتوى بحسبة السنين والأجل
وتسبق الخُطى، أحلامنا الصغيرة المنممة
من أجل يومك الجديد،

عمرك المديد،

يا ملاكنا الفريد..

فلتسق من إصبعيك - عندما يراقصان اللحن - أغنياتنا
ولنتلق من بين لثغة الحروف في شفاهك الكرزية
الألوان أمنيائنا

وليندغم في فيض حجمك الصغير فيض حبنا الكبير
وليأتلق في هزة الإيقاع من يديك، من قوامك الطفلي،
لحننا المسترسل السفيد

يكسو شتاءنا دثارا

ويُلهم الأمان والأشعارا

يارا..

فِي اِنْتِظَارِ مَا لَا يَجِيءُ

الرحلة في بحار العشق

- تسافر؟

- هذا زمان القرارِ

زمانُ الذين يروحون لا يرجعونَ

زمانُ الذين يقيمون لا يبرحونَ

زمانُ جميع النوايا

فمَجَلِّ

وخلُّ الطريق وراءك،

إن الحبيب أمامك، إنَّ الظلال تشيرُ،

الأصابع تمتدُّ، هذى المطىَّ تسيرُ،

وهذى البطاح تسيلُ بأعناقها،

وتدبُّ الحكايا

- تظلُّ قعيدا؟

تسائل صمت الرمال، تحاور صوت المحال،

وبينكما خطوةٌ فاخطها؛ قبل أن تفسد الأرضُ،

يخفق الكونُ حولكما بالرزايا

وتشتبك الرغبات بخيط المنايا

* * *

حين اختفى وجهك عن عيني انتحيتُ جانباً

أفردتُ نفسي جذع ذكري موحشة

أغمضتُ خاطري

لعلنى أراك فى قرارة الحزن المباغت العقيم

تمدُّ لى يدا

أسندت رأسى واتكأت، أه! هل أعودُ خائباً!

أخاف أن تشدنى إلى الثرى ذراعُ يومنا
وكانت السماء
توشك أن تهَمَّ بالبكاء
والأفق الموشَّحُ الإزار بالشَّجى يسيلُ ذائباً
يسيل فى دمي يسيل،
تطفو فوقه رفاتُ عاشق قديم
مخضب اليدين بالدماء!
الآن ياملأذى الوحيد فى الزحام
أعرف أن يومى الكئيب مر فارغاً
وأنتى بحثت عن عينيك فى جنازة الغروب،
فى إطلالة المدى
وأنتى يشدنى السكون للجنون.. للردى
أصبح من قرارة البئر التى تشدنا:
«ياحزنا، يا حزننا العظيم
أما كفى مانحن فيه؟»

لا يجيبني صدى!

العيبُ فينا نحن؟

أما زماننا،

أم عيبُ عمر ضاع في دروبنا سدى؟

* * *

ها أنتِ!

رَفَّةٌ كما النسيم، وارتجافة تزلزل الخلايا

وشاطئٌ منورٌ بدا،

بدا وغام في الضباب،

غاب في تلفت الأسرار والخفايا

قادمة،

عائيةٌ خطاك،

بركانا يفجّر الضلوع والحنايا

ها أنتِ!

والتقت - برغم عيبها - أزماننا

تصادمت أقدارنا،
تناثرت جسورنا شظايا
ولم تزل عيوننا الغريبة الأطوار، تثقبُ الظلامَ
تقتفى سبيل كوةٍ إلى النهار،
تلطمُ الجدارَ
وتلتقى مهزومةً في صفحة المرايا!

* * *

يا محبوبى
وحدى، بعدك، أعبّر هذا الليل الموحش،
أجتازُ الفجر الكاذب، هذا الوجه الممرور من الدنيا
أعدو نحو شعاعة وعد من عينيكَ
وأنهلُ مايساقط من فيض الرؤيا
فامنحنى بعض أمان حين أطيّر إليك
أسألك بحقّ الساعات المخنوقة بين الجلوة والإطراقِ
اكففْ عنى ظمئى

واحللّ عقدة بوحى
حين يخفُّ القلبُ إلى عتباتك، يجثو
ويلامس موطئ قدميك
ويحلمُ،
يحلم أنا نتساقى خمر اللقيا
ونُحلقُ مزهوَّين
فلا تملكنا تلك النشواتُ المطروقة
أسألك بحقّ اللحظات المخبوءة
بين الرغبة والإشفاق
ها، خذْ بيدي
فأنا طوفتُ طويلاً، ياكم شرقتُ وغربتُ
يثأقل في صدرى مكنونُ محبتنا
لا يقوى جَلدى،
فاحملْ عنى هذا العبء المستور
غُفرانك قد وقع المحذور

تمتتُ بذكرك في خلواتي
وجهرت بحبك في صلواتي
وأبحتُ السرَّ برغمي، فارحماً ضعفى واستر زلى،
فأنا المستغرق في ذاتك
في فيض صفائك وصفاتك
في عسجد هذا الملكوت
أفتح عيني، فتعشيني أقباسُ النور
أترنحُ، يا ويلي، ثملاً، وأظلُّ أدور
وأنا مبهور!

حال من المشق

يفشاني وجهك حين تطلُّ عليّ،

فأعرف أين مكاني!

أتمثر مرتبكاً

وأحدق - لالتقوى عيناى -

الفيضُ الباهرُ يفرقنى

أضواءً منجذباً لشعاع الرحمة منك

لهذا الأفق السمع النورانى

وافرحى حين أعاينُ نجم السعد

وحين أطالعُ فجر الأُنس
وحين يداخلى زهُوُ الرؤيا فأغادر جَلدى
أغفو
أستيقظُ مرتاعاً،
أتحسس قدرى عندك.. أسألُ عنى، واخجلى
آهٍ من ضعفى وهوانى!
أحرقْتُ سفائن أيامى
وأتيتك خلواً، عريانا
إلا من شملة أحزانى!

* * *

أواه من بعد الديار واستحالة المزار
ياأيها المسافرُ الوحيدُ قفاً!
فالأرض غيرُ الأرض، والزمانُ خان
غادر الأحيابُ،
صار الناسُ غيرَ من عرفت، فاسترح..

تداخلت مواكبُ المودعين، والمشيعين،
والمنافحين عن بقاء لحظة من المرح
قد آن للعجلان أن يُطامن الخطى،
ويستردُّ من ذمّاء نفسه بقية مضعضة
فليس فى نهاية الطريق غير هوة الأسف
وللغريب أن يثوب بعد رحلة الشتات والدمار
مغامرا، بلا هدف
قد آن للظلام أن يبدد الأسداف عن صدورنا
ويرتحل
مشيعاً بألف لعنةٍ
وألف طعنة تدمى بها الأكفُّ، ترتجف
ويقبل النهار!

* * *

أرفع وجهى فوق الموج الطاغى،
أسند أنفاساً، وبقايا لون مذعور،

ودم هارب

ماذا لو أغرقنى الموج، انهالت فوقى سافيةً الرمل،

التأثتُ ذاكرتى فى عدم الرؤيا

هأنذا أقتربُ من الصحو، وأصغى

تترددُ حولى أشجانُ الدنيا، أصواتُ الباعة،

آلاتُ العصر، وأصداءُ الثكلى والنائحة المأجورة

فلمن أصغى؟

أسمعُ..

- هذا صوتُ لا يهدأ حتى ينبجُ

أسمعُ أكثر -

- هذا صوتُ تخنقه التخمة

أسمعُ أكثر، لكنى يعورنى الفهم الناصع

- هذا صوتُ يعتادُ ركوب الأصوات الممرورة

حتى يبدو دوماً فى قلب الصورة

صوتُ الأصوات، وقربان المذبح

يامنُ تصفون معى، تبكون معى،
وتعودون لجمر مضاجعكم فى الليل، معى
تكفينا هذى الجرعةُ من بئر الأحزان
يكفى ماقدمنا من ماء الوجه، وما
أسلفنا من عطش الروح، وما
أذللنا من كبرِ الانسان!

* * *

يتكاثف وجه السحب، وتهوى دائرة الظلمة
وتحينُ الساعاتُ الجهمة
ياربى
هذا وجهُ العالم، فوق عبادك، يُسقط حُممه
والطرقُ ازدحمتُ
ومسالكها تبتعدُ عنا، تستعصى،
تخفى عن أعيننا حتى نتضاءل منكمشين،
ونصفر منهزمين،

وهانحنُ أولاءُ تصاغرنا حتى هنا
وأتينا بابك ملتسبين، ومحتسبين
فأرفع مقتك عنا،
وأمسح بيد الرحمة وجه خطانا وخطايانا
ها نحن صفارٌ في كنفك
في كنف العزة نرقد مؤتزرين خيوطاً من نور
والفيضُ الأسنى يغمرنا،
إذ يغشى السُدرة ما يغشى
وبعيداً، حيث يطوفُ النورُ،
ويمضى فلك دوارُ السقيا
تبزغُ نجمة
ما زالت حيرى مضطربة
تسبحُ في الذرِّ،
وترقبُ أحوالَ الدنيا!

اعترافات العمر الخائب

عندما يجتاحنا الحزن الرمادى
ونلقى فى زوايا القلب، مكسورين،
نجرُّ الحكايات القديمة..
الأسى الفارع يستيقظ من بين الدهاليز،
ويصحو وترُّ الشجوة،
الكتاباتُ التى جفت على الأوراق،
كانت ذات يوم صوتنا العالى
لفح الشوق،

والرؤيا الحميمة!
خرجتُ منها وجوهٌ، لَفَعَتْها دورةُ الأيامِ،
شاخَت في كوى النسيانِ،
تحكى وجه بومة!
في الجدار الأسود الشاخص، نرتدُّ،
وفي قاع العيون الجوفِ، نهوى،
نكتوى من لذعة الذكرى
ومن وحدتنا في ليلنا العارى،
ومن هول انسحاق القلب،
من طعم الهزيمة!

* * *

ها أنا..
في دورة الاعصار أرتدُّ عنيفاً،
خائبَ المسعى، أسيفا
وانهمازُ العمر من حولي،

خطى مبهورةً الأنفاس،

فقاعاتُ لغو زائف،

صارت على الوجه أخاديد، وفي القلب حروفا

سكنت همتك الشمطاءً يانفسُ،

عرفتِ الأمر، جريت الذي كان،

تخطيت الزوايا والصفوفا

والمصلين - وراء الهيكل البالى - وقوفا

ها أو أن الفصل،

بوحي، اعترفى،

لا تدعى بعد عزوفا

واهتكى عنك ستار الرغبة الحبلى،

قناع الأسف الكاذب، ذاك المضحك المبكى،

ما عاد يفيدُ الصمتُ،

كوشفت،

وأترعت من اليأس صنوفا

كم تطامنت،
وأسرعت الخطى عدواً،
وجاوزت حدود الوهم،
شارفت على الأفق ظلالاً قابعاتٍ وطيوفا
كم تبدلتِ قناعاً،
وتلبستِ خداعاً،
وتواريت وراء الأمل الخلب،
سيفاً
ورغيفاً
وصحونا حين طار العمر،
نقتاتُ الحصاد المرّ،
نهتز لمراى الغدِ، إذ يفجؤنا عارين،
ننهارُ جراحاً ونزيفاً

* * *

دائماً أنتِ؟

تجئيين سراباً خادعا
وجهاً هلامياً، رذاذاً ينضح الوجه
ولا يروى صدى القلب،
سحاباً يُسقط الظلَّ ويمضى
تاركاً فى وقدة الصحراء أنفاساً شحيحات عليه!
دائماً أنتِ!
أكاذيبى التى أعشق فيها الموت، طعم الغدر،
تُفضى بى إلى ساعة صفو مستحيلة
آه! لولاك،
لما امتدّ بنا الليلُ الخثونُ الوجه،
ما اجتزنا - وراء الوهم -
ساحات المراءاة الذليلة
آه! لولاك،
لما كان أنحنى الجذعُ،
ولاهانت على السكة أعناق الرجال الشمُ،

وارتاحت لَقَى
من غير حيلة!
وتعودين!
فماذا بعد في الأيدي، سوى أعمارنا الفاغرة الأفواه،
جوعاً وظماً
وطريق جمدت فيها خطانا، انتصبت فيها خطايانا
شخصاً
مفزعات،
وتماثيل
استحالت ندماً!
آه لو نرجعُ للصفو الذي كان،
لحلم كان في أعماقنا غضاً،
طفولياً، برئ السّمت
عذرياً نقياً
عندما..

* * *

عندما أرجعُ بالتذكار، أستدنى الذى فات،

أجيلُ الطرف، القالكَ غريراً،

وضئلاً، وقصياً

حافياً،

تستلمهم الأرض، طريحاً، نزق الأسما،

خجلان حياً

وأرى حولك غلمان الحمى، يستطلعون الفيب،

يستجلون فى عينيك سرا غامض اللمعة،

مشحوناً،

عتياً

يرحلُ العمرُ وثيداً،

تسقطُ الأعوامُ فى الهوة،

يلتفُ الصبايا حول ناى الحبِّ

تغريهن بالترنيم منضوراً فتياً

عاشقاً، طلق المحيا

يرحلُ العمرُ،
وتمضى سلةُ الأعوام لا تحمِلُ شيئاً
يسقطُ السرُّ، يدوسُ الناسُ،
ينهالُ الترابُ الصلْدُ، يدنو القيدُ،
يهوى النايُ ملْتاعاً، شجياً
من جديد،
ها أنا ألقاك في عصفِ الذهولِ المرِّ،
تجتازُ الفجاجُ السُّود، مخبولاً
شقياً
وبعينيكَ سؤالٌ أخرسُ الدمعةِ،
ما زال عصياً:
ما الذى سدَّدَ فى قلبك سكيناً؟
وفى عينيكَ حزناً أبدياً؟

قبل الوصول..

أحاولُ الوصول، دون جدوى!
أستمرُّ لاهثاً، لعلى! ولم أزلُّ أحاول الوصول
أطرقُ هذا الباب،
أستدير يائساً،
أعيدُ ما بدأت،
أستمرُّ في مخاضة الفصول
ياويلتى!
هذا شتاءُ الرغبة المرير قادمٌ..

وهذه خطاه فى المخادع الوثيرة المنمنمة

تتَزَّ حولى،

أصطفى نيرانها الثلجية الدبيب،

فى عروقى العارية المستسلمة

الآن لا مفرَّ

وحدك الملاذ لى،

وقبضة الشتاء حولنا عتيةٌ، ومحكمة

تدفعنى إذا اتَّأدتُ،

تستثيرنى إذا انتظرتُ،

المُحُ الطريق موصدأ

أعاوُدُ الطَّرْقَ لعلَّ كوةً تليْنُ،

برقاً خاطفا يطلُّ،

علَّنى أنجو من الدهشة فى العيون والفضول

هذا أنا..

وفى الطريق أنتِ لى

وليس ثمَّ من سبيل!

* * *

ماذا لو اننىَّ خطوتُ، ما انتظرت أن يطلَّ وجهكِ

الصفيرُ من ستارة الأحزان

أتيتُ دون موعد،

وربما بقيتُ عامداً،

أداورُ اللحظة، أستعيدها،

ألح في اجتياز هوة المضيق بيننا،

وفى اكتشاف هذا العالم المدثر القناع،

خلف وجهك الغريق في متاهة النسيان

مرتعثاً أتيتُ

يا مواعدَ الشتاءِ لا تكابرى

ويا عطية السماء لا تتاورى

فالرغبة الحبلى تفورُ،

في تأهب الخطى تفورُ،

فأذنى، وأفصحى

كم اشتهينا - صامتين - جلوة النيران!

* * *

تظلّ قعيداً تخور، أما رحل القوم؟ ها أنت
أفردت وحدك هذا الظلام اللعين عبادة حزن
حوالك ترحف، تلتف، يقعى عليك وينشب
فيك أظافره الهمجية، مخضوبة
بسواد النجيع، الظلام اللعين يعيش
ما زلت وحدك تلهث، أين المفر؟
أمامك هولُ الدروب، وخلفك:
ويلاه! ما زلت تنشدُ نجم السلامة!
«وها نحن بعد اللهاث وصلنا،
وبعد انقشاع غبار المعارك،
بعد انفضاض السباق، نمودُ ثمالة كأس،
تشقق فينا هتافُ الحناجر، قطرة ماء تغيث الظماء،

تبلُّ روحاً تجفُّ، مثقَّلةً بانهمار السنين، لأنَّ
الليالى حين تجئ، تجئُ حبالى يلدن الأسى
والقتامة!

«تظلُّ قعيداً

برغم امتداد الخيال الطليق
يجوب المدى والتخوم،
يشارف أفق النجوم،
ويرجع سأمناً، قد غلَّته الكآبة
وفى الصدر، من وخزات الرزايا... علامة!

* * *

أخلطُ بين اثنين: أنتِ والقدر
أسقطُ بين اثنين: أنتِ والزمان
هيهات أسترد بعض ما أضعتُ من براءتى
وبعض ما افتقدتُ من معابر الأمان
الآن لا أبصرُ من حولى سوى أسنة الحصار

مشرعةً تهتز في الأيدي، يغوصُ ظلها،
يغوصُ في عيون تقذف الشرر
كأننى أصبحتُ في قبضتها خطيئتي
يهتزُ حولي الآن كل شيء
الشارع المسدود، والمدى المطلُّ، والجدار
وفي انتظار من؟ ترى! لعلى أهدى!
لعلَّ ما عرفتُ صار كافياً لراحتي
لعلَّ ما رأيتُ فيك يضمدُ الجراح، يهزمُ الشكوك،
يهدم الأسوار
واعجبا!
هانحنُ في ملالة العزوف قبل لحظة الوصول
يرتعشُ الشتاءُ في ضلوعنا
وتحنى جباهنا المطفأة العينين..
في ذبول!

فى انتظار ما لا يجىء

من كان وقتها بوسعه يرى
أبعد من مواطنى القدم؟
لكى يدلنا؛ ماذا تُراه فى غدٍ يكون؟
ونحن فى دوامة الحنين والشجون غارقون
تلفحنا الأيامُ، نكتوى بصدها وبردها
ولم تزل تموجُ زهوة الحياة فى عروقنا وتحتدم

* (إلى رفاق العمر، الذين احتوتهم القاهرة معاً، قادمين من الكفور والنجوم بمد
ربيع قرن؛ أكتوبر ١٩٥٢ - أكتوبر ١٩٧٧)

نسقط خائبين أو نقوم ظافرين، لايهم
محلقيين فى السماء، أو مضرجين فى الثرى
شعارنا فى رحلة الميلاد والوجود والعدم:
«الخبز والنبىذ يا صديقى العزيز
كلاهما لذىذ
فاغنم من العمر صفاء لحظة الحياة
مغموسة الأكناف فى الكفاف
ولاتكن عبداً لوهم الذهب الإبريز»
ونحن فى الطريق، نمضغ الكلام والملال
نعبر السفوح والقمم
وننتشى وراء نجمة هناك فى البعيد تبتسم
تقودنا إلى الذرى!

* * *

نكذب، أحياناً كثيرة، أجل!
نكذب، عامدين، ظالمين،

علنا

نقنع يوماً غيرنا

بأننا،

ننطق بالحقيقة البيضاء، مانزال طبيين وادعين

برغم هذه الأظافر الطويلة المدبية

وهذه الألسنة الجارحة المدربة

وذلك اللهاث خلف عمرنا الملطخ المهين

هانحن أولاء، لكثرة الذى أريق من وجوهنا

ولاعتيادنا على مذلة السؤال، دونما ملال

صرنا نصدق الذى يقالُ

- فالجميع صدقوه -

وانكفأت على ظهورها الرجال

تطالعُ النجم، ترودُ حسبة الأبراج،

تقرأ الفنجان، تطلق الخيال خلف رحلة المحال

كأنما سحابة من الدخان والخدر

مبسوطة الجناح، تحمل الركبان
لرحلة فى اللا مكان
تطوى بها الأحزان فى قرارة النسيان
ويرجع الجميع غانمين، سالمين،
وما نزال فى انتظار شئ غامض،
قد لا يجئ
مانزال!

* * *

تُسلمنا هذى الأكاذيبُ إلى العراء
نهرع، يا ويلتنا نخفى عن العيون سوءة لنا
وفعلة، ذميمة، نكراء
صارت مع السنين، جرحنا الدفين، وانكسارنا
لما تخاذلنا،
وغرنا مانحن فيه من تطاول على السماء
إيماننا ادعاء

وحبنا، أكذوبة، وجذوة اشتها

ولغونا

مرارة نسلما أشعارنا

يا هذه الدنيا، ويا هذى الأكاذيب المزوقة

تداخلى واستحكمى رداء

كى تسترى جسومنا، وعارنا

فى عرينا الفاضح،

فى وجوهنا الأسيفة الشوهاء

يا كم طوانا العمرُ سارين على دروب ليلنا ظماء

نحلمُ بالخصب،

وبالنبع الذى نراه ماثلا أمامنا

حتى إذا ما اقتربت وشارفت أعناقنا

تهيات لرشفة باردة حلوقنا

وجحظت عيوننا فى لمعة الأشياء

غصت بوقدة السراب،

وانطفاء الرجاء،
وانطباق السماء تحجب المدى!
ومن بعيد، حيث يقبل النسيم والردى
ما زالت الأصداء
تترى، وما يزال يخفق اللواء
منتصباً في محفل الصحراء!

* * *

هانحن في دوامة الرمال، ما نزال
تسوخ في شراكها أقدامنا
نحمل أحلاماً كسيرة مضعمة
انفرط العقد الذي كناه، كم تناثرت حباته،
تفتت قلوبنا، ولم نعد معا
وشاخت النبرة في شفاهنا، وحشية عيوننا
مذعورة خواطر الخريف في رؤوسنا
يا أيها الشمل البديد كم شهدتنا معا

مشردين، هائئين، حالمين، مقعدين

لكننا كنا معا

عمرأ مديداً، حاشداً مضيعا

نصوغ هذا العالم، العبء الثقيل

نحتويه، يحتوينا، ضيقاً وأوسعا

نصنعُ من طقوسه مسلاتنا

ومن تناقضاته،

نقيم للزمان ساحة ومصرعا

وأينا الظالم والمظلوم؟ لاندري

ولانهتم أن ندري،

ففى العمر مدى

وفى الطموح غايةٌ

وفى العقول جذوة لاتتطفئ

وهمةٌ ريفية التكوين لانظنها تلين

لانت،

ولنا،
وانتهينا ببدأً، مضيعين
معلقين فى خيوط العنكبوت، فى مدارج الرياح،
فى انتظار قبضة الأجير،
يأئسين، شائهيـن
نرتجُّ فى جوانب الدنيا، ونمضى حاسرين
يحمل كلُّ جرحه، فى قلبه ولا يبين
ولم نعد ندرى
أمنطق العزاء صمتنا المهين حين نلتقى
أم حكمة السنين!

بشرنا ثم تصوفنا

تداح خيوط الليل، فتشرقُ طلعتك الوسنى

ياربى! حقا ما أبصره؟

قد عشيت عيناى ولكن هأنذا أتحسس دربى

أخطو،

هذى عيناك تدلانى، وتشدانى

عيناك النجمُ الثاقبُ ظلمة أحزانى

فأعابنُ بعد زمان القهر شعاعات الفجر الأسنى

عجبا، عجبا!

هذا صوت بالإنعام وبالبشرى يترضانى
تتألُّ دموع الوجدِ ويغرقنى فيض التحنانِ،
وأدنو منك،

أطالعُ فى عينيك شجوناً تتصبانى..
غابت عمراً، واليوم تعودُ فتلقانى
عجبا، عجبا!

هذا لحنٌ بضروب الفرحة يسرى فى إيقاع زمانى
أجتاز سياج الوهم، أشير عليك فتدنو،
تلتصقُ الرؤيا
نصعدُ فوق تخوم العالم، نسبحُ فى الفيض النورانى
عجبا، عجبا!

من أطلق شعلتك الكبرى، لتشعَّ علىَّ وترعانى
فى هذه اللحظة من دنيائى، ومن سأمى،
من قلب مراراتى ودخانى!
وأتييتَ لتفسد ما أمّلتُ:

سكونَ الخيبة،

صمت العزلة،

راحة مهزوم قد أغفى وطوتهُ ظلالُ النسيان!

* * *

لو نسألُ الزمانَ، ما الذى يقولهُ الزمان؟

ونحنُ أدري بالذى نصوغ كل يوم مرة ومرتين

نحلمُ أن يجاوز التخوم فى غد، وأن يشارف الذرى

وأن يصير واحة وكوثرًا

ننفخُ فيه من رغائب السنين،

من حصاد عمرنا المهين،

من تطلعاتنا

من زهونا المشبوب وانكسارنا

من جوعنا للمسة الأمان، وانتظارنا

للحظة مخطوفة تضمنا معا

ولم نزلْ أدري، برغم خشعةِ العيون فى الثرى

بما أصاب طفلنا الوليد بغتةً، فأوجعا
وعلق الأحزان فى الجدران!

* * *

هل تكفى فى العمر بقية؟
لنخوض معا فى الوحل المنشب فىنا أظفاره
الوحل الأسود والمرصود ووحل الأنفـس والنية
نقتلع معاً أوهام الناس وضعف الناس وجوع الناس
نخطو من فوق جسور الرعب،
نعيدُ إلى النهر المتكدر فىنا تياره
وصفاء ملامحه الأولى

هل تكفى فى العمر بقية؟
لنقول وداعاً للأحزان، ولل ساعات المنهارة
ونعيد إلى الإنسان الذابل دفاء اللمسة والأنفـاس
والقلب المضنى.. وقد الجلوة والإحساس
ياكم جربنا وتعبنا،

أقدمنا ثم تراجعنا
بشرنا حين لمحنا ثمة شيئاً يولد،
لكننا حين رأينا، وعرفنا وجه دمامته،
عدنا فعكفنا،
أغلقنا في وجه الإعصار معابدنا،
وتصوفنا
يامنٌ ينجينا، فالساعةُ بالهول اقتربتُ
الغادى مثلُ البارح
والقاعدُ مشدوهاً، كالضارب أعناق الأقران
لكنى أسمعُ، أسمعُ،
من بعدِ تأتي الأجراس
بعويل الليل، عزيف الريح الغضبي،
دمدمة الطوفان
هل تكفى في العمر بقية
كى يولد فينا الإنسان؟

* * *

مكانكِ الوثير... لاتبدلى ولاتغادري
فى الزمن المجنون بالتغيير كلَّ آن
تماسكى، واتئدى
واستمسكى، لاتفرطى ولاتداورى
فالساحب الأمينُ خانٌ
وكلنا من كأس غيره رشف
ماضراً لو تشابكت أنسابنا،
واختلطتْ أصلابنا،
وغاضَ من عُيوننا ومن جباهنا ماء الشرف
تماسكى، فليس موعد الشتاء بالبعيد
يطرحنا على مدارج الثرى..
مرتعشين، شاحبين، حاملين بالجديد
تماسكى ولاتكابرى
فالحاضر التعيس فرٌّ من ثقبونا
كما يفر الحلم من جفوننا المضرجة

لكن قبضة العزاء تُحکم العری
على بقایا نَفْسٍ، وبعض حشرجة!

كان.. وكان

كان الشجر الساجى فى عينيها يبكى
تساقطُ أمطار الشجو،
وتخضل جراح وُئدتْ خلف السميت المتماسك،
عمرأ طال،
الشجر الباكى يرحلُ، يسحب أستاراً كانت،
وظلالاً شوهاء
ويكشفُ عمق الهاويتين الجاحظتين،
الفاغرتين فما معتلا، لا يحكى

ماذا بعدُ من الأيام؟
الشجر الساجى نام
وانطفأت جذواتُ النعمةِ فى القلبِ المَقرورِ
وتهيأتُ اللحظةُ للإغفاءِ، فمن يدري ما طولُ الغفوةِ
ما عمقُ الذكرى السوداء!
الرأسُ يميلُ على استحياءِ
يتخاذلُ،
يهوى
تتفكَّ عرى السماتِ المزمومِ
وتقعى الأشياءُ على الأشياءِ
ويغيبُ السرُّ، يغادرُ طينتهُ الحبلى،
تتكىءُ الساقُ على الساقِ،
وينكفىءُ الصدرُ العارى المذعورِ
ونعودُ ندورُ مباخرَ وطقوساً
وضراعاتٍ حمقى، واستجداءِ

يامن تفتضون بكارتها
الشجرة ماعادت عذراء!

* * *

كان الحفل الصاحبُ ينشب في لحم الغائب أظفاراً
وقواطع مسنونة
والكلماتُ الوالفة العطشى للدم
تتاجزُ أقنعة السادة من فرسان الهيكل
دقوا بسنابكهم إيقاع الموت،
ولحن الصرخات المجنونة
الكلمات الطلقات تترُّ
الكلماتُ الكلماتُ تخور
الحفل الوحشى يبارك باسم الهيكلِ
باسم طقوس الربِّ ذبيحةً هذا اليوم،
يُقدمها قريان ولاء مسعور
الكلمات الطلقات تمور..

ويفورُ التور
يختلط الصوت الواحدُ، ينشقُّ، ويصبحُ أصواتاً
تتقاذفُ لعبتها
تتشابك،
تلتحم الأيدي،
تهارُ حدودُ اللعبة،
ينهار السور..
وأنا فى حفل السادة، ذاك القروىُّ المبهور
أبحثُ عن كلمات لأُعيشيها النور
أبحث عن خيطى الواهى فى جسد التين المذعور
يامن هياتم لى موتى
ردوا صوتى!

* * *

كان المطر بحجم الكون يدقُّ النافذة الشرقية
ويداك تدقان الباب الموصد

يُنْفَتِحُ الْبَابُ يَطَالِعُنِي السَّمْتُ الْمَانُوسُ،

يُبَاغِتُنِي الْفَرْحُ الطَّاعِي

يَاللَّوَجْهِ الْقَادِمِ عَبْرَ مَسَافَاتِ الدُّنْيَا

أَجْلِسْهُ جَنْبِي،

أَجْعَلُ عَيْنِيَّ لَهُ مَتَّكًا وَوَسَادًا

أَتَلَامَسُ فِيهِ

يُضْرَجُنِي الشُّوقُ الْمَخْبُوءُ وَرَاءَ الْجِلْدِ الْعَارِي

أَنْسَى كَمْ طَوَّفْتُ بِعِيدَا عَنكَ،

وَكَمْ أَلْقَيْتِي الدُّنْيَا الدُّنْيَا ذَاتَ مَسَاءٍ، وَحَدَى

خَلْفَ الْجِدْرَانِ الْبَارِدَةِ الصَّمَاءِ

أَحَاوَرُ صِمْتِي،

أَنْشَبُ فِي الْكُونِ الْمَتْرَائِي لِي عَيْنَيْنِ مُغْلَلَتَيْنِ

بِعَبِّ الْغَرِيْبَةِ وَالتَّذْكَارِ

يَا مَنْ يَحْمَلُنِي عَبْرَ تَخُومِ الْحَزَنِ إِلَيْكَ

الْمَطَرِ بِجَحْمِ الْكُونِ يَدُقُ النَّافِذَةَ الشَّرْقِيَّةَ

أتلفتُ،

أين السمّتُ المأنوسُ! الطيفُ الزائرُ!.

أين يداكِ الحانيتانِ الغارستانِ محبّة!.

وحدى!..

في هذى البقعة من قلب العالم،

في قلب الصحراءِ الجرداءِ

وحدى!

في عرسِ الشجرِ الباكى وهو يموتُ على استحياء

وحدى!..

في الحفلِ الوحشَى يلوكُ عصاراتِ الأمعاء

فمتى تأتين؟

شاعر الربيّات

ومرت عليك وجوه الأساطير
تتفخُ فيها
تزوِّقها كلّ يوم، وترحل عبر الخيال البعيد،
لعلك تصطادُ منها عجيبة ليلتك القادمة،
وحبكة لحن القرار،
إذا انفعل القومُ بالخاتمة
وماجوا،
نشاوى التلهف

منجذبين إلى مقدم الفاجعة

ويفتكُ أبطالك الفاتحون،

ويصطرعون،

يخوضون هولَ المصير،

ويلتحمون

على وتر في ربابة!

وينهمرُ الدمُ

تطلق الصرخةُ الجائعة

لوهم البطولة،

لل فعل،

للهمة الضائعة!

ويعلو النشيجُ،

ويعلو الهتافُ،

ومازلت تصعدُ، ترقى الخيال، وتصعدُ

أنت انسيابٌ وراء حدود المحال، وأنت انطلاقٌ

بعيدُ الجموح، وصوت ذكى التلفت،

قاسى الفجاءة!

تغوص بأحشائنا، فنغوصُ ثقلاً

وترهف نصلك فينا..

نلوذُ إلى الخدر الباطنيّ

نصيرُ رجالاً!

ونحلم أنا كبرنا

وأنا امتطينا سحابة

وأنا عبرنا الهضاب الشوامخ

جزنا العصور الخوالى

لبسنا عباءة كل المغاوير،

سقنا إلينا الزمان نصفى حسابه

لبسنا رداء القياصرِ

ياللوجوه المهابة!

ونصحو..

فلا حلم يمسكنا .. أو ضيابة
ونسقطُ من فوق ظهر الغرابة!

* * *

ويقتك الهمُّ،
تقتك اللحظة القاسية ..
وقد هرمت في يديك الريابة
وشاخت حكاياتها ..
وتفرق أبطالك الفاتحون
وأطرقت وحدك:
أين البطولة؟
أين معارك كانت تدير الرؤوس،
وتملأ كلَّ العيون انبهارا عنيفا، وجذبا
وأنت! .. وأبطالك الراحلون ..
صنعتهمو بيديك ..
خلقتهمو من عناء الليالي وكدِّ السنين الشحيحة

وأطعمتهم جوعك العبقريُّ
وصننتهمو عن مبادل كلِّ البشر
ولست كأصفر من قد خَلقتَ
ولا لك حظ البطولةِ يوماً
ولاحظ أوامها الكاذبة!
وحظ انكساراتها الخائبة!
ودوركَ ما زال،
دوركَ ما زال،
مرُّ التوتر، جهنمَ الرتابةِ
تعبرك الملحماتُ،
يجفُّ الغناءُ على شفّتك
يضيع الصدى في شروخ الريابة
وتبقى:
- كما نحنُ في عصرنا -
سؤالاً عصياً الإجابة!

المهاجرو حيدا

تتسللُ قطرة ضوء من نافذة الليل
وكأنَّ يدا تمتدُّ، تلامسنى وتؤانسنى
فأريحُ الرأس المكدود المثقل
وأنقلُّ فى دائرة الصمت المسدل خطأ معتلَّ الأصداء
يامن يحملنى لينابيع الضوء القادم
على أتسلقُ هذا الخيط الممدود،
أجاوزُ هذا الأفق الكابى،
أحملُ ماخلفت الأيام بصدري، أنأى عن وخز اللعنة

أبعدُ في التيه،

وأرحل!

* * *

ماذا خلَّفتُ ورائي؟

عينين مؤرقتين تتوءان بعبء الساعات الممرورة

في الشط النائي، تنتظراني، وتحوطاني

وتخفان ورائي حين أسير وحيدا

ألقتُ ورائي؟ كيف؟ رماحُ القوم تلاحقني

وتتوشُ بقايا من قطرات دمي

تتنزى من فوق الحسك المسموم، فأرتدُّ طريدا

هأنذا، تتفتت قدمي

يتهافت قلبي،

تترنح ذاكرتي،

ويخورُ المعنى الساكن في صدري

أعشى يا عيني، فكونا باصرتي

فمالي بعدُ أنيس أو صاحب

ياويلي، لو حدثت ورائي

عيناك ترداني

وتصدأني عن وجه الغرية والمجهول

تملكُ أن تأمرني

تملكُ أن تقعدني

وقعيداً كنتُ، ألكُ المعجز،

وأنطحُ صخر الزمن المختلّ

ورماح القوم تلاحقني

وتتوش بقايا من قطرات دمي

ياويلي!

* * *

قولى لهم إن يسألوك: غاب دون أن يقول أين!

وطار، لم يترك كليمة للصحبة التي تجاهد الحنين،

ماجدوى الكلام!

وليس بعدُ، غير رنوةٍ إلى النجوم وانتظار
لعله يطلُّ ذات ساعة مغبراً من خلف قافلة
لعله يجيُّ دون موعدٍ،
محملاً بلفحة السنين والأسفار
لعله، وآه من زيف لعلّ!
من أجلها،
أخوضُ في وحولهم،
أنأى عن الصحاب والأحاب،
أجتاز المضيق
أرحلُ في الليل وحيدا، مثل نورس مهاجر
لعلنى
- عند نهاية المطاف والترحال -
يلقننى وجهٌ صديق
مثلى
مهاجر غريق!

المغنى.. والشيخ نظام الدين

كان يغنى

يُعول في صحن المسجد

يجأر بالصمت المخنوق، ويجهش بالدمع الأسود
ينسكب الحزن، وتتفرز اللحظات القاطعة النصل،
تفوصُ السكين، الجرح يسيل، الرأسُ يميل،
الخطوُ المشدودُ المتوتر يصفى، يتأقلُّ

يدنو من قلب المشهد

غمغمةُ الصوت تبين، تردد:

يثرَبُ،

مكةُ،

ومحمدا!

ضائعة في سيل العجمة، في لفتح مباخر وعطور

يا الله!..

صوتٌ يتردّدُ في الصحن المهجور

فتميل مآذن توشك أن تررع.

وتئن منابر - كانت تسعى صوب إمام الدنيا والدين

تُهرول بين يديه، تلامس موطئ قدميه،

وتسبح في كلمات النور

تتكمش الآن، وتقعى في الديجور

أخطو،

نخطو، نتأملُ قصر القلعة، من خلل المحرابِ

هذا بهو الديوان العام، وبهو الديوان الخاص،

وساحُ الرقص، وحمام الملكة، وقيان القصر

والنهرُ الجارى تحت القوم يعانق متكأً
المستعصمِ باسمِ الله، يقبل حبةَ سرواله
وتفيضُ مباخرُ بالندِّ وبالعنبر
ويرن صدى فى ساح البهو الخالى يتردد
ياشيخ نظام الدين:
ياوتد الأرض، وياأمن الدنيا
يامن نورُ الجلوة شمعُ مجالسه المشهودة
كأسك مفعمة بشراب العشق الأسمى
وبُراقك يحملنا فى دهليز الرؤيا
ينجيننا من أسر الظلمة، فى ساح اللقيا
أيقظنا .. ياشيخ نظام الدين
إنَّا موتى!
وسببات الموت طويلٌ .. ما أقساه!
حدثنا .. ياشيخ نظام الدين
إنَّا غرباء بهذا العصر،

نضيحُ وراء زحام لغاه
أدر كنا، يا شيخ نظام الدين
فدروبُ الحق تقودُ إلى كنفك
- هذا المتحلى بالياقوت وبالعسجد -
ما زال يردد:

يا الله!

* * *

حين يصير الحجرُ غريباً!
ينتصب مهيب القامة.. لكنّ في استحياء
يتسمع لغو رطانات الأقوام المبهورين
بوقفته الأسطورية
وأصابهم تتقرّى ما أبقت أيامُ الهولِ
على صفحة خديهِ
تطالع في عينيه وميضاً من خيلاء
تتحسس نقشا كان، حروفاً نُقشتْ بالتبر

رسوماً طال العهد بجلوتها
أثراً .. مازال يبوحُ ..
ويبقى الحجرُ الجامد وجه عزيز ذلَّ
يطالع سمت المشدوهين،
يكفكف من عدسات التصوير البهاء
وينهه بالصمت الراءف، بالأصداءِ
كوقع الطبل الأجوف،
ملء غضون الذعر القابع فى الشفتين المُلجَمَتين
ويرقبُ دورة هذى الأفلاك
الحظ المعكوسُ تردى فى الخذلان
وغاب النصلُ بقاع القلب المثقل بالتذكار:
«العاشق لا ينطقُ بالسر
إنَّ باح يمت»
فى السند، الهند، وراء النهر
وفى قرطبة .. سيان ..

أطلال تبكى،
تقلع بحثاً عن غفران
الطللُ الجاثم يرتاح على صدرِ الطلل الجوّال
يتقلّب بين شعاب الدنيا، عمراً طال،
زماناً موصول الأحران
فمتى.. يا شيخ نظام الدين:
الكون مريض بالأوثان
الكون ملئ بالبهتان
أدركنا..
قبل الطوفان!

فى المصيدة

عارٍ..

وترجمنى العيون!

عارٍ..

وتقدفنى الظنونُ إلى الظنون

- «من ذا رماك هنا؟»

وكيف تأرجحت قدماك بعض هنيهةٍ ثم انحرفت

ونسيت يومك

والذى قد كنت تلهثُ خلفه

لما انجرفت»

عار..

وصوتُ القوم يقبلُ، خطوهم نحوى يثزُّ
حشاي يسقط، آه ياهول الفضيحة لا تُعجّل
كيف لى أن أستر القبح المهين

عن العيون الوالفة!

لاشئ يستر!

- رب يا ستار -

لا..

لا فائدة..

إنى سقطت هنا.. بقلب المصيدة!

* * *

أنا فى الطريق إليك، يا وجهى المحمق

فى الأزقة والعمائر

- ما زلتَ مرتاعا، تجوب الناس،

تتبش في الحنايا والضمائر -

بيني وبينك من حطام الأرض أوراق تخبئها الدفاتر

نامت بداخلها القضية

أفعى،

تلوى حول عنقي

حول أعناق الصغار الراكضين وراء إرثهمو العظيم

من ذا يدلهمو عليه؟ ومن يقودهمو إلى شط الأمان؟

والحكم لم يصدر، وأقنعة القضاة تقول شيئاً ما،

وتحجم عند أشياء،

وآونة تصب شكوكها فوق الجميع..

مازلتُ أحملها - دفاترنا المليئة بالغبار،

أوراقنا المتآكلات تضمُّ حاشية العقار

يامن يقرينا إلى يوم الخلاص؟ وكيف!

كيف!

ولا شفيح، ولا سميع

وليس غيرُ الانتظار!
أنا فى الطريق،
هواجس الخوف المرير تهزنى هزاً
وتقعدى على وجه الرصيف، تفحصت عيناى
سيل العابرين، سرحتُ، وانقشعتُ
سحابةً يومىَ السأمان، وارتحل النهار
- ماذا لو أن الحكم أجّل مرة أخرى!
وثانية تعود الدائرة
وتعودُ كلُّ صحيفة الأتعاب «والرسم المسجّل»
والذهاب إلى المحاكم والإياب
وتعودُ تنقصنا الألة، والشهود!
ومالذى جعل الشهود بساحة العدل المنيع
يراووغون، ويهريون!
ألأنهم خافوا؟
وممّ؟!

خطاكِ قادمة، تباغتني، تثير ضغينة الأحقاد
في رأسي على السعداءِ في الدنيا، تزلزلني
ترد إليّ طينتيّ القديمة،
وجه أشواقي الذي نزهته أورامُ «القضية»
أو لستِ أجمل من لقائهمو جميعاً؟
- هؤلاء القابعين وراء أقمعة القضاء،
وهؤلاء الهاربين من الشهادة، والذين تجمعوا
حول القضية في وجوم،
والذين يتابعون الأتعاب في
الفصل الأخير من «الرواية»
بل أنت أروعُ من غدى الآتى،
ومن عمري الذي يمضى بلا معنى
ومن وجه العمائر حين تصبح في يدي إرثاً
ومن وجه الصغار
ونظرتِ لي،

ونظرتُ

«هل حقا إلىّ أنا نظرتِ!»

وابتسمت عيونك،

وابتسمت طربتُ، ياللحظة المعطاء

واهتزت يداك، أشرت لي؟ أم أنّ

أوهامى تخيل لي؟ أصدق؟ لا أصدق؟

أنت؟ وافرحي!

صعدت، ركبت خلفك، فى الزحام دفنتُ

رأسى، كنت أسندُ نشوتى الكبرى بأنك لى

تبعتكِ

صرتُ خلفك ظلك الثانى،

عواء الرغبة اليقظى يمورُ، متى الوصولُ!

الا جدارٌ واحدٌ.. يكفى ليسترنا!

ولكن! لا، فهذا بابُ بيتك قادمٌ

- من قال هذا الكهف فعلاً بيتهما؟

- قطعاً!

والا كيف لأن الباب، وانفجرت مصاريعُ الأمل

دخلتُ

دخلتُ

توهجت، فتوهج الذهب القديم؛

تعانق الحقدُ الدفينُ مع الجمال المستثار

وسكرتُ؟ أم سكرتُ؟

تملكتنا الدوار

وسكنتُ، فانطفأت رغائبنا معاً

وخبا الشرار!

* * *

وأفقتُ

لستِ بجانبى..

بل لستِ في الكهف الذي قد ضمنا

ناديتُ، ليس سوى الصدى

ناديتُ، جاوبنى المدى
ونظرتُ ثانية! لقد حملتُ جميع ملابسى..
معها.. وفرت.. كيف أخرج؟
كيف أهربُ!، كيف أبقى عاريا!
كيف النجاة!
ياويلتاه!

* * *

عار..
سترجمنى العيون!
عار..
وتقدفنى الظنون إلى الظنون إلى الجنون!
عار، وصوت القوم يقبل، خطوهم نحوى يئزُّ
حشاي يسقط، آه ياهول الفضيحة لاتعجلُ
كيف لى أن أستر القبح المهين عن العيون الوالفة!
- «كيف انجرفتُ إلى هنا؟»

- بل كيف قادتى خُطاي؟ نسيتُ وجه قضيتى المغرب؟

كيف إلى ابتسامتها استتمت؟

أكان ذلك صدفة عمياء؟ أم بلهاء؟

- لا..

هذى مكيدتهم، وهذا وجهها العارى

أتوا بى هاهنا، الأوغاد، حتى يفضحوا طيشى،

يسيمونى الهوان، يضيع حقى فى القضية!

- «أم كيف تنكرُ، والأدلةُ فى يديهم دامغة!»

وخطاهمو اقتربتُ، هسيسهمو يطنُ،

الويلُ لى،

لاشئ يسترُ،

- رب ياستار -

لا..

لافائدة!..

إنى سقطت هنا بقلب المصيدة!

ومات الفارس على فراشه

يجيئنى صوتك من قرارة الرمال
مجلجلاً، جذلان، يقرعُ المدى
أقبل الصوت وأحضن الصدى
فلم تزلّ فيه بقيةُ النقاء فى الرجال
وكان آخر المطاف أننى سمعتهُ
- يجيئنى من حيث أنت،
من مكانك البعيد عن عيوننا -

* إلى صديقى «رضا»، كان فارساً نبيلاً.. مات قبيل حرب أكتوبر (مايو ١٩٧٢).

وَأَنَّ فَارِسِي هُنَاكَ .. مَا يَزَالُ!

* * *

الحال من بعدك؟

هل أقول: كلَّ ليلة نعيشو إلى الركن الذى

ياكم مَلَاتُهُ، وظلَّ رطباً فارغاً

يوحشنا بلذعة البرودة المُفزعة

وبانطفاءةِ البريق فى عيوننا التى تاكلتْ

وبارتجافة الأصابع التى لم تقو أن

تفجرَ الكبريت فى عروقنا، يظلُّ ثَقُلُ قابضٌ

ووحشةٌ تمسكنا من الرقاب..

ولفضةٌ نقولها، نقطع عبء اللحظة الشوهاء

يستدير كلُّ مانقوله، يجفُّ فى حلوقنا، نغصُّ

يصبح الحديدُ أنتِ! دامعا وراعشا، وخانقا..

وعندما نُفَيِّق من دوامة الدهول

تملكنَا الدهشةُ والسؤال: كيف؟

- وأمس كان بيننا .. وما يزال! -
وبعدُ.. لم نصدق الرحيل
- والموتُ راحةٌ حين يصير ماضيا مُصدِّقا -
ونحن مانزال فى انتظار خطوتك
بعد قليل، تطرق الباب، تهلُّ طلعتك ..
تملؤنا بفيض حبك الكبير للحياة ..
تسكبُ فى صدورنا حينيك الجريح للسلام
وحلمك القديم أن تعود مثلنا،
للواحة التى تظلنا معا
فالفارسُ الحزينُ ما يزال يسترُ الطعان والندوب
فى بريق مقلتين، تدمعان، تتطقان بالأسى ..
ولا يقول!
يمشى على جراحه .. ويتكى
ينزف من أعماقه .. ولا يقول!
من يوم أجبروه أن يزيل عن صدور

رفقة السلاح شارة الميدان

وأن يمدَّ عينيه إلى عيونهم محملاً في هوة الفراغ
والعدم

ودورة الأشياء حين يلتقى الشجاع والجبانُ

هناك، في زنزانة السجنان

وليس من جريمة.. ولا أثراً

لكنه الزمان!

.....

بعد قليل، تطرُق الباب، تهلُّ طلعتك

يغمرنا جناحكُ الوثير بالحنان

تلوّنُ الكأس التي تكرهها شاحبةً، وتتفضل!

لأن شيئاً في عيوننا، كأنه الرثاءُ،

أو كأنه السؤالُ جارحاً، كأنه

نزفُ القرار فيك أنت، أو لعله الشرابُ،

أو حديثنا المدبَّب الصريح

يسأل عن بطولة الميدان!

نسأل عن فجاءة الأوان!

وتجمدُ النظرة في عينيك، يجمدُ الأسى، ولا تبوح

لكننا نسمعُ فيك ثورة البركان!

* * *

يجئُ من يقول: كان ساهرا ليلتها

ينادُ الليل البعيد في خلاء وحشة الرمال والتلال

وكان قابضا على زمام نفسه التي تتنُّ، تدمى،

يطفئُ الأنين في سراب كأسه التي لم تمتلئ

يرقب من وراء هجعة الظلام

ضفة أخرى

سيصبح الصباح وهي ما تزال

الضفة الأخرى..

لعلنا.. نحاول المحال!

لعلنا..

ونام دامعا، جبهتهُ المثقلة المهمة
إلى يمينه التي كانت تُهيب بالرجال
لعلنا ..

نُحطّم الأوسمة القديمة!
ونلعن الخذلان والضياع والملال!
.....

ولم يمت بلوعة الهزيمة
وإنما ..

- كما نموت نحن كل يوم -
بالعجز عن هزيمة الهزيمة!

شهود سفينة غارقة

المشهد من الخارج:

تغرب شمسكِ الكسيرة الشعاع في قرارة المحيط،
يزعم العرّاف أن فجرك المسوخ مات
- من قبل أن يولد مات -

وأن أبناءكِ ياللعار حين غللتهم الرتابة
شدّوا الرحال،

خفّوكِ شيخة ثقيلة الأرداف والخطى، ملعونة السيماء،
وأفردوك في العراء

قعيدة تجتر صمت الموت والكآبة
وفوق سطح اليمّ تسبح الطحالب المزركشة
تختال فى مسيرة الديدان، تعلقُ الأوضار والأوحال،
تحجبُ النسيم عن رفاتنا المهترئة
ولم نعد ندرى
نحن الذين مازلنا
- يشدُّنا التراب، والأواصر القديمة الأسباب والحرف
اللعينُ -

هل يقتلنا الأسى المهينُ،
أم تقتلنا الدهشة فيكِ والغرابة؟

صوت أول:

أرفض أن يكون عمرنا القصير مأتما
ياطول ليلنا الذى يظل لم نثقبه بعد
لعل كوة وحيدة تضئ،
نسمةً تهبُّ،

لفظة تشعل في عروقنا رمادنا القديم

ويلاه من أفاضنا الباردة المحنطة

تقاذفتها الريح في وجوهنا،

حتى إذا ما اختتقت دوامة الغبار

تساقطت أفاضنا على الورق

سطور عار

أخاف من لقائنا

من لحظة تجمعنا، نملؤها شكايه،

ورغبة قعيدة، مغترية

ساعتها،

ويصبح الحديث سأمًا

ويصبح التذكار ندما

ويصبح الوجود عدما

لكننا نظل في رتابة الأشياء، نمنح الأشياء من

صميمنا

لعل صوتنا القديم أن يعود
وينسف الحواجز الفلاظ، والمقاعد المرتبطة
وعندما يساقط الأسي
ولانطيق أن نرى وجوهنا،
أو نسمع النعيب فى أفواهنا
نرحل،
قبل أن يأخذنا الدوّار، قبل أن يسحقنا الدمار،
قبل أن يفجانا النهار،
وعندما!

صوت ثانٍ:

تأملونى
صار لى وجهان: وجه بومة ووجه ثعلبان
على دموعكم أجوس، أعبر الكهوف والخيران
ممتشقا لسانى المدرب الفصيح
منطلقا من ربة الزمان والمكان

وساكبا فى سمعكم أكذوبة الأمان
أمد كفىً استغاثة، أو محسنا، سيان
وليس ثمّ من يقول كيف؟ أو له؟
وكلنا فى غمرة الطوفان
تتوشنا سنايك الأحزان!

صوت ثالث:

يهتز كل شئ

الشارع يهتز

- العالم يهتز

- الأفق المحدوب فوق مدينتنا يهتز

- تهتز التفعيلة، تسقط فى إيقاع الزمن المثقل

بالضوضاء

نخرج مذعورين، نفتش عن مأوى، نتماسك، نهوى،

نتصادم، نقعى، نتساند، نسقط مذعورين،

يدحرجنا الرعب الوحشى، نخوض وحولَ الموت ونهوى

المحَّ ثمَّ قبائل تأتي وتروح

بيارق ترتفع وتطوى

وجنودا تفترش الساحة، تغفو فوق جِيادٍ

كانت بالأمس تحمم حتى أتعبها التصهالُ الكاذب

سكنت تحت غطاء الليل الكابى مقرورة

وتغيب الصورة

تهتز، فتطمس الأشياء وترطم الأشياء،

ولايبقى إلا صوت مشروخ

صوت ما زال يئز!

هذا الصوت الضائع فى البرية

يرثى فينا كونا يهتز!

صوت أخير:

لا، لاتحاولوا التقاطهُ

مضى، تبددت خيوطه،

التقى بغير سمعكم ولن يعود

لكننى أشهد : كان شاحبا ، وكان
ينسلّ فى مرثية قديمة
لمحتُ فى سطورها غرناطة الشهيدة
تسوق للقاء فارسا وفارسا
ويستقط الأبطال فى حومتها قصيدة
أشهد ، كان فى شعاعة المساء
محدّرا دموعه الساخنة المهمومة
وقبل أن يغيب رفّ مرة ومرتين
لعله يبحث فينا عن صدى
لعله كان ينادى أرضه المفقودة
وحين غاب ، كان باهتا ، وكان يائسا
ويطبق الأسى!

شمس الله في قرطبة

فوق الثرى العاطر في قرطبة الوديمة المزينة
رأيت نور الله ينداح على أفق كنيسة ومثذنة
شاهدت آى الله تترى، فتذوب عثرات الأزمنة
وتمحى الأبعاد والأسوار، فالكل وجوة مذعنة
دانت لوحدة الشعاع في سريرة التقى المؤمنة
سمعت صوت الله تتلوه شفاء عامرات محسنة
نبضاً سرى،

* المؤتمر الإسلامى المسيحى الثانى فى قرطبة (مارس ١٩٧٧).

ثم استكنّ في حنايا الكلمات المعلنة!

* * *

ما زال في المحراب من صدى زمانه الذي ولىّ أذان
ترتجُ دون وقعهِ الجدرانُ، يهتز الزمان والمكان
وتستديرُ ملء صحنه المضمخ العطور مقلتان
تستجليان موكب الأمان في جلاله وتسجدان
تستشرفان دورة الأيام والرؤى، وتخشعان
هذا ضياءً الله،

بيته المشعُ بالسلام والأمان
ونحن في سفينة النجاة نلمسُ الضفاف والشطآن
جمعانِ

من بعد الشتات، واغتراب الملتقى، يلتقيان!

* * *

المُح حجراً يبكي
أطلالاً تعول في وقفها الأسطورية

لحناً كعزيف الجن يدمدمُ بين تخوم الربوة،
والجسر المهجور
أسمعُ هسهسةً، وشجوناً، مازالت حيرى مفترية
فى قاع النفس تثور
ويداً تمتد إلى الوجه الكابى المدعور
تتقرّى وجه الحجر الصلد،
تطالع هذا السمّت المأنوس،
وتخشع فى سجدتها،
ويدور الدهليز الممتدّ إلى الزهراءِ
يفاجئنا بشعاع النور
ترتاح قلوب ثكلى وصدور
كانت تضربُ فى تيه الديجور!
وتنادى،
من فوق الربوة والجسر تتادى:
«يا عبد الرحمن، ويا منصور»

ها نحن نعود إليك
الأيدى سكنت فى الأيدى
وخطانا ارتاحت فى جسر الحبّ المعمور
ترسمُ دربا ميمونا للقىا
والطيفُ الهاتفُ مازال يشاغلنا
فى الصحو، وفى جلوات الرؤيا
فامنحنا بعض شعاع من عينيك
فالدنيا غيرُ الدنيا
لكنّ نداءك يجمعنا ويوحدنا
فى الأرض السمحة يجمعنا ويوحدنا
فانظر ماذا صنعت فىنا الأيامُ
نستلّ مرارتها
ننتزعُ دمامتها
ويعودُ الإنسان إلى الإنسانُ
جمعا نتساند، كالبنيان

فى وجه الظلمة، والطوفان!

* * *

أقسمت بالإسلام،

بالسلام،

بالقلوب وهى مفعمة

أقسمت بالذى أضاء فى عيوننا طريق المرحمة

ومد فى طموحنا حتى ارتقينا للإخاء سلمه.

وبث فى صدورنا ضياء هديه لنا وعلمه

يفسل بالنور بقايا السنوات المدبرات المظلمة

أقسمت هذه بدايةً الطريق، بادروا مُحْتَمِّمَه

عيسى وأحمد عليه يفرسان فى القلوب أنجمه

تعانقا هدياً إلهياً السنا، متوجاً بالمكرمة

ونحنُ حاملوه فى أعماقتنا،

لن نُسلمه!

أغنيتان لمصر

«أحبك»

أحبك

يانبضة في صميم الحنايا

ويادفقة من شعاع السماء تضيء خطايا

ويامنتهى غايتهى..

إن تمنيتُ أفقا وضيئا

وفجرا نديا

* أكتوبر ١٩٧٣

وعيشا رضيا
وناديتُ، كنتِ الصدى في ندايا
ويقدفنى اليوم للأمس،
يقذفنى الأمس للغدِ،
أسبحُ، عبر فضائك،
أرتادُ أفق نجومك،
أسكب روحى على ضفتيك شظايا

* * *

أحبك
فوق ترابك يغمرنى الشوقُ،
تبض عيناك، أخشع، أرنو
وقد أتكورُ فوق يديك شهيدا، وأغفو
تُطلين فجرا جديدا، وعمرا
ويمنحنى شاطئك امتدادا
وراء حدود الزمان،

وراء حدود المكان،
كأنى تماثلت فوقك دربا
تمر عليه القوافل تسمى
كأنى انتصبتُ جدارا منيعا وسدا
تطيش عليه الأعدى.. وتفنى
كأنى تلاصقت فى حضن من غاب:
أحبابنا،
والشهيد المضرَّج،
والأمل الأخضر المستثار،
ورايتنا ركزتها السواعد فى جبهة الشرق،
يكبر من حولها أمل العائدين،
يمرون،
ينبطحون عليها،
يضمون وجه تراها المندى
تُكبر أفواههم بالصلاة،

يضمونها فى خشوع الحجيج،

وفى لهفة العاشق المستهام،

يعودون،

قد عصف الشوق

طلالت لىالى البعاد،

وغاصت أصابعهم فى التراب المفدى

تبدّل وجه اللىالى نهارة

تفجر صمت السنين انتصارا

* * *

وقفت أناديكِ من عمق جرحى

وأهتف: نمضى وتبقىين أنت

وأهتف: نمضى، وتحيين أنت بعزم الرجال

بعزم السواعد وهى تشقُّ غبار المفاوز،

تقتحم الهول من أجل عينيك،

من أجل لؤلؤتين تضيئان وجه الزمان،

من أجل وجهك هذا المضمخ بالدم،
من أجل يومك، يكبر، يمتد، ينفسحُ
الأفق حوليه،
يحمل فجرا جديدا
وحلما وليدا،
ونصرا..
وتبقيين يا مصر.. مصرا!

«اليوم السابع»

اليوم السابع جاء
والراية فى أيدى الأبطال الشجعان
تتألأ فى وجه الدنيا
وترفرف أبدا فى خيلاء
من فوق التبة فى سيناء

* * *

اليوم السابع جاء
سقطت أحلام المخمورين المزهوئين
داستها أقدام الأبطال المنصورين
قذفت ببقايا الوهم الجاثم فى سيناء
- الوهم ابتلغته الصحراء -
أنبتت الأرض الطيبة المخضوبة
وردا يسقيه دم الأبطال
وحنين التواقين ليوم الثأر
جاءوا كالسيل الجارف، كالزئزال
يحملهم مد الشوق العاصف
يدنيهم من وهج الأرض المسلوية
وترفرف أرواح الشجعان على سيناء
يرتاح الشوق اللاهب
تحتضن الأيدى وجه المحبوب العائد
وجه الوطن الغائب خلف غيابات الأيام السوداء

وجه اللحظة، حين يصب الماضي فى الحاضر
يتصل نداء الإنسان وسعى الإنسان
اليوم يعود إلى الأشياء مذاق الأشياء
يصبح للكلمات مذاق الكلمات البكر
وتعود الروح إلى مصر!

* * *

عبر الأبطال الشجعان
عبرنا نحن جدار الخوف
عبرنا وجه الأيام السوداء
عبرنا سد الذل الجاثم فوق رقاب القوم المحنية
فارتفعت كل الهامات وكل الأعناق
شامخة الطلعة.. والسيماء
تتلقى الضوء القادم من سيناء
صنعته بيارق هذا اليوم الموعودة
تتلقى الفجر القادم من سيناء

صنعته مواكبُ هذا الزحف المحشودة

تتلقى النبأ القادم من سيناء

صنعته ملامح هذا النصر المشهودة

تتلقى الصوت القادم من سيناء:

«قوموا انتبهوا..

أبناؤكم الأبطال الشجعان

صنعوا وجهاً آخر للتاريخ.. وللإنسان

أبناؤكم الأبطال الشجعان

ضربوا المثل الأعلى في قلب الميدان

قوموا انتبهوا

أبناؤكم الأبطال الشجعان

عبروا..»

فعبّرنا خلفهمو سدّ الأحزان!

الدائرة المحكمة

لا مفر

هذا أنا..

وفى نهاية الطريق.. أنتِ
واحةٌ شهيّة، سحابةٌ سخية تمرّ
أدمنتُ ظلّها.. ولا مفرّ
والآخرون.. بَيْننا!

* * *

هذا أنا

لا جائعًا أتيتُ أو مُطاردا

أو هارباً من موسم الجفافِ والحطبِ
أو باحثاً في ذروة الزحام عن مغامرة
فقد تعبتُ من تقمُّدِ المدى
مستقرئاً للغيب أو منخذلاً في المنحنى
ومن قلوب هشةٍ مُراوغةٍ
حسبتُ في بريقها تالِقَ الذهب
لكننى صحوتُ فجأةً ذات صباح
كانت ستائر الأصوات غير ما عرفتُ من أحزانٍ
وفي الأثيرِ ثمَّ رائحة
تكشف عنها فورةُ البركان
ممزوجة الأنداء باللهبِ
أدركتُ . يالروعةِ اللقاء، والإصغاءِ
لمقلتيك . حين أجفل الصباحُ في المساء
أنى سقطتُ في بحيرتين من صفاء
وأننى أسيرُ في السماء

وَأَنَّ أَيَّامَا خَلَّتْ مِنْ رِحْلَتِي هِبَاءَ
قَبْلَ اكْتِمَالِ الْعُمُرِ بِالضِيَاءِ
قَبْلَ اتِّسَاعِ الْعَيْنِ لِلرَّوْيِ
قَبْلَ ارْتَوَاءِ الْقَلْبِ بِالْهِنَاءِ!

* * *

تَسَأَلْنِي عَيْنَاكَ عَنِ نَهَائَةِ الطَّرِيقِ
أَحَازُ.. لَا أُجِيبُ
يَجْلِدُنِي سُؤَالَكَ الصَّمُوتُ أَلْفَ مَرَّةٍ،
وَيَخْرُسُ الْكَلَامُ الْحَرِيقُ فِي دَمِي،
وَلَا أُجِيبُ
وَتَسْتَحِيلُ لِحِظَةَ الْقَاءِ غُصَّةً، وَبَعْضَ بَوَاحٍ
لَكِنَّهُ السُّؤَالُ، فِي عَيْنَيْكَ مَا يَزَالُ، وَالْحَرِيقُ
أَخْفِضُ طَرَفِي حَائِثاً وَأَسْتَدِيرُ
لَا أَطِيقُ!

* * *

ترى يجودُ العمر مرةً، بقطعةٍ من الخيال
تتزعنا من يومنا المغموس في الوجوم
تطلقنا من قيدها المفروز في الصبَّار والزَّهَّوم
إلى مدارات النجوم
محلَّقَيْن، تائهَيْن في أثيرٍ، ما يزال
ندور فيه، والمدى من حولنا تخوم
وفي الثرى البعيد عن عُيوننا
- ينأى بوجهه الدَّمِيم -

تخلَّفت أثقالنا

وانطفأ السؤال

فليس من بدايةٍ ولا نهاية

لرحلةٍ تدورُ في المحال

ترى يجودُ العمرُ مرةً بلحظةٍ اكتمال!

فتسقطُ الحدودُ والسدود من طريقنا المرصود

وتسقطُ الأقنعة التي تعافها الوجوه والجلود

وتستريح بيننا العيون من فُجاءة الزلزال!

* * *

أغرقُ حين أرتوى

فَنَبْعِكَ المَعْطَاءِ دافِقُ، بلا حدود

وومضةُ الحنان تفتحُ الكوى

وتجعلُ الفرقي يرومون المزيد

لكن شيئاً قاتماً، يرسبُ في قلوبنا

شيئاً ثقيلاً داهماً، كقبضة الحديد

يخنقُ فينا حلمنا المزغرد السعيد

يا ويلتا، يا ويلتا

من وخزةٍ في الصُّدر تُتْهِى لحظة الأمان

العمرُ لا يسعفنا

والخوفُ كمّ يتلفنا

هل من مزيدٍ يا همومنا، تُرى هل من مزيدٍ!

الليلُ موعِدُ لنا

فجرّبي أن تقسمينا اثنتين، أو تشي بنا
والحبُّ قُوتنا ورحلنا وكهفنا
وزادنا في رحلة المنفى
إلى اغترابنا الجديد!

* * *

هذا أنا
وفي نهاية الطريق.. أنتِ
والآخرون بيننا!

الليل وحبّة الضوء

تجيئين في الليل - يا قسوة الليل لولاك -

يا حبة الضوء،

تساقطين بقلبي

أذوب ارتجافاً

وتصطك أرجاء نفسي

أموت انخطافاً،

وأعشو إليك،

يجاذبني ثقل يومي

ويسحقنى حجم همىّ
ويقدهنى للبلاد السحيقة وهى تبوحُ بأسرارها
وتغادر طُوق الرّتابة
أدور، أظلُّ أدور،
تلاحقنى ومضة من شعاعاتِ عينيكِ،
تحملنى فوق كلّ التخومِ القصيّة،
أصبح فى خفة الضوء، مُطلقا فى الأثير،
أحدّق فى عالمٍ من كآبة!

* * *

يقولُ لىّ الليل عنك كثيرا
يحدّثنى عن صباحك،
وعن وجهك المستكنّ وراء الطفولة
يحدّثنى عن تجاعيد عينيك حين تضيعين
شاردة فى شعاب الليالى الطويلة
وحين تفكينّ لغزاً فینحلُّ،

حتى يجرى بنا لفرنا صخرةً مستحيلة
يُحدثنى عن بقايا سجائرِكَ المطفأة
وعن دوران الدخان المسافر فى رحلة للسامة
وعن مزقٍ من شرعٍ تهاوى ولما يصلُ مرفأه
وعن دمعاتٍ تجمدن لا ينحدرن،
وأهه صمتٍ تكتُمُتها
فاستحالت أنينا، وجرحًا مدمى
وعاصفة من همومٍ ثقيلة
وعن أمنياتٍ تقلَّصن، صرَّن رؤى مرَّجاة!
يقول لى الليلُ عنك كثيرا
أحسك ساكنة فى جوارى
وألقالك وادعة فى انتظارى
أبوحُ،
ويسقطُ عنى القناع،
وألبسُ وجهى،

أعود صغيراً كما كنتُ في البدء،
جدّلاًن يا حبة الضوء،
مُنْتَشِياً بالحديث إلى جانب المدفأة
ويحملني الليلُ، جسرُ المحبين،
أدنو إليك، وأرنو
وأنت سحابةٌ عطر، ونجمةٌ ليل،
وبوْحُ امرأة!

الدائرة الحكمة

أجيتك،
مزدحمًا بالوعود،
مضيئًا كدائرة البرق،
منتظرًا لانهمار السواقي،
الأصقُ عُرِّي بجدران عزلتك الوحشة
تلوّح للمابرين الحيارى
أن انغمسوا في رحابي
ولوذوا بيابى

وسيحوا، دروبى ممتدة مدهشة

وأنشطر اثنين:

بعضى يُلاعن يوم قدومى لديك

وبعضى يبارك يوم انتسابى إليك،

وأمضى،

تلاحقنى دمدماتُ انشطارى

ويصلبنى فى الميادين جوعى وعارى

وذُلُّ انتظارى

وأرجع مختتقاً بانكسارى!

* * *

أجيئك،

تحملنى صهواتُ الرؤى المعلمة

بكفىَّ سيفك،

أحملهُ عن ميامين قبلى،

مضوا فى هواك، وغطوا ثراك،

وفاحوا مباحراً تمسحُ بالمعطر أحزانك المظلمة
ومازلت شاخصة، كالشواهد فوق القبور،
كوجه الخرائب في ليلةٍ معتمة
وأنزلُ في الممعان،
أطاعن تَبَّتَ الجنان،
وظهرى إليك،
أمنتُ فجاءتِ هذا الزمان،
تلبَّستُ جلد الأمان،
عرفتُ اختلاط المسالك،
بليلة المدلجين،
وطعم المرارة في طعنات الجبان
ظننتُ بأنك في الرُّوع حصنِي
ملاذِي وأمنِي،
وزادِي إذا جعتُ،
كهفي إذا خلعتني القبائلُ،

واختطفْتى الأسنَّةُ،
وانهَرْتُ فى ساحةِ الملحمةِ
وها أنتِ،
عاريةُ تسترينِ البقايا
تكشِّفُ وجهك لى،
وتساقطِ جلدك،
هذا الخبيءُ وراءِ مدى الأفتنةِ
وجدتكِ راجمةِ الأنبياءِ
وقاتلةِ الشعراءِ
ومخرسةِ الألسنةِ
وجدتكِ عاتيةِ القهرِ،
شامخةِ العهْرِ،
فاسدةِ الأمكنةِ
وأرتدُّ،
أين المضرُّ

وأين براءة حُلْمٍ تقصِّفَ،
خطُّو توقفَ،
عمرُ تجاعيدُهُ مبهمه
وأسقط،
تتسعين فما لأزدرادى،
ولحدًا عميق القرارِ
وفخا،
ودائرةً محكمة!

الشعر في هذا الزمان

يا حدّ السيف المرهف والقاطع
ها، خُذ في القوم بَراَحَكَ لا تتردّد
واقذف برؤسِ حانِ قِطافِ ذوائبها
وتعرّي وجه دمامتها وغرائبها
في وحل الليل المرصود الساطع
هذا عصر الوالغ في كأس أخيه
العارض سوّءته في سوق أبداً
لا تنفد

هذا عصر المتورم جهلاً

من يوقظه؟ من يثيبه؟

نعرفه، ندرك حطّته، لكن في خلوتنا نبيكه

نحذرُ أن نُعمدَ فيه الرأي الفاجع

حتى لا ينهار الحفلُ الجامع والذائع

وتدوم دمامة هذا الوجه المتجدد!

* * *

يتشقق وجه الأرض، يُطلُّ العابرُ في عمق الهوة

الصمتُ يموجُ،

الرأسُ يدورُ

الصوتُ النَّائي يصتأعد

من قاع الهوة يصتأعد

مذبوحاً مخنوق الشهوة

ركلته الأقدام الحمقي

وانهالت سافية العدم الأسود

وارتحنا
فالقشرةُ عادت مجلوة!
ها أنت تُحدِّق مذعورًا
ووحيدًا من خلل الكوة
فاففرَّ ما شئت فما
وانزفَّ ما شئت دما
واهتف بالقادم لا يدنو
فالهوةُ تبتلع الصفوة
كمدًا في الخلوة، أو ندما!

* * *

تنزل من صهوة ذاك الحلم، تعود غريبًا ووحيدًا
حلقت طويلا
مسَّ جناحك الأفق النائي
شأرت تخوم المجهول المملوء دروبًا ومناثر
وحفائر شتَّى وبشائر

ومسحت وجوه الناس نبياً ينثالُ وعوداً
بينى يويوبيا وعمائر
ورجعت بحفنة تذكاراتٍ خائبةٍ وبقايا من أصداءٍ
غرقت في جوف الضوضاء
فانظرْ حولك
وتأملْ هذي السوقَ العارية المشهودة
فالكلُّ يبيع ويسقطُ في المحذور
واشحذْ سيفك
قد تقطع يوماً هذي الكفَّ الممدودة
لا تدري سُمَّ أناملها
أو حجَمَ الطلقة في الدَّيجور
واخفضْ صوتك
حتى لا يسمعك الحمقى، والسفلة قد يستقصونك
واحذرْ قَدْرَكَ
يترصدُّ ما بين الكلماتِ المعدودة

لو تدري الغيبَ الكامن في المجهول
لاخترتَ العيشَ طليقاً، وبعيداً
لكن، ها أنت تدورُ وتسقطُ في شركِ المقدور
مقتولاً برصاصِ قصيدة!

لأنك الوطن

على جناح الصيف يرجعون
تلقى بهم مدائن الغربة والعراء والحنين
في مفارق الطرق
مغلولة أيديهمو إلى خزائن الأشواق
مشدودة عيونهم إلى حقائب السفر
مدموغة وجوههم بوشم عام محترق
تساقطت أيامه في هوّة الزمن
مُشرعةً آذانهم إلى نداء بالرحيل

وخطوهم يسوخ فى عبء الأسى الثقيل
وفى العيون بعض ما تخلف الصحراء من غبار
وفى الحلق بعض ما استقر من أسنّ
تتابعت حقائب المحملين والمزوّدين
واختلطت مواكب المشيعين والمودعين
وانفتحت خزائن المحدثين فى انبهار
وليس فى الجراب غير كومة من السنين
وحفنة من المحار
لعلها من بعد طول النأى والترحال والطواف
ورحلة الخريف والجفاف
لعلها الثمن!

* * *

ها أنت فى وقفتك المرسومة المراوغة
لا تحتفى بهم،
ولا تصدهم..

تجمعوا أمام بابك الوصيد ذاهلين
وانفرجت شفاههم عن دهشة ونقمة
هل أخطأوا حين أتوا؟
هل أحسنوا؟
لا يعرفون
لكنهم برغم صمتك الثقيل يحشرون
تموج في عيونهم دوائر الحنين
وحين تطبق الفخاخ حولهم يستسلمون
دون انتظار غاية لسعيهم أو حكمة!
ولست حانيا
كما توقع الغيَّاب حين يرجعون
أو حافلاً بالخير،
مثلما تعود الآباءُ
حين كانوا يعرفون من عطائك الميمون
وسركَ المبارك المكنون

من حول هداةٍ ولقمة
أو جامعا للشمل،
عندما كنت مصلى للجميع
ينحنون في ترابك
ينتشرون في شعابك
ويقسمون في رحابك
بأن عهدك الوثيق لن يهون
قد لا تكونُ أيُّ شئٍ بعدُ، يرتجون
فقد تشققت حلوقهم، ولم يعودوا يهتفون
وانسحقت أحلامهم تحت خيول الظلمة
وأصبحوا،
حبن يفنون وحين ينشجونَ
يستحون
وإن أفاقوا مرّةً وجربوا يفسرون
قالوا: تغيّر الزمن

لكننا نلقاك، يا سرعان ما ننهار في أحضانك
كي ندفن الغربة في أحزانك
ونُسكنَ العظام في شطآنك
دون سؤالٍ عنك، أو عنا، وعنّ...
لأنّك الوطن!

يدوسنا عام جديد

وانتظرنناك، فلما جئت.. ماذا فى يديك؟

الدمُ المسفوح ما زال،

غُبار الموت،

أُناتُ الثكالى والسبايا

والصدى المدعور ما زال،

هتاف الرعب،

صوت الباعة الحمقى،

ومنذورون ذابوا فى مواويل الصّبايا

عبثاً صاروا ضحايا
ويد تقذف بالأفعى فتلتفُّ
وفتيان يخوضون المنايا
أملأ في شاطئك!
تعبت كلُّ انتظارات الأيامى والعيايا
عندما صارت كهوف العمر للناس مرايا
سقطت عنها التجاعيد،
وشاخ الوهم،
وانزاح القناعُ الصلْدُ
وارتدَّ شظايا
وانتظرناك، وها أنت هنا،
ماذا لديك؟
حين فتشنا عن الراية، لم نلق الذي كنا رفعناه،
وغنيناهُ
عاماً ثم عاماً

النداءاتُ التي بُحَّتْ بها أصواتنا ذات صباح
فى شقوق الأرض غابت، أرضنا العطشى
وذابت فى تلافيف الجراح
وأفَقْنَا

فالثرى المخضوب حنّاء وأفراحٌ وساح
والندامى سكرُوا من غير راح
والذى يبرق فى الأيدى سلام أم سلاح؟
نحن أغمدناه فى أحشائنا
ورقصنا رقصة الموت على أشلائنا
وغرزناه وثيداً فى الحنايا.. فاستراح
حين فتشنا عن الراية..
لم نخرجْ على القول المباح!

* * *

أيها القادم، فى عنف قطار الموت،
رفقا بالوجوه المتعبة

نحن جرئنا كثيرا
وابتلعنا خيبة الوهم حسيراً، وكسيراً
وتعلقنا طويلاً بذبول العربية
في الغبار الأسود الملعون نرتدُّ،
وفي وجه الليالى الجوف،
في دوامة الصمت الحزين
ودهاليز الرؤى المضطربة
لم نفارق وتداً شُدَّتْ إليه كل أعناق القبيلة
لا، ولم نسأَمُ أفانين هتاف الكذبة
لا، ولم نبرحَ مكاناً نحن فيه من سنينٍ
هملاً من غير حيلة
هذه الأعناقُ ديست، داسها عام وعامٌ
لا تكنْ أقسى
فما في منزع الصبر بقية
لا، ولا بعض إباء في عروق الرقبة

أيها القادم، في عنف قطار الموت، تطوى كل شيء
المدى، والعمر، والأحقاد، والصمت المهين
دامغاً وجه الليالي بالجنون
خفف الوطء، فهم موتى
وهذى أرضهم مفتصبة!

عندما يغلبنا الأسى

أهكذا يمرّ عام؟
وتتطوى الأيامُ فى لفائف الأيام
نصحو،
فلنقاك بعيداً حيث لا صدى ولا سلام
وثمّ ما يشغلنا
يلقى بنا فى قبضة الزحام
أهكذا يسرقنا المنام؟

* فى الذكرى الأولى لرحيل الإذاعى الكبير عبد الحميد الحديدى.

ويستحيل وجهك النبيلُ بعض طيف

يعبرنا فجاءة فنرتجف

نلمحُ فيه من بريق مقلتيك جذوةً لم تتطفئ

ومن حفيف صوتك الأنيس رنةً تُلامسُ المكانَ

ومن صدى خُطاك قادمًا تهلُّ، واندفاعة الصغار

تذيب في أحضانهم هوى مدبِّبًا كسيف

سرعان ما يفيض بالحنو والأمان

نلتفُّ في عباءة الشتاء حول ركنك الأثير بيننا

وعندما نُشعل من مجامر التذكر المرير دفء ليلنا

يغلبنا الأسي، نحار كيف نبتدئ

ونملاً العيون بالدموع والكلام!

الآن حين يعتريك زهو فكرة تضجُّ بالشرر

وينذرُ الحديث بالخطر

تُرى من الذى تجيل فيه سيف فطنتك

وتنتقى من فورة الألفاظ ما يضئ فيض حكمتك

ويدمغ المحاورين بالحَصْر!
الآن مَنْ يُنجيك من بُرودة الصمت الثقيل مطبقا
وقابضا

أم يا ترى يروق لك
وقد بعدت عن سفاسف الحياة والبشر
واستسلمت عيناك للخدر
واقتعمت سَكِينَةُ الرَّدى خُطوط سَحْنَتِكَ
تخفى الذى يمورُ فيك من مكيدة القَدَرِ
منسحقا تحت سنابك الرضا
هل ثمَّ ما تراه غامضا
أم أن دورة السؤال خاطرٌ عَبْرُ
يُفضى بنا إلى القضا
ولا مفرا

* * *

يا سيدى هلاً تخففت من العبء الذى كم أثقلك

وأنت تتشُدُّ الكمالَ والمُحالَ

حملته،

وليس في يديك غيرُ قوتِ يومك القليلِ

وفي جبينك التماعة الشرفِ

وفي فؤادك العصيَّ همَّةُ الرجالِ

لكنه الدربُ الذي يختاره المسافرون في الحلكِ

نفوسهم من فوقه تسيلِ

يشدُّهم توهج اليقين والهدفِ

وحينما تلتفتُ العيونِ

ونستدير باحثين عنهمو ذات مساءِ

ليسوا سوى حكايةٍ تُقالِ

حكاية بلا مثالِ

عن فارسٍ مُعانِدٍ هلكِ!

فى حمى رامتان

وأطرقتُ أصغى لهمس الضلالِ،
وصوت الزمان القديم
وفى الأفق بعض روائح المستكنة
بعض امتداداتِ صوتك،
بعض شعاعات عيّنك حين تجولانِ فى القاع،
تستشرفان خبيء التخوم
الجدوعُ القديمة فى الطين تلتفُّ

* فى ذكرى عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين.

بوحُ العطور يموجُ،

العصافيرُ تعلن عن موسم الخصبِ،

تفضح أسرارها وتغادر خُلف الغيومِ،

أنا سائرٌ حيثُ كانت خُطاك تُصلى

وسمعك يلتهمُ الكونِ،

وقع أصابعك المرهفات انتفاضاً وقبضاً

عُزوفاً وأنسا

تجوبُ مدار النجوم

تلامسُ وجه المكانِ، تطوّفُ في سحنةِ الكائناتِ

تطالعُ هذا الوجود الدميم

وأطرقتُ،

هذا الطريقُ النحيلُ المدمى

يؤدّي إليك،

ويُفضى إلى قلب مصرَ

إلى عالمٍ فيكِ سمحِ الأساريرِ،

مُشتعلِ الحسِّ،

صافى النَّسيمِ)

* * *

تُراكَ استحلت، كما كنت في البدء ظلاً وجمرة

وطوّفت تشعل في الكائناتِ رياحِ الغضبِ

وتتزع في مهرجان الطقوسِ ثياب التكر والأقنعة

وتسكبُ في مسمع الوادعين

عويل الأيامي وجوع العرايا

وتقطف من شجر البؤس شوك الأسي والتمرد

وتتشر للسابحين وراءك حبل التواصل والأشرعة

وتقذف باللهب المستثارِ جدار المعرة

فلا أنت تهجُ في المحبسين

ولا أنت ترتاع خَوف المنايا

وطاغوت من ولغوا في الرزايا

ولا أنت بعض سطور منمقة في زوايا الكتب

تراك استحلّت كما كنت فى البدء ناراً وثورة!

* * *

لمحتُ الذين أحبوك جاءوا

وبعضاً توقّفاً

كيف العبورُ إلى شاطئيك، وأنت الرحيبُ المدى،

شاخصٌ كالعلامة

وبعضاً توهمٌ أنك فى حكمة الشيخ،

تصفع حمق ادعاءاته،

وثرثرة اللغو إذ يتشادقُ،

أنى له أن يطالع سمّتك، هذا العتّى الصرامة

وبعضاً من القوم حمقى،

يظّلون أسرى دهاليزهم،

يرودون درّبك فى عتمّة الليل،

يستشعرون فجاءة لفحك الطاغية

يذوبون،

ينكمشون،

يظّلون خَلْفَكَ أسرى حيارى

هو الضوء يسطعُ، كم يُنكرون!

هو الليلُ يزحف، كمّ يعمهون!

وأنت، تُساقطُ حَكْمَتَكَ الغالية

وتغفر للقوم أنّ أسرفوا

وجازوا ببابك لم يُبصروا

ولم يعرفوا زهرةً كنت تعشق أسرارها

ولا بارقاً كنت تغرسه فى ثايا كتاب

ولا وطناً كنتَ توغلُ فيه بقلب صديقٍ

وفكر منيع

ويُطوى زمانٌ،

ويأتى زمانٌ

تظلُّ عروقتك فيه تشبُّ

يظلُّ شعاعك فيه يجوسُ

ويغمرُ كلَّ القرى والنجوع
ويأتى على الدرب خلفك من طين مصر جموعٌ،
وتأتى جموعاً!

سكن العبير

سكن العبيرُ وأطرق الصمت
والروض لا ظلَّ ولا صوتُ
وعلى الثرى أثار أغنيةٍ
عبرتْ وغال صداحها الموتُ
مزق من الذكرى، يلاحقها
نأى شتيت راح ينبتُ

* فى رحيل الشاعر فوزى المنتيل صاحب ديوان عبير الأرض.

وحذاء أقوام قد اغتربوا
عن نجعهم وتباعد السمْتُ
جاءوا غزاة، فاتحى مدن
صماء عَشَّش فوقها المَقْتُ
طحنتمو الأيام وانسكبوا
فوق الثرى، وتناثر الزيتُ
يا ويلهم خرجوا بما ملكوا
ومضوا، فلا وطن ولا بيتُ
من حولهم جثث مُحَنطة
الشعرُ فى الواحها نحتُ
إبصارهم . لو أمعنوا . عَمَّةُ
وبلوغهم . لو أدركوا . فَوْتُ
إن يُسرِعوا فلكلّ مائدةٍ
وعن الخنا أقلامهم صُمّت
أو يهتفوا فلكل بارقةٍ
ولكلّ قولٍ عندهم وقتُ

فَسَدَّ الزَّمَانُ بِهِمْ وَمِنْ عَجَبٍ
لَمْ تَنْفَدِ الْأَسْمَارُ وَالْتَخْتُ
وَأَرَاكَ بَيْنَهُمْ وَشَهِيدَ هَوَى:
«أَنَا مِنْ صَمِيمٍ وَجُودِكُمْ جِئْتُ
مِنْ قَرْيَةٍ فِي الْقَفْرِ نَائِيَةٌ
عِذْرَاءٌ فِي آفَاقِهَا طَرْتُ
وَفَضَضْتُ خْتَمَ السَّرِّ عَنْ فَمِهَا
فَتَكَلَّمْتُ لُفْتِي، فَغَنَيْتُ
بِعَبِيرِهَا صَلَّيْتُ مُنْتَشِيًا
وَبَسَرِهَا الْمَهْتُوكِ أَنْطَقْتُ
دَمْعَ وَأَهَاتٍ وَأَتْرِيَّةَ
وَصَدَى أَيَامِي فِيهِ ضُمَخْتُ
وَجَنَازُ بَكَائِينَ مَا عَرَفُوا
غَيْرَ النَّوَاحِ، بَرَكَبِهِ سُرْتُ
وَحَمَلْتَهَا فِي الْقَلْبِ، وَأَنْطَلَقْتُ
كَفَى تَزِيحِ السُّتْرِ فَارْتَعْتُ

فى رحلة الكلماتِ قاتلتى
إنى نطقْتُ بها فأذنبْتُ
وعصيتُ لكن لم أخن أبداً
وخُذلتُ لكن ما تشكيتُ
ونُفيتُ عن جلدى، وما علموا
أنى عن الصفرى ترفعتُ
حسبى إذا حُشدت سهامهمو
أنى على يدها تكسرتُ
وجُهلْتُ، لكن حسبُ ذاكرتى
أنى لطين الأرض عُرُفتُ

* * *

الآن ترجع غصنٌ باسقةٍ
فرعاء هومٌ حولها النباتُ
سكن العبيرُ وأطرق الصمتُ
والروض لا ظل ولا صوتُ
كم أنت قاسٍ أيها الموت!
كم أنت قاسٍ أيها الموت!

الرحلة اكتملت

نجوسُ خلال الحروف،
نحاورها ونراك جديداً تهلاً علينا
تُساقطُ حكمتك الموجعة
نضيع وراء الزحام، يفاجئنا الصوتُ، صوتك،
نعرفُ طعمَ نداوته،
وحدودَ رحابته،
نتلاصقُ،

* في رحيل الشاعر صلاح عبدالصبور.

ندركُ أنَّ الحياةَ امتدادٌ وأنَّ الخطي واسعة
يдахمنا الحزنُ، نعشو إليك،
ونلتاقك في آخر الدرب، تسكبُ فينا الصفاءُ
وتمنحنا اللَّفَّةَ الوادعة
ومنَّ لك حين تجوسُ،
وحين تضيغُ،
وحين يضاولك الحزنُ،
حين تفتتكَ الكبرياءُ،
ومنَّ لك حين تميل بك الأرضُ،
تهتزُّ من حولك الكائناتُ،
تدورُ بك اللحظة المفرعة
وتدركُ كمَّ أنت، يا للأسى، عاجز وشريد
وأنتك حين اتكأت تهاولي الجدارُ الوحيد
وأنَّ الذين تؤملهم للزمان عُرَّةٌ وجوعي
يلوذون في كلِّ بابٍ،

وترتدّ أشباحهم ضائعة
فبِرق الأمانيّ باطل
وهذا الزمانُ المِراوغُ قاتل
وهذا الأزيزُ يطنُّ بأذنيك، ينهش صدرك
يفري حشايك، يُعلن عن مقدم الفاجعة
تراكُ احترقتَ بأحزانِ غربتنا الموحشة
فأطلقتِ رُوحك من رِبقة الأسر،
من أسنِ الزمنِ المستعاد،
وآثرت أن تستدير لتُكملَ رحلتك المدهشة
تعودُ إلينا، كما عُدت دوماً، بصيدٍ وفير
وحزن كبير
ودمدمةٍ تقرُّعُ الهاجعين، لينفجروا أو يموتوا
وعينين تستشرفان جسور التطلع للمستحيل
ويقدحُ زنداهما بالشرر
يضئُ ويقتاتُ من زيت هيكلك المستباح

يردُّ الطعان ويعتادُ نَزْفَ الجراح
ويخلع أقنعة القهر، يُفضي بنا للصفاء الجميل
تكاشفنا بالغرائبِ من كلِّ زاد حملتَ
وسِحْرَ ليالٍ تخطِّفن الزمانُ البخيل
وتخرسك الطلقةُ الطائشةُ!

* * *

تراك اعتزلت،
توحدت لما تقصيتنا
وعرفت مدانا
وأدركت أن الغيومَ اللواحق ليست تُخبئُ إلا الجهامة
وأن الذي سوف يأتي عقيم
وأن الكلام المباح نباح
فيا فارساً دون درع وتُرس
ويا سندبادا بغير قلاع
ويا ملكا عرشه الليلُ والشعرُ والأصفياء

وروادُ ساحتِه الأذكياء
تطفأُ نجمٌ وأخلف أنس
وعششُ في الساحةِ الأذعياء
فَمَنَ للسِّقاةِ ومنَ للندامي ومنَ للمريدين والأصدقاء
وقد كنتَ تسقيهمو من وداك
وتملؤهم باضطرامِ الحياة
وترفعهم حيث أنتَ،
وتبقي بعيداً، فريداً، بلا نظراء!

* * *

ها أنتَ زمانَ للشعر، وعمرَ للعشاقِ
وعطرَ تغمرنا سقياًهُ
ها أنتَ زمانَ للشعر،
نطالعُ آخرَ حرفِ فيه،
ونفلقُ صفحته، فتفاوحنا رِيأهُ
نخلعُ أنفسنا منه،

نُعاودُ كراً الطرفِ،
ونبُعدُ عنه لعلَّ العينَ تراهُ
لكنَّا حينَ نفيقُ، نراكِ، فلا تخطئكِ العينُ مُسجِّي
ندنو، نتحلقُ من حولكِ تتأملنا، وتُصنِّفنا
وتردُّ الكاذبَ عن بابكِ،
ترفضُ أن تُصبحَ موسمَ لغوٍ أو بهتانِ
تتململُ حينَ يلاحقُ سمِّعكُ زيفُ القولِ
تزيأً صورةَ إنسانِ
ترفعُ عنَّا جبهتكِ المثقَلةَ المهمومة
مذبوحاً بفتونِ العشقِ
مقتولاً بسياجِ الحكمةِ
محمولاً حيثَ تغيبُ شعاعةُ ضوءِ طافية فوقِ الماءِ
تُبحرُ في نهرِ الأحزانِ!

عابرة

من أنتِ؟ لا أدري، ولا من دليل!
يا ومضة تُعشى فؤاد الكليل
ولفحة توقظ في خاطري
كوامن العمر القصير الجميل
عيناك في عمقهما عالم
خصب الرؤى، عاتٍ، حفىً ظليل
تلقفنى في بفتتى نظرة
أدرك فيها وقع خطبٍ جليل

كم حاورتى صامتاً مُرغماً
يقتلنى هذا اللسان الخجول!
كم أقلقت فى سكون الدمى
واقتلعت منى الرضا بالقليل
وأغمدت فى خافقى نصلها
وافرحتى، إنى الطعين القتيل
ما أهون العمر: حصادُ الصبا
ولىّ، ووافانا الزمان البخيل
وأهون القلب، تفور المنى
من حوله، وهو الأسيف الملول
وأهون الساعات مخنوقة
يملؤها سافى الغبار المهيل
وأهون اللقيا إذا أسمحت
فليس من مأوى ولا من سبيل
نظل منبوذين، يقتاتانا
لفح الفراغ الموحش المستطيل

لو تملك النفس حدود المنى
لو يعرف القلب شفاء الغليل
إذن لطامنت الخطى، وانتهى
ومض سراب خادع لا ينيل
ولاستراحت فى بحار المدى
أشربة مشدودة للرحيل
من أنتِ يا نجما بعيد المدى
يسقط فى قلبى كعبءٍ ثقيلٍ
عبء يشد الروح أنى سرت
مرتجئةً تحلم: أين المقييل؟
نصل رهيف الحد مسنونه
فى عمق أعماقى حثيثا يجول
لفح كعصف الريح فى ذره
ما حُمّلته كاسيات الفصول
سرب من الأحلام مذعورة
ولّت وفى الآثار منها فلول

من لى بمن يشعل هذا الدجى
ويملاً الزيت ويرعى الفتيل؟
عائبة الإيقاع: جُنُّ اللظى
واستيقظ العمر الوشيكُ الأفول
من أنتِ؟ لا أدرى، ولا من دليل!
غيبى إذن، في زحمة المستحيل!

صورة

تعالىّ..

فهذا زمانُ التقنّع،

عصر انتهاء البراءة

تعالىّ،

أكاذيبك المشتهاة، لمثلّي زاد،

أفيضى،

أعيدى وزيدى،

ففى السمع متّسع ما يزال،

وفى القلب جرح يقطرُ ماءه
وأنى اتجهتُ
صدالكِ المجلجلُ يزحم كلُّ الزوايا
يلاحق كلُّ الدروب،
يساقطُ فوق البرايا غطاءه
فينغمس النور فى الظلِّ،
يختلط الصبح بالليل،
تصبحُ كلُّ المرايا .. حكايا
ويصبح سيين: تصديق ما تدّعين
وتكذيبُ ما تصدّقين
فأنت عجيبة هذا الزمان
وهذا الزمان بكفيك يوغلُ عبر التخوم الكئيبة،
عبر النفوسِ الشحيحةِ،
عبر السنين الجديدة، يرجو شفاءه
تعالى

ففى العمر متسع للفضول
وفى النفس مستودع للإساءة!

* * *

ومثلك، مصاصة للدماء!
تشكّلت من أى طينٍ
وألبستِ أىَّ إعوجاجٍ
وؤسّدتِ أى وسادة!
يحارون فى هودج تخطرین
بطيآته، عندما تعبرین،
تفوحین،
تلتمعین
وتتعطفین،
فليس لما تصنعین انتهاءً،
ولا للذى تشتهيهِ العيون زيادةً!
وأعجبُ

كيف احتيال خُطاكِ
وكيف العيون، كعيني، تراكِ
وكلُّ الأصابع، مثلى تشيرُ
وكلُّ الوشائيات تتثال سُمّا!
وتتثال رجما..
ولكنهم سلبوا فى هواك الإرادة!
وأعجبُ
هل أنتِ كلُّ النساءِ؟
وهل أنتِ أصلُ البلاءِ؟
فمثلكِ أعطى الزمانَ فسادهُ!

لغمة
من دم العاشقين

بيت فوق شجرة

كانت شجراً، ينمو فيّ، وأنبتُ فيه
تلتفُّ الأغصان بروحي،
يفرخُ طيرٌ بين حنايا القلبِ،
ويورقُ عمرٌ،
يسقطُ ظلٌّ
تعشبُ أرضٌ، كانت عطشى،
كانت تقذفنا للتيه
هذا العمرُ الجدولُ نما

يُنضجنا لفحُ الشَّمْسِ،
وتضفّرنا سنواتُ القحطِ،
ويترعنا نبْعُ السقيّا
نتشكّلُ عبْرَ جذورِ موغلةٍ،
نطلعُ في ساقٍ واحدةٍ،
نتفاحُ من أكامِ الزهْرُ
هزّي جذعاً،
إنّي أساقطُ،
إنّا نساقطُ رطباً وعناقيدُ
ميلي غصناً،
إنّا حين تشابكت الأيدي،
وتشابكت الأيامُ،
تداخلت الرؤيا ..
نهرًا يتفجرُ بالخصبِ
وشموسًا تسطعُ فوق حقولِ القمحِ

ودروباً تُفَضَى، لمسالك تُفَضَى، لمدى يمتدّ
ومدائنَ تعلو..

لا يدخلها إلا المختومون بوشم الحبّ
كانت شجراً ينمو فيّ وأنبتُ فيه
لأنعرفُ منْ منّا الفصنُ؟
ومن منّا الأوراقُ؟
ومن منّا الثمرة؟
تقطعنا، لو تقصِفُ غُصْنَا
تتزعنا، لو تقطعُ جذعنا
تشرينا،

لو ترشفُ قطرة طلّ ذابتْ فوق جبين الشجرة
فلماذا نخشى يوماً
أن تذبل هذى الأوراقُ؟
وأن ينكسر الفصنُ؟
وأن يرتحل الظلُّ وينأى

والشجرة فينا مزدهرة!

* * *

هذى خطواتى الأولى، تمرقُ فى الطين، وتوشك أن
تتعثر، أسقط، ثم أعاودُ، وجهى لايفصح عن هدف،
ويداى معلقتان بفصن، آه.. مغللتان بوعد، يفلت منى،
لاضير، تشبثتُ بآخر، عاودتُ الخطو، الطينُ يلاحقنى،
الطينُ بيوتٌ وسرايب ووحشة ليل متكئة.

وأنا فى الظلمة مشدود، لمصير مجهول أمضى، لنداء
ناء يتردد، لحقول تملأ أنفاسى بروائح ليل يتوالد،
أشباح تُسمى فى المنعطف وفى الساحات تراوغ إذ
تتمطى، وهى تطول، تسد الأفق، ويصبح حجمُ الخوف
بحجم النخل، ولونُ الرعب بلون الليل، يشق عيوننا
منطفئة!

أبحثُ عن مأوى يعصمنى

عن لون أخضر يجذبنى

عن عش فى شجر الزيتون، أالصقهُ ويلاصقنى

نتداخل، فالكونُ عناق..

نتناغمُ، فالموسيقى هستهسةٌ تعزفها الأوراق
نتواصلُ، فالدنيا - لا أبهى -
والعمر الآمنُ - لا أحلى -
وترفُّ خطاى المبتدئة!

* * *

الآن يدورُ العمرُ،
ويُفصحُ عن دورته،
يفجؤنا عرى الأشجارِ،
ولون الخضرةِ شاحبةً،
ونضوبُ الماءِ ...
نتساندُ .. أحوَجَ ما كنا
نتلاصقُ، أبعدَ ما صرنا
وتغرّينا
تُكرنا عيّنُ الأرضِ،
وذاكرةُ الأسماءِ

فلمن أتجه؟ وتتجهين؟
وهذى الأرض تظلُّ تلاحقنا حتى الموت
قدرًا مشدودًا، يُوغلُ فينا
لأتخطئه العين، ولا يُخطئه القلبُ
والعمرُ رهانٌ.. أن نحيا فيها،
نجعلَ منها زمنًا للحلم،
دُرُوبًا للذكرى،
وعَدَاً للموت..
العمرُ رهانٌ،
أن تُنبتَ فيها شجرًا ملتقًا، لأنحِصيه
العمرُ رهانٌ، أن نجعلَ منها زمنًا
ومكانًا... لا يقذفنا للتيه
شجرًا يحيا فينا، نحيا فيه
شجرًا ينبتُ فينا.. وطنًا!

جاء عصر الشتات

أحبُّك
كلُّ الكلام مُعادٌ،
وكلُّ الحكايا بلادٌ
سُجنت بداخلها،
واصطدمتُ بحاجز عزلتها
واغتربتُ وراء دهاليزها
واشتهيتُ زماناً
له جرأةٌ وامتدادٌ!

* * *

أحبُّك
واخجلى حين أهتفُ باسمكِ
كلُّ النداءات لغوٌ تكررُ
وصوتٌ قديمٌ تناسخه العابرون
وعُرسٌ تقلصُ ضوءُ الذبالة فيه
وعششٌ وجهُ السوادِ
فكيف أوافيكِ فى سِحنةِ الآخرين
وفى لغةٍ من دمِ العاشقين
وهذا دمي فى شعابِ البلاد
يسيلُ انتحاراً وعشقا
ويومضُ فى جلواتِ الشروقِ
وينسلُّ فى لغةٍ تتخلقُ عبْرَ المنافى
وتمرقُ من رحمِ القهرِ
من قبضةِ الذكرياتِ السجينةِ
من زخرفاتِ الطقوسِ العقيمةِ

تُفَلت من أَسْنٍ في الحلوَقِ
وترمى بنا في خَضَمٍ لِيالِي الحِدادِ !

* * *

أَحِبُّكَ

كَيْفِ اصطخَابُ الرِياحِ

وكَيْفِ اعتِناقِ الصبَاحِ

وكَيْفِ اشتِباكِ الرِماحِ

وكَيْفِ انخِلاعِ القلوبِ

على ومضَةٍ من ثنَيا الشَرِّرِ

وكَيْفِ اندِفاعِ الفِريقِ

يُطلُّ على حَافَةِ المِوجِ

يرفَعُ رَأسا

وينهارنَفْسا

ويثوى على صِخْرَةٍ في شِعبِ المِضيقِ

تلاطمها دمدمات الرِياحِ !

* * *

أحبك

ضاقت بساكنها الكلماتُ

فلم يعد البيتُ مأوى

ولا الحلمُ ظلاً

ولا الزمنُ المَحتوينا مساحة

ولا الوعدُ متكاً للحزاني

وقد جاءَ عصرُ الشتات

فهل تسعفُ الذكرياتُ

وحيدَيْن

يُثقلُ رأسيهما الأسنُ المستعاد؟

وهل تسعفُ الصبواتُ،

نداءاتنا،

حين يرتجُ خفقُ الزناد

يدوسُ على لفتينا السلاحُ

فيخرس صوتُ الكلامِ المباح!

* * *

أحبُّكِ
ما زال مُتسعٌ للوقوفِ
ومتسعٌ لاختيارِ الحتوفِ
ومأوى
لمن يؤثرونَ العراءَ
على لغةٍ فى ظلالِ الكهوفِ!
ومأوى أنتِ
تشعبتِ حولِ سواحكِ العنبريةِ
جاوزتُ أحراشَ ليلكِ
تاخمتُ خلجانَ بحركِ
كشفتُ أصدافكِ اللؤلؤيةَ
حلقتِ عبْرَ التخومِ
وطوّفتِ بالشعبِ المرمريةِ
ومازلتِ عبرِ السواحلِ
أرقبُ سيْلَ القوافلِ

أرتاد شِعْبَ المِجَاهِلِ
أرجع بالتحف الموسمية
وأجتاز نحوك
كلَّ المسافات
أعبرُ كلَّ الصُفوفِ!

* * *

أحبُّكِ
أصبحت الكلمات منافيَ
واللغةُ المستعارةُ سَجْنًا
وأقنعة الشعراء طلاسَمَ
فكلُّ الكلامِ معادٌ
وكلُّ المنافي بلادٌ
وكلُّ الحشايا سهادٌ
فلا تَسْمَعِينِي!

الحب.. قرار

أجتازُ وجوهَ الناسِ، رخامَ الناسِ، إليكِ، وأصطدمُ
أخطو،

أتحسسُ درّبًا

يمتدُّ، يباعدني، ويُقرّيني

أتلمّسُ فيه مكانا وزمانا

مأوى،

نتلاصقُ فيه، ونقتسمُ

أقربَ ما كنتِ،

وأبعدَ ماجازفتِ،
يظلُّ العبءُ أنوءَ به وحدي
وينوءُ به جَلدي
وندائى محضُ صدئى
لايمسك شيئاً منك، ويُفلتئى
فلمن أتجهُ؟

مداراتئى تجفوها الشمسُ
ينطفئى على أبواب مشارفها النجمُ
يتراكمُ فيها الليلُ الجدبُ
وخطائى تسوخُ،
ولكنئى

أجتاز وجوهَ الناسِ، زحامَ الناسِ، إليكِ، وأصطدمُ
وشعاعُ منكِ،
الأحقهَ وأطاردهُ،
أنسى أنئى شارفتُ تخومَ الرعبِ،

واقترحُ،
فيضئُ القلبُ
يملؤنى زهوٌ
يملؤنى أنى بهوانا متهمًا

* * *

ها، أنتِ يُطلِ علىّ، على أفقى..
الوجهُ المأنوس
تتفتتُ غيماتُ الحزنِ وترحلُ، لاترحلُ،
تحتجبُ وتتأى
تساقطُ شجّواً وتجوسُ
أستجمعُ ما أبقتهُ بكفىّ الأيامُ
وماغرسته بعينىّ الأحلامُ
وأنثرهُ فى مقدمِ موكبكِ المجلوُ
يرفُ قطوفاً وفراديس
من ينزع من ذاكرة الليل زماناً مثلَ الأسطورة؟

وشعاعين التقيا من بعد شتات الغربية والتطواف؟
وكما يعتقُ النجمُ اعتقا
وكما يحترقُ الجمرُ احترقا
وكما يختنقُ الوردُ اختنقا
غرقا في ذؤبِ السّحرِ المرصودِ
ذابا في مسرى الوجدِ،
وفي جَلواتِ العشقِ،
وفي وهجِ الأنفاسِ
غابا في نشواتِ الحُلْمِ،
وفي فلكِ الأقمارِ المنسيّةِ
غابا عن كلِّ الدنيا، عن كلِّ عيونِ الناسِ
فالليلُ ضفافٌ مشهودة
والعمرُ خيوطٌ معدودة
تقلتُ من أيدي الحراسِ!

* * *

يتشققُ منَّا الجلدُ،
ويصبحُ وجهُ الجلدِ أخاديد
عطشًا يتشققُ
يزدحمُ ركامُ العمرِ، العمرِ الموحشِ منكِ، تجاعيد
وغضونا تزحفُ، لاتشفق
حتى ينفجرَ بنا الوعدُ المأمولُ
وترتجُّ الصبواتُ،
ويدفَعنا طوفانُ اللحظةِ ... للمجهول
يتبدلُ وجهُ العالمِ،
وجهُ العالمِ ما أقساه!
نتعاهدُ ثانيةً
ألا نُخلفَ حلمًا
أو نقتلَ وعدًا
أو نُسقطَ زمنًا
من غيرِ أمانٍ عشناه..

نتعاهدُ: لا يخذلُ واحدُنَا صاحِبَه
فالكُونُ ملىءٌ بالخذلانِ
سيمرُ كثيرًا هذا الوقتُ الفارغُ منكِ،
وهذا الزمنُ المولعُ بالإنكارِ
وستعبرنا هذى اللحظاتُ المخنوقةُ فى التكرارِ
والظمأُ القاتلِ فى الصحراءِ
لكنا ندركُ أنَّ زمانًا بعدُ، زمانًا بعدُ، لنا
نتوقفُ فيه، نُريحُ لُهاثَ العمرِ
ونُحدقُ فيه، فَيبهرنَا أنا أحياءُ
نمتلكُ الحلمَ، وأنْ نحلمُ
نملكُ أنْ نبنى أوْ نهدمُ
زمانًا..

لايجرفنا فيه التيارُ
نتدافعُ من فوقِ الموجِ،
ونقفزُ من فوقِ الأسوارِ

وننادى:

يا أحبابَ الأرضِ ويا أبناءَ التيه

الحبُّ دثارٌ

الحبُّ شعارٌ

الحبُّ قرارٌ!

يحدث أن

يحدث أن نتلاقى ذات صباح أو ذات مساء
نتوهم أننا، مثلُ الناس،
لنا بيتٌ وغطاءٌ
وزمانٌ نبحرُ فيه،
وتُقلع فيه الأيامُ الصَدئةُ
والروحُ المنخوبة بالإعياء
ومرافئُ نرتاح إليها،
ونرصُّ العَمَرَ المكدود

نقتحمُ زحامَ الأرصفةِ المهترئة
وضجيجَ المدنِ المسعورة
نتوهم أن مكانا يشملنا .. يغدو كُلاً العالم
ونداءً يجمعنا .. يصبحُ كلُّ الأنغامِ، وكلُّ الأجراس
وطريقاً يمتدُّ ويفضى
لاسفلة فيه ولا حراس
يتخطفنا حلمٌ مجلُوب
تتشابك أيدينا،
تتلاصق فرحتنا الممرورة
ونُحلقُ فوق مدينتنا
ونطلُّ وراء نوافذها المنطفئة
ثُمَّ ماوى ..
دفعاً يفترشُ الجدرانَ ويُقعى فى الأركان
ثُمَّ أبخرةً،
أنفاسٌ حرى متكئة

وسعارٌ ضارٍ .. مزهوٌ
يفترس شعاباً تتلوى
فنعودُ برؤيا... منكمئة
تتلمسُ أعراسَ الأضواء!

* * *

يحدثُ أن نتصادمَ فى سجن الظلمة
يقفز كلُّ منا مرتاعاً فى وجه الآخر
وكانُ أصبحنا، لاندرى كيفاً! نقيضين، وشتيتينِ
اللغةُ اختلطتْ،
والعينُ انطفأتْ
والشوقُ المكتومُ انحلَّ
وصار الوهجُ الدامى .. ماءً
ساعتها،
يدركُ كلُّ منَّا عمق الخيبة
ويُحدِّقُ كلُّ منَّا فى وجه الزمن القادم

تَلَقُّنَا رَعْدَةً يَوْمِ عَاتٍ مَجْهُولٍ
وَفُجَاءَةً مَوْتٍ مَحْتَمٍ
وَنَهَايَةَ حَلْمٍ يَتَهَاوَى فِي قَلْبِ اللَّجَّةِ أَشْلَاءَ
وَنَظْنَ بِأَنَّ الْكُونَ مَوَامِرَةً،
وَالشَّارِعَ مَذْبَحَةً،
وَالعُرَى الْفَاضِحَ مَقْتَلَنَا، وَخَطِيئَتَنَا
فَلنَطْرُقَ جَوْعَى غَرِيَاءَ
وَلنَحْمِلَ مِلءَ حَقَائِبِنَا زَادًا مَسْمُومًا، وَبَغِيضًا
وَلنَلْعَنَ - مِلءَ حَنَاجِرِنَا - كَوْنًا مَتَسَخًّا وَمَرِيضًا
وَلنَطْلُقَ فِي كُلِّ مَخَاضَةٍ
طَلْقَاتِ الثَّارِ الْمَحْمُومَةِ
تَجْتَاحُ الْأَيَّامَ الْجَهْمَةَ
تَقْتَلَعُ مَسُوخَ الظِّلِّ
انْتَصَبُوا فِي قَلْبِ الْمِيدَانِ
وَاقْتَلَعُوا الْعَيْنَ الْمَبْهُورَةَ

فعلَّ الكون - بأعينهم - يمتدُّ فسيحًا وعريضًا!
هانحنُ نُبادرهم بسياطِ اللعنة،
تتصبُّ جحيمًا كالبركان
نخرجُ من بين مسامِّ الجلدِ،
ومن شهقاتِ النفسِ،
ومن صرخاتِ الرؤياِ المذعورةِ
نتلمسُ، بعدُ، يقينًا كانَ،
وحلمًا كانَ،
وعُمرًا غضًا مختلِّسًا
من قبضةِ قضبانِ السَّجانِ
وتعودُ، فتلتمَعُ الصورة!

خطوط فى اللوح

(أ) رباعيات:

بَيْنَ وَقَعِ الظِّلِّ، وَالظِّلِّ، يَمِيلُ
رَأْسُهُ الْغَارِبُ فِي كُلِّ اتِّجَاهٍ
وَالدَّمُ الْقَانِي عَلَى الْأَفْقِ يَسِيلُ
مُعلنًا بِالموتِ، مِيلادِ حَيَاةٍ

* * *

طَائِرٌ حَطَّ عَلَى الْغَصْنِ وَطَارَ
حَامِلًا فِي صَدْرِهِ سِرَّ الرِّحِيلِ

ماله يبحث عن وجه نهار
يُرجع الحُلْمَ إلى العمرِ الجميلِ

* * *

الجناحان يرقآن .. فيعلو
والجناحان يُسفآن .. فيدنو
روضة الهامدُ إجدابٌ ومحلُّ
والمدى حوليهِ إيحاشٌ وسجنُ

* * *

يقطعُ العُمَرَ، ويجتازُ الوهادَ
حائرًا بين صعودٍ وهبوطٍ
رأسه الطائرُ ملقى في البلادَ
ويداهُ في شعابِ الأخطبوطِ

* * *

ذاتَ يومٍ قادمٍ سوفِ يجيءُ
باعثًا في كونه سرًّا الخلودُ

روحُه تَبْضُ بِالْحُلْمِ الجَرَى
وخطاه تكتسى معنى الوجود!

(ب) الشُّرْكُ:

تجيين فجأة

تغييب فجأة

وقبَلَ المَجِئِ المَفَاجِئِ

وبعدَ الرِّحِيلِ المَنَاقِئِ

تظليلَ في القلبِ تَوْقًا إلى ظلِّ هِدَاةٍ

وجُوعًا لِحُضْنِ المَرَافِئِ

متى أيها الوجهُ تسفرُ عن وجْهِتِكَ؟

متى يستريحُ المَسَافِرُ من دورانِ الفِبارِ

ومن وِخْزَاتِ اللَّيَالِي

وجَدْبِ النِّهَارِ

ومن شُرْكِ كَامِنٍ في المَدَارِ؟

يلفُّ خُيُوطَ الأمانِ بِأَعناقنا

هتقتلنا مرَّتين:

فيومًا

لأنَّا حلمنا بها، وانتظرنا

ويومًا

لأنَّا خدعنا بها، واغترينا

وما ثمَّ شاطئ!

* * *

متى يا أنيسِ الزمانِ الجميلِ،

الزمانِ البخيلِ،

الزمانِ الذي في الحنايا .. تعود؟

متى، من جديدٍ، يُراوغنا ظلُّكَ المستطيلِ

فيُلقي علينا عباءته،

ونفوسُ،

يُعاودنا وعدُّكَ المستحيلِ

وننزِعُ من فوقِ جدراننا

وجة هذا الوجودِ الثقيلِ
وتحملنا موجةً في البعيد
لنجم على الأفق يحبو
وخطاً على اللوحِ بادئ

مد البحر

(أ) كلمات متقاطعة:

جثم الحزنُ على كلِّ البيوتِ
وتدلَّى من خيوطِ العنكبوتِ
وجهُ إنسانٍ،
تُغشِّيهِ ارتعاشاتٌ ورعبٌ وابتهاالٌ
وبعينيهِ سؤالٌ،
جاحظٌ، يهتزُّ في يأسٍ صموتٌ:
ما الذي ألوى بأعناقِ الرجالِ؟

وأحال الألق الكامن في وجه العيون

سُحْبًا تُمْطِرُ أَحْزَانًا

وتثوى في الرمال؟

وتدلى.. فدنا

عاري الصدر.. مُسْجِي

وحواليه زحامُ الناسِ..

يمضى ويفوت

لم تلاحق سَمْتَهُ عَيْنٌ،

ولا اهتزَّ فُضُولٌ

صوت:

مالنا والشارعُ الصاحب!

سارعَ باجتيازِ الوقتِ ما بين رصيفٍ ورصيفٍ

واعبر الخلقَ، فما ثمَّ مكانٌ

أو زمانٌ لانتظارٍ وعُكوفٍ!

صوت آخر:

يسقط الناسُ،

يقوم الناسُ،

يحيونَ، يموتونَ

يجيئونَ، يروحونَ

غيابٌ وقُفولٌ..

والتزامٌ وعدولٌ..

لا التفاتٌ للذى يجرى

ولا نبصر إلا ما يرى المدلجُ فى ليل الكهوف

.. لا، ولا تشغلنا حتى الحتوف!

صوت أخير:

جثم الحزنُ على كل البيوت

وتدلَّى من خيوط العنكبوت

وجهُ إنسانٍ صموت

وجهُ إنسانٍ يموت!

(ب) ساعديني؛

هَجَمَتْ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ دَمَدِمَاتُ الْعَاصِفَةِ
وَالرَّيْبُ الْكَاذِبُ الْوَجْهَ، تَعَرَّى عَنِ رَمَالِ سَافِيَاتِ
وَتَدَاعَى الْمَجْهُدُونَ
كُلُّهُمْ يَحْمَلُ أَيَّامًا وَأَعْبَاءً ثَقَالًا
وَمَرَايَا كَاشِفَةً
شَقَّقَتْهَا أَوْجَهُ نَافِذَةَ السَّهْمِ،
وَدَاسَتْهَا قُلُوبٌ وَاجِفَةٌ
الْمَدَى لَا يَتَكَشَّفُ
وَالْأَمَانِي تَتَقَصِّفُ
وَيَدُ الْإِعْصَارِ تَمْتَدُّ وَتَذَرُو
كُلَّ مَا فَوْقَ الرَّمَالِ
مِنْ قُصُورِ زَائِفَةٍ!
سَاعِدِينِي

وامنحيني من عطاياك.. الذي يُمسك نفسي

ويردُّ النور للعين،
شعاعًا، ووعودًا جارفة!
لست أشكوكِ إلى شيخ القبيلة
لا، ولا أدعوكِ للتأر،
ولا أرجوكِ لليوم الذي يفجؤنا من غيرِ حيلة!
نحن مطعونان، والسهمُ بقلبينا مُدْمَى
فاركضى فى الساح ياخيل الهموم
واقْدحى - فى ليلنا المغلولِ فى سودِ الرؤى -
برقَ السنايك
واهبطى كالرعد،
فالقوم المرجؤون نيامٌ
وانظرى:

خلف الخوانِ الضخم أيتامٌ
وفى الباحةِ أضيافٌ لثامٌ
ومع الخيمةِ أشباحٌ هزيلة!

ساعديني.. كي أراكِ
نحن في وجه ليالى الرّعبِ نَسَاقَطُ،
في قلب الشراكِ
كوّةٌ واحدةٌ تكفى كلينا
إن ثقبناها نجوّنًا
واشتعلنا كالبروقِ الخاطفة
ساعديني
ها أنا أخطو،
فتحلُّ غيومُ الكونِ،
تساقط من فيك رضايا وغضب
ها أنا أدنو،
فينداح اتساع العمر،
حلما، وشبابا ولهب
الربيع الكاذب الوجه تعرّى
فلماذا نتوارى

خلف أوراق الشجيرات العليلة
بعدهما اهتزت إلينا آسفة؟
ها أنا أدنو
وفجر كاذب يمضى
وبعد الفجر تدنو الراجفة
ساعدينى..
إن ينبوعاً من الأسرار لا يكفى
وطوفاناً من الأشواق لا يشفى
ومدّ البحر لا يروى نفوساً تالفة!

ملاح

يهبطُ حيثُ لاتراه عَيْنُ
مُشتبِكاً مع الخطى الوئيدة المباعِدة
ونائِحاً.. مع المطرِ
منسرباً في عطش الرمال، والظلال
تسأله حين يغيبُ: أين؟
لكنه، لاصوت.. لا أثرَ
وتسكن الرياحُ في المفاوز المعانِدة

* * *

من موقعى أرتقب الشروق

يدى على نافذة النهار

وجبهتى إلى جدار

وخطوتى تغوص فى الشقوق

حلقتى يَفصُّ بالطعومِ والروائح

والنار فى ملامحى تنزُّ

والغدُّ لاتشى به البروق!

* * *

سألتِ عن مفتاحِ هذه المدينة

حتى يمرَّ الهودجُ الجليلُ فى أمان

وتهجمى إلى مكان

ينأى عن الممالكِ الملعونةِ القُفول

ترجلى..

هذا الذى يهبطُ لاتراه عين

منتظرٌ بالباب.. يطلبُ المثل!

شاعر الحراب المديّبة

كانت حراّبك الطويلةُ المديّبة
تجعلنى على مسافةٍ منك،
فلا أعاينُ الذى حويّت من جمال
وكان وخزك العنيفُ حين تستهلُّ صولتك
مفتتاً بزهوةِ النزالِ والمبارزة
يتركنى منك على انتظار
للحظةِ، يعودُ فيها صفوك المسكوبُ فى الرجال

* هذه القصيدة والقصيدة التالية في وداع الشاعر أمل دنقل.

ينكشفُ الوجهُ الغضوبُ عن فُجاءةِ الفَرَحِ
والجسدُ النحيلُ بالودادِ يختلج
يموجُ في الضلوعِ صدركِ الوريثِ بالظلالِ
مُؤانسًا وحانيا
ويصبحُ القلبُ العصيُّ، في رَحابةِ الدنيا
وفي تدفقِ البحارِ
كنوزةٌ مذخورةٌ لكلِّ من عرفت
شعابهُ طيِّعةٌ لكلِّ من حملت
رحابهُ سقيفةٌ وبَّيت
لكلِّ من صحبت في ممالكِ الليلِ،
وفي أقبيةِ النهارِ!

* * *

نتحلَّقُ حَوْلَكَ،
نشهدُ كيفَ تذوبُ، وينطفئُ النجمُ الموعودُ
تتفلَّتُ من بينِ أصابعنا

نَفْسًا، نَفْسًا

تتسرَّبُ من بين شواغلنا

قَبَسًا، قَبَسًا

نرتاعُ ويصدمنا الهولُ المرصود

نبتعدُ، فيطوينا دورانَ اليومِ، وننسى

حتى يَرجعنا التطوافُ إليكَ

ونُقعى حَوْلَكَ،

تتأملنا، وتُصنِّفنا

تقرأ فينا جيشانَ الدمعِ المخبوءِ،

تطالعُ فينا زلزلةَ السَّمْتِ المهزومِ

تمتدُّ يداك، لتأخذ أنت بأيدينا وتُكفِّفنا

نتهرَّبُ من عَيْنَيْكَ، ولكنَّ صمَّتكَ يفضحُنَا

تنهارُ سدودُ ملامحنا

ينتفضُ الوجهُ المُعْتَصِرُ المحمومِ

ينتفضُ الصوتُ المشروخُ المكتومِ

يتنفض الجسدُ المهود المسموم
تتقضُّ عنيفاً كالنسر
فى ومضة شعر
تتحدى كلَّ عذاب القهر
وتفاجئنا
أنك - فى وجهِ البابِ المسدود -
أقوى منَّا
نخجلُ، ونقوم!

* * *

فى زمنٍ يعلنُ عن حاجتهِ لكبرياء
يخرجُ فيه السفهاءُ من جحورهم
والأدعياءُ من شقوقهم
ويعتلى المخادعون كلَّ موكبٍ وساحة
ليملأوا الدنيا، ويزحموا الفضاء
فى زمن ملوكه السُّوقَةُ والطَّعام

وناصحوهُ أغبياء
يلبس فيه السُّنَّة العُصاة، واللُّصوص
مُسوحَ أنبياء
ينداح صوتك الجسورُ واخزاً، وصاعقا
مُحذراً من هجْمة الوباء
ومن غدٍ يطبقُ فَوْقَنَا، ويحجبُ السماء
يموجُ في صواعق البلاء
ويصبحُ الأعداءُ فيه إصدقاء!
ينداحُ صوتك الجسورُ واخزاً، وصاعقاً
يُطلق في كلِّ اتجاه
رصاصهُ الخبيثُ في قصائد الهجاء
لعصرنا المفروش بالوحوولِ والألغام
للقابعينَ في قرارِ الجُبِّ كالنيام
والعاجزينَ عن بلوغِ قامتك
لأنهم أقزام

والباحثينَ في بلاغةِ الكلامِ عن عزاء
وفي أكاذيبِ الطُفأةِ عن طعام
واخترتَ أن تكونَ،

- حيث ينبغي لصوتك الفريد أن يكون -
كتيبة الصُّدامِ والإقدامِ!

* * *

في زمن يحمل عارنا ووجهنا القبيح
لما سقطنا في شباكِ القهر
وانبهمت أمامنا المسالك
وظنَّ أعداءُ الحياة أن صوتنا الحبيس لن يبوح
وأنَّ عطرك النبيل لن يفوح
منطلقاً خلفَ سياجِ الأسر
نرفع من رؤوسنا الفرقي، ونستديرُ
باحثينَ عن شُعاةٍ منكَ، وعن إشارة
تردُّنا إلى اتجاهنا الصحيح

من قبل أن نصيرَ قَبْضَ رِيحٍ

ترحلُ أنتِ غارِبًا

مُندفعًا إلى الثرى البعيد في صعيد مصر

مُضمخًا بما نَزَفَتْهُ من حكمةٍ وشعر

وما اختزنتهُ من شُعلةٍ وجمر

وما اعتصمتَ فيه من إباء!

لأتلفتَ حوليكَ، ليس ثمَّ من أحد

الكونُ كلُّهُ فُسد

وأصبح المهرُّجونَ ... شعراء!

قطار الجنوب

فى عيونِ المحطّاتِ يرقُدُ بوحُ انتظارٍ
ويُقلعُ برقُ انخطافٍ
تستطيلُ المسافةُ بين المودّعِ والمرتجّلِ،
بين المغامرِ والمتوجّسِ،
بين الشجاعِ المحاذِرِ والغرّ.. ذاك الذى لا يخاف
والصبايا افترشنّ المساءَ،
وأشعلنّ أشواقهنّ دخاناً صعد
جئنّ، هيّانَ كنزَ الصدورِ الخبيءِ،

لحلمٍ جرىءٍ تدثرنه،
ولوعدٍ تتظرنه،
وليالٍ مُجهزةٍ للقِطافِ
ياقطارَ الجنوبِ المسافرِ، مخترقاً صبواتِ المدى،
طائرًا بالرُّشدِ
لا الوجوهُ الحبيبةُ عادتُ،
ولا الشوقُ منطفئٌ فى عيونِ البلدِ
الصبايا احتشدينَ،
انتظرنَ،
انطفأنَ،
وأوشكنَ يبكينَ،
أوشكنَ يرحلنَ،
مازال خيطٌ رفيعٌ
وصبرٌ وجيعٌ

ودائرةٌ من شعاعٍ بعيدٍ،

يُلَوِّحُ فِيهَا وَلَدًا!

* * *

أمةٌ ودعتهُ،

انحنى فوقه، جذعٌ صبارةٍ

ضمةٌ للذي.. هل تراه يعودُ؟

وهل يسعفُ العمرُ؟

وانداح ليلُ السفرِ

وانحنى خلفه شجراتٌ تعودنَ أن يستمعنَ حكاياته

وهو ينشدها للقمر

وتعثرَ جدولُ ماءٍ،

تمنى يلاحقه

- كان يمرحُ فيه وَيَشْفَبُ مِنْهُ الصِّغَرِ -

ياقطارَ الجنوبِ تمهلْ

فهذا صغيرك مندفعٌ للمصيرِ الذي ينتظرك!
صفرةً في الجبين،
دمعٌ بعينيه،
والصوتُ لايسعفُ الآن،
يامُهجةً.. لاتقرّ
يستديرُ الزمانُ،
ويساقطُ العمرُ
راحت تغيّمُ الوجوهُ القديمةُ
ترحلُ شيئاً فشيئاً إلى الظلِّ
تبحرُ حتى ضفافِ النهرِ
ويغيّمُ القمر..
- مرّةً.. لو يعود؟
- فيم هذا التساؤلُ يأمُّ،
ياعبقَ الأرضِ،
ياغابةِ النخلِ

ياشجرَ السنديانِ،
وياموطناً للخطى سار فيه الفتى مُذْ وُلِدَ
ياقطارَ الجنوبِ اتَّددْ
إن وجه الفتى يتشكّلُ
قلبِ الفتى يتبدّلُ،
لونَ الفتى يتحولُ،
يا أمُّ

أخشى عليك اللقاءَ الذى لن يفيدَ
النداءَ الذى لا يُردُّ
فأنسى للسكونِ،
المسافةَ حلمً، ووجه اللبالي بَدَدَ
والطريقَ الذى سار فيه الفتى..
لم يعدْ منه يوماً أحداً

* * *

عارى الصدرِ لم تخفضِ الرأسِ،

أو تتحسّن مكاناً لخطو القدم
والسهاّم التي تصطفيك وتمرقُ حوليك
سهمان: سهمُ الصباحِ، وسهمُ انكسارِ القلم
والهمومُ التي تحتويك سموماً تصبّتك،
واقترصتُ فيك مُتكأً للعدم
عارى الصدرِ، مستقبلاً للعواصفِ،
مشتعلاً كالحمم
نازفاً، نازفاً
والدماءُ التي كم تسيل، وتترك في الأرض آثارها،
تتجمعُ ثانيةً،
فيعاودك الصحو،
وهمُ الأمانِ،
وينسيك وجهُ الحياةِ انتصارِ الظلم
واندلاعِ الألم
نازفاً، نازفاً

والتحدى: كلام له رهبة الموت،

وقع اختراق الحراب،

تلقنه للملأ

الكلام الذى حملته الرياح

تتاثر عبر السهول، وعبر البطاح،

وطوف فى كل أرض، وفم

حين أغفيت، كان الفؤاد الذى كم تفتت،

كان الإناء الذى فاض لما امتلأ

والشعاع الذى قهرته الطعان

تسرّب منطفئاً،

وابتعد!

* * *

يا قطار الجنوب الذى حين يصفر،

يمتدّ فينا النسيج

فوران الدموع الحبيسة فى القلب يصعد

فإذا في العيون المطلّة، تلك السحابةُ تفتشى العيونَ
ولاتتبددُ
ها أو أن التماسك،
إنا كبرنا،
ويفضحنا الدمعُ،
يخذلنا الوجدُ
لكنا نتجلدُ..
ما الذي حين تصفرُ
ينخلع القلبُ منا
ونهوئ نعانقُ هي الأرضِ وجّة حبيبِ مُوسد
ما الذي حين تُقبلُ،
يملؤنا بانتظارِ ثقيلِ،
لو هم قديمِ تجدد؟
ما الذي حين تُبعدُ
يقذفنا للضياح

ويتركنا للشّجى.. والتوحّد؟
فورانُ الدموعِ الحبيسةِ في القلبِ يصعد
جيشانُ همومِ الخبيثةِ في الكونِ يمتدّ
ياقطارُ الجنوبِ المسافرِ عبْرَ القلوبِ اتد
يا قطار الجنوب اتد..

الفزاة

يا أحبّاي، وقد طال الزمن
ما الذي يبقى لنا غيرُ شجن؟
وحديثٌ لحديثٍ ينتهى
ولقاءٌ بلقاءٍ مُرتهن
صوّح العمرُ، وصيرنا بدداً
نتوارى فى تجاعيد المحن
فتلفتنا إلى أترابنا
وبأيدينا حصاداً من حزن

وتنادينا، فلم نلق سوى
هتفة الريح، وترجيع الدمن
فننّ عشنا عليه زمناً
هرم الصوت، وماشاخ الفنن
حسبنا زهوة أيام الصبأ
ورؤى العمر الذي كم يمتحن
كلما ارتدت إلينا ذكر
سكن القلب إليها، واطمان
مسرح يطوى، ويطوى سامر
وهوى النفس بقايا من فتن!

* * *

زمن يسرق منا عطر الأحباب
يتخطفهم وجهها وجهها
نتلفت لأنلقى منهم أحدا
نتناثر أشلاء من عمر كان،

وصفو كان،
وخطوُ كان لنا
أضحى بدءاً
فالعمر سدى
ويقلب أزقتنا يُقعى وجهُ الظلمة
يترصدنا ويداهمنا
نتساندُ،
يشكو الواحدُ منا لأخيه،
ويخشى.. لا يلقاه غداً!
وتُلاحقنا عجالاتُ الليل،
وقاطرةُ الأحزان الجهمة
نتخفى في السّاحاتِ،
وبين شعابِ المنعطفاتِ الخلفية
ونظنُّ بأننا أفلتنا
هيهاتَ، فلم نفلت أبداً

ولأى مدى!

* * *

يا أحبّاي، ولم أسعدكمو
بحديثٍ تتصبّأهُ الأذنُ
هذه حالى فى صُحبتكم
كبدٌ حرّى، وموتٌ مُختزن
ونداءاتٌ تدوّى حولنا
برحيلٍ عن وجودٍ قد أسن
أنا إن لم أفتح القلب لكم
وأعرّ النفسَ حبّاً، فلمن؟
مدنُ الحلمِ تئاتّ فى المدى
فمتى نضحى غزاةً.. للمدن!

مضحك الملك

الملكُ لك..

الملك لك..

فكلُّ ماتقوله صواب

وحكمةٌ لم يحوها كتابٌ

وينحنى المسامر الأنيسُ

وبهجةُ الندى والجليسُ

والحافظُ الأسرار والأخبار والحكايا

يخرجها من كُمةِ النَّفيس:

«ياسيدى

ما أجملك!

ما أعدلك!

لولاك مدار الفلك

ولانتهى التاريخ من بلادنا، بلا جدال

أست أشجع الرجال!

والطاهر النقى فى مهابة الملك!

وينتشى الملك

منتفخ الأوداج كثر الحاجبين

محددًا إلى البعيد

مُصطنعا تكشيرة أو اندهاشة

أو راسمًا على الجبين سحنة الملائكة

وعندما يهَمُّ بالكلام

يسأقط الحديث من فمه

فرقعة تذوب فى الصدى

يظنُّها العقولُ تستمع
وأَنَّها القلوبُ تتخلع
لأنَّ شيئًا قادمًا كأنه الرّدى..
وضاع ظنُّه سُدى
فقد تمخّض الزئيرُ عن هشاشة
ويستقطُّ المسامرُ الأنيسُ بينَ بينَ
يحارُّ كيف يبتدئ
أو يشبكُ الكلامَ من جديد:
«ياسيدى
الملك لك
لم يقدروكَ قدرَكَ العظيم
ولم تطلَّ قاماتهم ليبصروا
ما أبصرتُ عيناكَ من خبيء
وليس فيهم حيلتك
ومكركَ المراوغُ المداورُ

كأنه نسيم
حين تصوغُ من عجائبِ القرارِ فَعَلَّكَ الجرىء
وسعَيْكَ المبارك البريء
مستلهمًا شمائل الرسول
ونفحةَ الملكِ»

* * *

يجتمع الصغارُ حول تحفةِ المسامرِ الأنيس
يُسمعهم ما دارَ في مجالسِ السَّمَرِ
مطاطئين في ذهول
محدِّقين في العجائب التي يقول
وفي الغرائب التي لم يحوها كتاب:
«نشهدُ أنكِ المقربُّ الأثيرِ
والصاحبُ الخطيرِ
وأنا بين أصابعك
تملكُنا، كيف تشاء»

فيستحيل شاعر الربابة
في سمته المنفوخ
رباً يجالس المسوخ
والقامة التي اعتادت صنوف الانحناء
انتصبت فارعة تهتز كبرياء
وتستدير في شموخ
لتمنح الصغار لفتة أو لفتتين
وينتهي الكلام
تسكتهم إشارة من اليدين
أو نظرة بطرف عين
ويزحف الصغار ظامئين للمزيد
ماضراً أن يكونوا تابعين للتبعية
فليحسنوا الصنيع
لعل في عطائه ما يشمل الجميع
وليتهنقوا،

وليطلقوا البخورَ والأشعار
أليس سيّدَ السّمّار
والواحدَ المعدودَ فى غرائبِ الأسفار
والأمرَ المطاعَ فى بؤابَةِ الرجاء
فمن يلامسَ حَوْضَهُ ملكاً
ومن يُخالفَ وردَهُ هلكَ
ومن تزغَ عيناهُ ساعةَ اللقاء
أغرّقه التيّار!

* * *

الآن يخرجُ المذعورُ من مكانه
مفتّشاً عن وجهةٍ أُخرى، وعن سماء
تُظلهُ من غضبةِ البشر
ومن شماتةِ الذين عاينوهُ فى الرّغام
قولوا له - إذا لقيتموهُ هائماً بلا دليل
فلم يزلْ يعيشُ فى غيابَةِ الحلكِ

مُنْتَشِيًا بِجَهْلِهِ الْعَظِيمِ
وَسِرِّهِ الْمَجْرُبِ الْقَدِيمِ
وَقَفْزِهِ مِنْ غَايَةِ لَغَايَةِ
وَفَنِهِ فِي لَعِبَةِ الْكَلَامِ . :
«أَفْقُ..»

فَإِنْ مِنْ ظَنَنْتَهُ الْمَلِكُ
قَدْ كَانَ يَوْمًا، مَضْحَكَ الْمَلِكِ
فَهَلْ وَعَيْتَ مَقْتَلِكِ!»

الليل .. والمشانق

تملأ ليلُ الخنادق
وأعولَ صمتُ البنادق
وطاشت رصاصات من صوبوا
بكلُّ اتجاه
وما زال وجهُ الحياةِ
قبيحًا
وعمرُ الطفلةِ
فسيحًا

وفى آخر الليلِ
يقبَعُ وجهُ المشانقِ!

* * *

تموجُ المدينة بالقهرِ،

تُخرجُ أحشاءها،

تجوَعُ،

فتأكلُ أبناءها

وتُقمى

ليعبَرَ من فوقها الفاتحون

يراودها الصَّحْوُ،

ترفعُ رأسًا

وتُطلقُ همسا

تلاحقها عريداً الغزاة

وتسقطُ تحتَ صهيلِ الطفِاة

تُلاحقها طعناتُ السنايِكِ

تغورُ المدينةُ،
تلفظُ أنفاسَها في سكون
وينداحُ في الأفقِ لحنٌ حزين
يُفنيه . في الظلمة . العابرون
تموجُ المدينةُ بالعهرِ،
تكشفُ سوءَها للميون
وتخرجُ عاريةً،
تتناثر . حيث تسيّرُ . الظنون
وتبدعُ ..

هذا زمانُ التثنيِّ
وهذا أوانُ التفتيِّ
وعصرُ جميعِ الفنون
وتبدعُ ..

قبل انطفاءِ الشعاع
وايقاعها صرخاتُ الجياع

تدمدمُ، عارمةً، لاتبين
وتبدعُ..

تهتزُّ مثلَ الجوارى

توغلُّ فيها خيال العبيد

يسيلُ لعابهمو من بعيد

ويضرى سعارهُمو بالمزيد

وتجحظُ أعينهمُ فى جنون

ويملكها . آخر الليلة . المتخمون!

* * *

وكيف تنامُ؟

وكفك فوق الزناد،

ورأسك مشتعلٌ بالحريق

تشعبُ سيلُ الفصائلِ

وحان شتاتُ القبائلِ

فكلُّ بوادٍ

وكلُّ ينادى
وكلُّ لغايته فى طريقٍ
فكيف الأكفُّ الشتيةُ تهتزُّ كفاً
وكيف الصفوف البديدةُ ترتجُّ صفاً
وكيف تنامُّ؟
وأنت الرفيقُ تحاذر خطو الرفيق
وهجسَ الشقيقُ
وحارسك المرتجى.. لايفيق
وماعدتَ تدرى
وسيلُ الرصاص بكلِّ اتجاه
أياتيك من خائنٍ.. أو صديقٍ!
وكيف تنامُّ؟
وكلُّ الهمومِ وسادٌ
وكلُّ الحشايا سهادٌ
وكفك فوق الزنادِ

مُصَوَّبَةٌ وَحدهَا لِلْمُضِيقِ!

* * *

يُظَلُّ الطِّغَاةُ طِفَاةً..

لَأَنَا نُطِيلُ لَهُمْ فِي الْحَيَاةِ

وَنَلْعَقُ أَقْدَامَهُمْ بِالْجِبَاهِ

وَنَدْعُو لَهُمْ فِي الصَّلَاةِ

وَحِينَ يُدَوِّي النَّفِيرُ

نَطِيرُ خَفَافًا

وَنَعْدُو ارْتِجَافًا

وَنَصْبِحُ نَحْنُ الضَّحَايَا.. وَنَحْنُ الْجِنَاةُ!

يُظَلُّ الطِّغَاةُ طِفَاةً،

وَنَحْسَبُ أَنَّ الزَّمَانَ الْوَلُودَ عَقِيمَ

وَأَنَّ الْبِلَاءَ مَقِيمَ

وَأَنَا صَفَارٌ..

تُضَعِّضُنَا قَسْوَةَ التَّجْرِبَةِ

فتفجؤنا . حين نُغفى . الزلازل
وتوقُّظنا دمدماتُ القنابل
مصوِّبةً في الصميم
فيسقط وجهُ الظلامِ الديميم!

كلاسيكية

هذي طريقى، وهذا منتهى أمدى
وأنتِ أمسى، فلا تستمسكى بغدى
وقفتُ عُمرى على وهم ظفرتُ بهِ
والآن ياوهمُ ما أبقيتُ ملءَ يدي
وقفتُ صحوى على أفقٍ طلعتِ بهِ
شعاعٌ مستدفئٍ يدنو لمرتعد
وقفتُ خطوى على دربٍ بهِ اشتجرتُ
هوجُ الرياحِ وعضُّ القيدِ فى جَلدى

وصَوَّحَتْ لِحِظَاتٍ كُنْتُ أَحْسِبُهَا
 زَادًا وَرِيًّا لِمَخْذُولِ الْمَتَاعِ صَدَى
 كَانَتْ جَنَاحِينَ مِنْ نَعْمَى وَمَرْحَمَةٍ
 وَمِنْ تَمَازِجِ أَرْوَاحٍ وَمَعْتَقَدِ
 رَفِيفٍ أَنْفَاسِهَا أَنْفَاسُ عَافِيَتِي
 وَبَرْدُ أُنْدَائِهَا يَنْسَابُ فِي كَبْدِي
 أَطْبَقْتُ عَيْنِي، يَارُؤِيَا بِهَا اكْتَمَلْتُ
 مَلَامِحُ الْأَبْدِ الْغَافِي... بِلَا أَبَدٍ
 حَتَّى صَحَوْتُ عَلَى دُنْيَا بِلَا أَفْقٍ
 وَلَا شَمَابٍ، وَلَا أَفْجَرٍ وَلَا عَمْدٍ
 تَزَاحَمَتْ فِيكَ أَضْدَادُ الْحَيَاةِ، فَلَا
 نَجَاةَ مِنْ صَدَمَاتِ الْقَهْرِ وَالْعُقْدِ
 وَأَفْرَخَتْ فِيكَ أَوْهَامُ الطَّرِيقِ، فَلَمْ
 تَدُنْ السَّبِيلُ لِنَائِي الْعَيْشِ مَفْتَقَدِ
 تَوَقَّفَ الزَّمَنُ الْعَمَاتِي، وَخَلَّفَنِي
 طَرِيحَ حُلْمٍ، بَعِيدِ الْمُنْتَأَى بَدَدِ
 هَذَا صَهِيلِ اللَّيَالِي فِي مُحَابِسِهَا
 وَتَلَكَ حَمْحَمَةُ الْأَيَّامِ فِي الْوَتْدِ

وأنتِ أسطورةٌ في اليمِّ غارقةٌ
تشى بها فورةُ الأمواجِ بالزَّيدِ
ورشفةٌ من شرابِ سائغٍ عذبتُ
تناقلتُها يدُ الأقداحِ كالرصدِ
لا تتبعيني، كفاني خطوُ مبتئسٍ
أو تسبقيني، كفاني نأىُ مبتعدِ
كان الزحامُ يداويني ويفرقني
فصارَ بعضَ عزائي صمتُ منفردِ
لم يبق من غايتي وعدُّ يُعلنني
ومن سرابِ الرؤى كشفٌ لمجتهدِ
اليومِ أحكمتِ الأفلاكِ دورتها
هيهاتُ يرجعُ عمرٌ بالحنانِ ندى
ياويلتاه وظلُّ العمرِ مرتعشٌ
والكونُ خالٍ، وما في البعدِ من أحدِ
إنى دفنتك في نفسى وفى خُلدى
إنى بعثتك في رُوحى وفى جسدى!

رومانتيكيت

من أيّ البحرَيْنِ أخاف؟
البحرِ الممتدِّ أمامي
أم بحرٍ يفرقُ في عينيكِ
مرتججُ الموجة والإعصار
لا شاطئٍ فيه.. ولا مجداف!

* * *

شارفتُ اليمِّ، ولم أغرقُ
وقبستُ النارَ، ولم أحرقُ

وعزفتُ لحوناً من ظمأٍ
ودققتُ على الباب المغلق
ورجعتُ بعثرةِ أيامي
لدوائر من صمتٍ مطبقٍ
تزعنى من أضييق رؤيا
ترميني في شَرَكِ المطلق
ترتجُّ بأعماقي.. لغةً
حيرى بالسرِّ، ولم تنطق
من يملك ذاكرةً تُحصى
طعناتِ اللجّةِ في زورقٍ؟
أو يخلع أقنعةً تُخفي
لعثمةَ الحاجةِ.. في منطقٍ؟
ها أنتِ على سقوف الدنيا
ميلادُ حياةٍ.. تتخلّق
وشعاعٌ بالرحمة يدنو

لخيالٍ مكدودٍ مُرهقٍ
وأنا فى اليمِّ، فمن يدرى
أنجو بحياتى، أم أغرق!

* * *

نافذتى فُتحت، وأطلت
عيناك، فشمسك إلهامى
أنى أتلفت، يتبعنى
سريانُ العطر، بأنسامى
وأجئُ إليك، يظللنى
صوتٌ بالبشرى مُترامٍ
أستجمعُ لحظاتِ اللقيا
عقدًا منضودَ الأيامِ
وأظلُّ تلاحقنى صورٌ
تتحلُّ ملايين الأطيافِ
عن عمر، عشناه وثيداً

نغمًا بأناملٍ عزافٍ
وأنا من حولك، أستدنى
موهورَ ثمارٍ وقطافٍ
وأخوضُ اليمِّ، ولا أخشى
أهوال الموجِ الرجّافِ
فلعلُّى أمسك لؤلؤةً
ترقد فى قاعِ الأصدافِ

* * *

من أىّ البحرين أخاف؟
البحر الممتدّ أمامى
أم بحر يفرق فى عينيك
مرتجّ الموجةِ والإعصارِ
لاشاطئٍ فيه.. ولا مجداف!

قصيدتي.. والسفر

قصيدتي حملتها معي
يثقلُ حملها
تسقطُ من أصابعي، ولا أعي
أظلُّ سائرًا، أجرجرُ الخطى
أجرجرُ القصيدةَ التي تساقطت
وكُلِّما أبعدتُ في مسيرةِ الغبار
تشققتُ أصواتها
واختلطت أناتها

واشتبكت حروفها بحافةِ الجدارِ

فأرتنى

مُلازماً لموقعى

الآن.. يا قصيدتى، ونحنُ فى سفرِ

ماذا تُراكِ تفعلينِ بى؟

العبءُ لم تعدِ تُطيقه يدايا

ولا الطريقُ صارَ كاشفاً مدايا

ولا النهارُ مثلما عهدتُه نهارِ

ولم تزلْ أصدأوكِ البعيدةِ

تتزُّ فى خُطايا

وتحتنى بأدمعى!

بالأمس، كنتِ تعرفينِ علّتى

وتكشفينِ صبّوتى

تبينينِ لى من لمسَةِ الحنانِ، من كلامِكِ المُجنِّحِ الوثيرِ

مأوىَ يضمّى

وتفرشينِ من سحابةِ الألوانِ والعطورِ

ظلالَ واحةٍ
ترفُّ في ربوعها خميلتي
فمالنا، ونحنُ في سفرٍ..
أوشكتِ تغدرين بي وتهزئين
تُلامسين مرّةً، وتفلتين
تراودين مرّةً، فأسرع الخطى
حتى إذا دنوتُ للحمى
- دنوتُ وارتميتُ -
تراوغين

وتكتمين عن مسامعي نداءك البعيدَ في المدار
أصبحُ: يا لغربةِ الفراق، والتسيار
أنا الذي نُفيتُ عن عوالمِي
واحترقتُ قوادمي
ولم تعد قصيدتي
تضئُ رحلةَ الوجودِ، والأسفار!

للعبير اختناق

«من وحى المهرجان الشمري الذي عقد في بغداد خلال شهر مارس ١٩٨٥ في مناسبة الاحتفالات بأعياد المرأة العراقية وعيد المرأة العالمي، وشارك الشاعر في هذا المهرجان ممثلاً لشعراء مصر.

ويبدو أن وصول الشاعر إلى بغداد كان سابقاً لسائر الشعراء بعدة أيام، مما جعله يكشف صبيحة وصوله أنه الرجل الوحيد في فندق الرشيد بين أربعمئة امرأة يمثلن نساء العالم».

أخرستني العيون والأحداقُ

فكلامى الشـرودُ والإطراقُ

الخطى لهفةً، وبعضُ انعطافِ النفـ

سٍ وجدُّ ولهفةٌ واشتياقُ

وجناحانٍ من حنينٍ يرفاً
ن، فهذا المدى ضحىً وانعتاقُ
والهوى مركبى لدار حماها
وحماها النجوم والأشواق
قيدتنى سبيكة العطر، فارتعد
ت، وللمطر سطوة ووثاقُ
واحتوتنى مفاتنُ السحر، لحظاً
بابلئ، وكرملةً وعناقُ
واستبيحت ممالكى، فخيالى
مشرئبُ الخطى، وقلبى يساقُ
والهوى دائرُ الحمى، فقلبُ
مستجير اللظى، وقلبُ مراقُ
عنفوانِ الجمالِ يعتو، فأهفو
وبعينيَّ من لظاءِ احتراق
حيثما درت، يصعدُ الدفاء، طقساً
عبقرياً، وتجهش الأعماقُ

ويغيب المحلُّ الجديبُ، وتحيا
من جديدٍ، وتنبتُ الأوراقُ
خضرٌ في العيون أن تكتم الشجَّ
و، فللشَّجْوِ في العيونِ انبثاقُ
وارتدادٌ إلى المسافاتِ ينأى
ن، وينأى الوميضُ والإبراقُ
السنونَ التي قطعنا.. اغترابُ
والطريقُ التي احتوتنا.. فراقُ
غارقٌ في العيونِ هيهات أطفو
بالقلبِ يلذُّه الإغراقُ
رب القـيـتـنـى بـوـادٍ ظـلـيلٍ
تتمنى وروده العشقُاقُ
ما الذي الآن أشتكى؟ ربّ نعمى
قتلتى، وللعبيرِ اختناقُ!
قد يُطاقُ الجمالُ فردًا، ولكن
كلُّ هذا الجمالِ كيف يطاق؟

وجه

وجهٌ في واجهة الموجِ،
وعينٌ تعبرُ نحو المطلقِ،
تحلم بالإعصار الآتى
هذا وجهُك؟
أم عاصفة راحت تتجمع
ونذيرٌ بالفضب العاتى
كنت أمنى النفسِ،
وأدنو منكِ،

وأنزِعْ قلبي من دائرة اليوم الكاذبِ،
علَى بين يديك أفيقُ،
وأغسلُ ذاتي
لايكفى هذا البحرُ،
ولا هذى الشطآن الممتدَّة،
أو هذى الریحُ المُشرعةُ
ولا هذا الوجه المعشوق الغائب
حتى أدنو
وأكفكف دمعى، وصلاتى
ها أنتِ تُسيئِينَ لقلبى
- ياقلبى عجلْ بالعودة
ها أنتِ تقصين جناحى
- يا أفقى ما زلت بعيداً
ها أنتِ تصدين ندائى
- يا صوتى.. لاتوغل فيها

حتى لا تتبدد وارحلاً
لمالك، مازالت تجلو طلعتها،
تكشف عن فنتتها،
وكنوز مباحها،
ولعمر ممتد أجمل
لكنى ماعدت بيباك
أصبى لمسة أعتابك
أو أردُ النور بمحراك
فأنا مشدودٌ لمصير
يسكنُ خارطة المستقبل
ترحل..؟

أم عنها لا ترحل!
ما عاد سؤالك يشغلنى
أقلعتُ، وفى البعد شراعى
مملوءٌ برياحى مُثقل

ياوجّها مكروبَ الرؤيا
إنّى بفباركك لا أحفل
أقلعتُ،
وأنت هنا تسأل!

مواجهت

كان يؤدّبني.. ويقول:

«ياولدى

هذا قدرُك..

أن تحيا فى سيرك العصر، ولاتنجو

تتعثر فى قبضة مهمازيه، وسطوة جلاديه

تسقط ما بين الأهة.. والتصريح

فى زيف اللغو ولغو الزيف

وتقول كلاماً محزوناً وعليلاً

يتدحرج من شفّتيك إلى آذانٍ مُعوجّة
شُغلت عن كلّ كلامٍ أُسيان
بتعقّب مسرّي الصوت، وفهم مسارِ الريح
فانجُ بجلّدك .

واخلع عنك رداء الحكمة، والبس ثوبَ السيرك
وبادرْ في الميدان

ما أجملَ أن تتزيّأ كلّ الألوان
فعلّ الله يبارك في عمري، وأراك
إنسان العصرِ المأمول
اللامع في كلّ زمانٍ ومكان!

* * *

ياشيعي، وجليس فؤادي، ومؤانس رُوحى
لو تعلمُ قدرك في نفسى
لكنّ، ها أنذا، ياويلي، مفجوعٌ فيك
أو حقًا هذى كلماتك؟

والوجه الشاحبُ آياتك... وسماتك؟
والصوتُ الراحشُ.. نبراتك؟
ياويلي، مفجوعٌ فيك..
يتدحرجُ زمني.. لاضيراً!
لكن، أن تسقط أنت؟
ياربّي.. قد وقع المحذور
وتمادى زيفُ اللغو، ولغو الزيف
فارفعْ مقتكَ عنا
وأنلني بعض يقيني
كى أحكم قبضةً هذا السيِّف!

ملاحح صينية

«من وهي زيارة الشاعر للصين،
(٢٤ أكتوبر - ٤ نوفمبر ١٩٨٥)

تسكبُ الشمسُ على أعوادِ القمحِ،
فيُشرق وجهُ الصينِ
هذا الوجهُ المغسولُ بماءِ الحكمةِ،
والمختومُ بعبقِ الطينِ
يحملُ عينينِ كخطينِ،
بعيدتينِ كنجمينِ،
عميقينِ كسريّينِ،

ويبحرُ،

كلُّ الزمن قُلُوعٌ وسفائن

ونداءٌ يدعو للمجهولِ،

فيوغلُ لَيْسَ يخافُ التَّيَّةَ،

ولا يرهَبُ وجَهَ التَّيْنِ..

تتهمرُ خُيُوطُ النورِ،

يذوبُ الوجهُ الرائقُ حينَ يشفُّ،

وها..

تتلاصقُ بعضُ ملامحه،

تتقاطعُ فوقَ الوجهِ خطوطُ العُمرِ،

ويقفزُ في العينينِ بريقُ الحزنِ،

ويثقلُ عبءُ الحكمة،

أم..

امتلاً القلبُ، وقاضٍ

العالمُ، كلُّ العالمِ، مذخورٌ فيه

منصهرٌ بينِ مراجِله،
جوهرةٌ تخرجُ من بين ثناياه،
والكنز ثمينٌ!

* * *

أى الوجهين يلاقينى.. وألاقيه
هأنذا تحملنى كفك،
تتفرسنى وتقلبنى
وتخطُ خطوطاً فى وجهى
فكأنُ الشمسَ تباركنى
أتسلُّ من بين أناملِكِ، وأدنو
أتأملُ كفكِ:
ياالخطوطِ العُمرِ،
ويا لكُهوْفِ القَهْرِ،
وياالنتوءِ الجمْرِ
أى الوجهين تراكِ؟!

الوجه الغابر؟

أم وجه آتٍ.. لاندرية؟

يتخلق عبر شقوق الأرض،

ويوغل ملء شعاب النهر الأصفر،

يخرج من رحم الفولاذ،

ويخطو فوق السور الأعظم،

ينقش زهو بطولات،

ويقيم على القمة عرساً

ترقص شمس الحكمة فيه!

* * *

الآن، وهأنتِ على القرب: عجوزٌ وصبيّة

تتخفى في أروقة التاريخ،

وتقفز في إيقاع الجاز،

وتلعب بالوجهين..

تسكنني الحكمة،

ثم يُراودني النزقُ المجنون،

ويصهرنى مسٌ حمياً
أتلامسُ فى جذعَيْكَ،
وفى وجهَيْكَ،
وأهتف فى نفسى العطشى:
هذا زمنُ السُّقيا
وأحلقُ طيراً عبرَ معابدكِ المهجورة،
عطراً بين روايبكِ الممتدة،
نجماً يمرقُ فى جلواتِ الرؤيا
ضمينى.. فأنا مُتجهٌ للشرق
ضمينى.. فأنا محترقٌ كالبرق
وأنيلينى،
فى يومِ العودة من ينبوعِ فراديسك
زهرةً لوتس
تحمل لى من وجه الصين
عبقا مغموساً فى الطين
يتأثرُ فى كلِّ الدنيا!



صدر للشاعر

(أ) دواوين شعرية

- ١ - إلى مسافرة (الطبعة الأولى ١٩٦٦، الطبعة الخامسة ١٩٩٣)
- ٢ - العيون المحترقة (الطبعة الأولى ١٩٧٢، الطبعة الرابعة ١٩٩٠)
- ٣ - لؤلؤة هي القلب (الطبعة الأولى ١٩٧٣، الطبعة الرابعة ١٩٩٠)
- ٤ - في انتظار مالايجيء (الطبعة الأولى ١٩٧٩، الطبعة الثالثة ١٩٩٠)
- ٥ - الدائرة المحكمة (الطبعة الأولى ١٩٨٣، الطبعة الثالثة ١٩٩٠)
- ٦ - الأعمال الشعرية (المجلد الأول) (الطبعة الأولى ١٩٨٥، الطبعة الثانية ١٩٨٧)
- ٧ - لغة من دم العاشقين (الطبعة الأولى ١٩٨٦، الطبعة الثانية ١٩٨٧)
- ٨ - يقول الدم العربي (الطبعة الأولى ١٩٨٨، الطبعة الثانية ١٩٩٢)
- ٩ - عشرون قصيدة حب (الطبعة الأولى ١٩٨٩، الطبعة الثانية ١٩٩٧)
- ١٠ - هئت لك (الطبعة الأولى ١٩٩٢).
- ١١ - سيدة الماء (الطبعة الأولى ١٩٩٤).
- ١٢ - وقت لاقتصاص الوقت (الطبعة الأولى ١٩٩٦).

- ١٣ . حبيبة والقمر (الطبعة الأولى ١٩٩٨).
- ١٤ . وجه أبنوسى (الطبعة الأولى ٢٠٠٠).
- ١٥ . الجميلة تنزل إلى النهر (الطبعة الأولى ٢٠٠٢).
- ١٦ . ملك تبدأ خطوتها (الطبعة الأولى ٢٠٠٢).
- ١٧ . العصفور الصغير (الطبعة الأولى ٢٠٠٢).
- ١٨ . أغنية لمصر (الطبعة الأولى ٢٠٠٣).

(ب) دراسات ومختارات :

- ١ . لفتتا الجميلة (الطبعة الأولى ١٩٧٣ ، الطبعة الرابعة ١٩٩٩).
- ٢ . أحلى عشرين قصيدة حب فى الشعر العربى (الطبعة الأولى ١٩٧٣ ، الطبعة العاشرة ١٩٩٧).
- ٣ . لفتتا الجميلة ومشكلات المعاصرة (الطبعة الأولى ١٩٧٩ ، الطبعة الثانية ١٩٩١).
- ٤ . أحلى عشرين قصيدة فى الحب الإلهى (الطبعة الأولى ١٩٨٣ ، الطبعة الرابعة ١٩٩٨).
- ٥ . العلاج بالشعر (الطبعة الأولى ١٩٨٢ ، الطبعة الثانية ١٩٩٤).
- ٦ . مواجهة ثقافية (الطبعة الأولى ١٩٨٢ ، الطبعة الثانية ١٩٩٤).
- ٧ - معجم أسماء العرب: بالاشتراك (الطبعة الأولى ١٩٩١ ، الطبعة الثانية ١٩٩١).
- ٨ . عذابات العمر الجميل: (الطبعة الأولى ١٩٩٢ ، الطبعة الثانية ١٩٩٧).
- ٩ . ديوان عبد الرحمن شكرى: تقديم وتحقيق (الطبعة الأولى ٢٠٠٠).
- ١٠ . ديوان عبد الحميد الديب: مراجعة وتقديم (الطبعة الأولى ٢٠٠٠).
- ١١ . ثقافة الأسلاك الشائكة (الطبعة الأولى ٢٠٠٠).
- ١٢ . زمن للشعر والشعراء (الطبعة الأولى ٢٠٠١).
- ١٣ . الشعر أولاً والشعر أخيراً (الطبعة الأولى ٢٠٠٢).
- ١٤ . الإغراء بالقراءة (الطبعة الأولى ٢٠٠٣).

(ج) مؤلفات عن الشاعر :

- ١ . البنية الشعرية عند فاروق شوشة، تأليف الدكتور مصطفى عبد الفنى (١٩٩٢).
- ٢ . شعر فاروق شوشة بين الرؤيا والإبداع، تأليف الدكتور محمد السيد سلامة (١٩٩٩).

الفهرس

إلى مسافرة

٥	إهداء
١١	أغنية مسافرة
١٥	شئ يولد
١٩	إلى مسافرة
٢٩	في الليل
٣٣	قطرتا سلام
٣٧	الصمت
٤٣	بكائية
٤٨	اعتراف
٥٢	تائه على الخليج
٥٦	كلمة للعار

٦٢ دعوة إلى النسيان
٦٧ تحت سماء رمادية
٧٠ كلمات مرتعشة
٨٦ شهيد الكلمة
٩٠ الحصاد
٩٨ من فدائي إلى صديقه
١٠٦ بغداد تثور
١١١ يا مغرب
١١٩ الخلاص
١٢٤ فلتنزل الستار
١٢٩ من سفر أيوب

العيون المحترقة

١٣٥ العرى
١٣٩ الغربة
١٤٤ الرحيل
١٥٠ سقوط الوهم
١٥٣ ويجيء شتاء
١٥٧ مرثية شاعرة عاشقة

١٦٨	الزيارة
١٧٣	تتويجات على لحن أساسى
١٧٩	هدية الأيام
١٨٤	العيون المحترقة
١٨٩	كان حياتى
١٩٤	كلمة حزن
١٩٩	باسم الكلمة
٢٠٣	لأنك الإنسان
٢٠٧	أحزان الفقراء
٢١٤	تحت ظلال الزيزفون
٢٢٥	نداء سلام
٢٣٠	أصوات من تاريخ قديم
٢٣٠	١ - سيف الدولة
٢٣٥	٢ - أبو العلاء
٢٣٩	٣ - عنتره

لؤلؤة فى القلب

٢٤٥	أنت
٢٤٨	حبنا
٢٥١	أغنية الزمان القبيح

٢٤٧	الرجبة المعتقة
٢٦١	لؤلؤة فى القلب
٢٦٥	لحظة لقاء
٢٦٨	بين عينيك موعدى
٢٧٢	أروع من عينيك .. لا
٢٧٧	أنادى عليك
٢٨١	موعد مع النجوم
٢٨٦	وحدك المصير
٢٩٠	فى كلمات
٢٩٤	لماذا
٢٩٧	أنا أنت
٣٠١	أنا .. إليك
٣٠٣	كلمات لا تسمى
٣٠٥	هل تذكرين
٣٠٨	يا طائرى
٣١١	على المنحدر
٣١٣	واحة عمري
٣١٥	سمعت عينيك
٣١٧	ضاع فى الزحام
٣٢٧	يارا

فى انتظار ما لا يجىء

- ٣٣٣ الرحلة فى بحار العشق
٣٤٠ حال من العشق
٣٤٦ اعترافات العمر الخائب
٣٥٤ قبل الوصول
٣٦٠ فى انتظار ما لا يجىء
٣٦٨ بشرنا ثم تصوفنا
٣٧٥ كان وكان
٣٨١ شاعر الريابة
٣٨٦ المهاجر وحيدا
٣٩٠ المغنى والشيخ نظام الدين
٣٩٦ فى المصيدة
٤٠٥ ومات الفارس على فراشه
٤١١ شهود سفينة غارقة
٤١٨ شمس الله فى قرطبة
٤٢٣ أغنيتان لمصر:
٤٢٣ أحبك
٤٢٧ اليوم السابع

الدائرة المحكمة

- ٤٣٣ لا مفر
- ٤٣٩ الليل وحبّة الضوء
- ٤٤٣ الدائرة المحكمة
- ٤٤٨ الشعر في هذا الزمان
- ٤٥٣ لأنك الوطن
- ٤٥٨ يدوسنا عام جديد
- ٤٦٣ عندما يغلبنا الأسى
- ٤٦٧ في حمى رامتان
- ٤٧٣ سكن العبير
- ٤٧٧ الرحلة اكتملت
- ٤٨٣ عابرة
- ٤٨٧ صورة

لغة من دم العاشقين

- ٤٩٣ بيت فوق شجرة
- ٤٩٩ جاء عصر الشتات
- ٥٠٥ الحب قرار
- ٥١٢ يحدث أن
- ٥١٧ خطوط في اللوح

٥٢٢	مد البحر
٥٢٩	ملاح
٥٣١	شاعر الحراب المديّة
٥٣٨	قطار الجنوب
٥٤٧	الغزاة
٥٥١	مضحك الملك
٥٥٨	الليل والمشانق
٥٦٥	كلاسيكية
٥٦٨	رومانتيكية
٥٧٢	قصيدتي.. والسفر
٥٧٥	للعبير اختناق
٥٧٨	وجه
٥٨٢	مواجهة
٥٨٥	ملاح صينية

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

ص.ب : ٢٢٥ الرقم البريدى : ١١٧٩٤ رمسيس

WWW.egyptianbook.org.eg

E - mail : info @egyptianbook.org.eg

الأعمامان الشكرية
المجلد الأول

إلى مسافرة
العيون المحترقة
لؤلؤة في القلب
في انتظار ما لا يجيء
الدائرة المحكمة
لغة من دم العاشقين

